

المقدمة في نشأة الخيل وأول من ركبها من العرب

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أول من خلق الله من الخيل خلق فرساً كميئاً، وقال عز وجل: خلقتك عربياً وفضلتك، على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق والغنائم، تقاد على ظهرك والخير معقود بناصيتك، ثم أرسله فضهل: فقال جل وعلا: يا كميئ! بصيلك أذهب المشركين، وأملاً مسامعهم، وأزلزل أقدامهم، ثم وسمة بغرة وتحجيل.

والسبب في خلق أول فرس كميئاً محاكاة لآدم عليه السلام، لأنه سمي آدم من الأدمة، وهي السمرة، والكميئة في الخيل تحاكي السمرة في الأدميين، فكان أول مخلوق من البشر أسمر وكذا أول فرس؛ وهذا دليل على شرفه ويمنه. فلما خلق الله آدم قال: "يا آدم! اختر أي الدابتين، يعني الفرس أو البراق فقال: يا جبريل اخترت أحسنهما وجهاً، وهو الفرس فقال تعالى: يا آدم! اخترت عزك وعز ولدك باقياً ما بقوا وخالداً ما خلدوا".

وسئل صفي الدين السبكي أكان خلقها قبل آدم أم بعده؟ فقال: "قبله بدليل قوله تعالى: (خلق لكم ما في الأرض جميعاً) فالأرض وما فيها خلقها الله تعالى إكراماً لآدم وأولاده، والعظيم يهياً له ما يحتاج إليه قبل قدومه"، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لما سمعت الملائكة صفة الفرس وعابنوا خلقها، قالت: رب نحن ملائكتك نسبحك، ونحمدك، فماذا لنا؟ فخلق لها خيلاً بلقاً، أعناقها كأعناق البخت يمد بها من يشاء من أنبيائه ورسله".

وأول من ركبها بعد آدم من العرب من أولاد عدنان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ومن بني قحطان يعرب. روى الزبير بن بكار من حديث داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كانت الخيل وحوشاً لا تركب، فأول من ركبها إسماعيل فلذلك سميت العرب".

وروى الواقدي عن عبد الله بن يزيد الهلالي، عن مسلم، عن جندب، أن: "أول من ركب الخيل، إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وإنما كانت وحشاً لا تطاق حتى سخرت له".

وروى أحمد بن سليمان النجار، بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كانت الخيل وحشاً كسائر الوحوش، فلما أذن الله عز وجل لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت، قال عز وجل: إني معطيكما كنزاً آخرته لكما، ثم أوحى الله إلى إسماعيل أن اخرج وادع بذلك الكنز فخرج إسماعيل وما يدري ما الدعاء ولا الكنز، حتى أتى (أجياد)، فألهمه الله عز وجل الدعاء، فنأدى يا خيل الله أجيبي، فلم يبق فرس بأرض العرب إلا أجابته ومكنته من نواصيها، وذلك له ثم قال: فاركبوها واعتقدوها فإنها ميامين وإنما ميراث أيكم إسماعيل عليه السلام؛ وأجياد اسم جبل بمكة.

وأول من سخرها وركبها من ملوك الفرس طهمورث، وأول من اتخذ السروج من ملوك الفرس، أفريدون بن أسفنان. وأول من اتخذ اللجم وأنعل الخيل بالحديد من العرب، أرحب الهمداني وفي ذلك يقول مالك بن بلالة بن أرحب:

أمرت بإيتاء اللجم فأبدعت ... وأنعلت خيلي في المسير حديدا
وأرحب جدي كان أحدث قبلنا ... ولو نطقت كانت بذاك شهودا

وقد كانت العرب تركيها بالرحالة وتتخذ من جلود الغنم بأصوافها، وتخشى صوفاً، أو ليفاً لتكون أخف بالطلب، وهي المعروفة في القطر الشامي بلكدعة. والبراق: دابة دون البغل وفوق الحمار، أبيض، مضطرب الأذنين، كالفرس وجهاً وعرفاً، وكالبعير قوائم، والبقر ذنباً، وأظلاًفاً يضع حافره عند منتهى طرفه، إذا أخذ في هبوط طالت يداه وإذا أخذ في صعود طالت رجلاه، أعده الله تعالى لركوب الرسل الكرام، عليهم من الله تعالى أفضل التحية وأكمل السلام.

الباب الأول فيما جاء في فضلها وتكريمها وكرهة التشاؤم منها والنهي عن أكل لحومها وإخصائها وفيه أربعة فصول

الفصل الأول فيما يدل على فضلها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

اعلم أن الخيل أشرف الحيوانات ذوات الأربع، ولذا أقسم الله بها في كتابه العزيز بقوله: (والعاديات ضبحاً) فالعاديات جمع عادية، وهي سريعة الجري، والضبح صوت نفسها عند العدو، ليس بصهيل ولا حمحمة. (بالموريات قدحاً) الإبراء: إخراج النار، والقدهح الضرب، أي الضاربة بحوافرها الحجارة، فتخرج النار منها (بالمغيرات صبحاً) وهو الوقت المعتاد للغارة، (فأثرن به نقعاً) أي هيجن به غباراً. ومدحها بقوله: (والخيل المسومة) أي المعلمة بالوضح والغرة؛ والخيل جمع لا واحد له من لفظه، وسميت بذلك لاختيارها في المشي.

وذكرها في معرض الامتنان، وقدمها في الذكر بقوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) وسمها خيراً بقوله: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشي الصافيات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) الصافيات: جمع صافن، وهو أن يقوم على ثلاث ويثني سنبك اليد الرابعة، والجياد: جمع جواد: أي، بين الجودة بضم الجيم. وقد وصفت هنا بأكمل الأوصاف، حالتي الوقوف والحركة، فالصفون حالة الوقوف والجودة حالة الحركة، وعنى بالخير الخيل، والعرب تسميها خيراً. ثم قال (عن ذكر ربي) أي لا عن شهوة وهوى.

روي أن سليمان عليه السلام، أراد الغزو فجلس على كرسيه، وأمر بإحضار الخيل وإجرائها، وقال: إني لا أجريها لحظ النفس بل لأمر الله تعالى، ولم تزل تسير وتجري حتى توارت بالحجاب، أي غابت عن بصره، فأمر الرواض بردها، فلما ردت، طفق يسمح سوقها وأعناقها، إعلاناً بشرفها وعزها، وأنها أعظم ما يدخر لقهر الأعداء والنصر، وإعلاماً بأن خدمة الأمراء لها ومعالجة أمرها، لا تحل بشرفهم ومراتبهم، وإظهاراً للفرح بنعمة الله عليه بها، ليبالغ في شكرها، وهذا التفسير أليق بشأن النبوة ومقام الرسالة.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، في فضلها عموماً وفي فضل خيل الجهاد خصوصاً، أحاديث كثيرة، اقتصرنا منها على إيراد بعض ما ورد في عمومها، فمن ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لم يكن شيء أحب إلى رسول الله بعد النساء من الخيل".

وعن عائذ بن نصيب قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتى بفرس شقراء في سوق المدينة مع إعرابي، فلوى ناصيتها بين إصبعيه وقال: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة".

وعن عبد الله بن دينار قال: "مسح رسول الله وجه فرسه بيده وقال: إن جبريل بات الليلة يعاتبني في إذالة الخيل". وعن نعيم بن أبي هند، أن النبي صلى الله عليه وسلم "أتى بفرس فقام إليه يمسح عينيه، ومنتخريه، بكم قميصه فقيل: يا رسول الله؛ تمسح بكم قميصك؟ فقال: إن جبريل عاتبني في الخيل".

وعن جرير بن عبد الله قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يلوي ناصية فرسه ويقول: الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة". وقال صلى الله عليه وسلم: "الخيال مبدأة الورد - أي: يبدأ بها في السقي قبل الإبل والغنم -، وإذا مرت بنهر عجاج فشربت منه، كتبت له حسنات" وعن مجاهد قال: "أبصر النبي صلى الله عليه وسلم إنساناً ضرب فرسه ولعنه، فقال: هذه مع تلك لتمسك النار إلا أن تقاتل عليه في سبيل الله؛ فجعل الرجل يقاتل عليه إلى أن كبر وضعف وجعل يقول: اشهدوا اشهدوا". وعن زيد بن ثابت، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "قضى في عين الفرس ربع ثمنه". وعن عروة البارقي قال: "كانت لي أفراس فيها فحل شراؤه عشرون ألف درهم، ففقد عينه دهقان فأتيت عمر رضي الله عنه، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن خير الدهقان بين أن يعطيه عشرين ألفاً ويأخذ الفرس، وبين أن يغرم بربع الثمن".

وعن عبادة بن الصامت قال: "عرضت على معاوية خيل فقال لرجل من الأنصار: يا ابن الخنظلية! ماذا سمعت رسول الله في الخيل؟ قال: سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وصاحبها يعان عليها، والمنفق عليها، كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها، وأبواها وأرواها عند الله يوم القيامة كذكي المسك". وفي رواية: "كف من مسك الجنة". وفي أخرى: "فامسحوا بنواصيها وادعوا الله لها بالبركة، وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار"، لأن العرب كانت تقلد الخيل أوتار القسي لثلاث تصيبيها العين، فنهاهم عن ذلك، وأعلمهم أن الأوتار لا ترد شيئاً من قضاء الله تعالى. ورخص بتقليدها الخرز لأجل الزينة. قيل لأعرابي ما تقول في نساء بني فلان؟ قال: هن قلائد الخيل، أي كرام لأنه لا يقلد من الخيل إلا الكريم السابق.

وعن سواد بن الربيع الجرمي قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر لي بنود وقال لي: عليك بالخيال فإن في نواصيها الخير إلى يوم القيامة" وفي رواية: "والأجر والمغنم".

وعن سواد أيضاً قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اربطوا الخيل فإن الخيل في نواصيها الخير" وفي رواية "الغنم بركة الإبل عز لأهلها والخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة. وعبدك أخوك فأحسن إليه، وإن وجدته مغلوباً فأعنه". وقال صلى الله عليه وسلم: "العخر في أهل الخيل، والجفاء في أهل الإبل، والسكينة في أهل الغنم".

وعن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من رجل مسلم إلا حق عليه أن يربط فرساً إذا أطاق ذلك" وفي الخبر "العز في نواصي الخيل والذل في أذنان البقر" وقال صلى الله عليه وسلم - لما رأى السكة ببعض دور الأنصار -: "ما دخلت هذه دار قوم إلا دخله الذل" وذلك لما يتبعها من المغرم المفضي إلى التحكم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لما استقرت أمور الحجاج الثقفي خرجنا حتى قلنا بلدة واسط وذكر اجتماعه بالحجاج وعرض خيله عليه، فقال أنس: الخيل ثلاثة أفراس: فرس يتخذه صاحبه يريد أن يجاهد عليه، ففي قيامه عليه وعلقه وأدبه إياه - أحسبه قال - وكسح منودته، أي كسحه أجر في ميزانه يوم القيامة. وفرس يصيب أهلها من نسلها يريدون بذلك وجه الله فقيامهم وأدبهم إياها وعلقهم إياها وكسح روئها أجر في ميزانهم يوم القيامة، وأهلها معانون عليها. وفرس للشيطان فقيام أهلها عليه وعلقهم إياه وغير ذلك وزر في ميزانهم يوم القيامة".

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الخيال ثلاثة: فرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان، فأما فرس الرحمن فالذي يرتبط في سبيل الله، وأما فرس الإنسان فالتى يرتبطها الإنسان يلتصق بطنها فهي ستر من فقر، وأما فرس الشيطان فالذي يقيم ليراهن عليه". وعنه صلى الله عليه وسلم: "المنفق على الخيل كالمستكفي بالصدقة"، أي: الباسط يده لبعطيها، وفي رواية: "لم ينس حق الله في رقابها وظهورها"؛ أي: الإحسان

إليها ومنع ظهورها من الحمل عليها. وعن علي بن حوشب سمعت مكحولاً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكرموا الخيل وجللوها" وعن الوضين بن عطاء عنه صلى الله عليه وسلم: "لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها". وقال الجعفي:

الخير ما طلعت شمس وما غربت ... معلق بنواصي الخيل معقود
وقال كعب بن مالك الأنصاري:

ونعد للأعداء كل مقلص ... ورد ومحجول القوائم أبلق

أمر الإله بربطها لعدوه ... في الخوف إن الله خير موق

فتكون غيظاً للعدو وحافظاً ... للدار إذ دلفت خيول المرق

وقال علقمة بن عامر المازني:

ما كنت أجعل مالي فرغ شائنة ... في رأس جذع يصيب الماء في الطين

الخيل من عدتي أوصى الإله بها ... ولم يوص بغرس في البساتين

الفصل الثاني في تكريم العرب لها وحبهم إيها وما ورد عنهم في ذلك

اعلم أن العرب تحب الخيل، وتبالغ في إكرامها، وترى أن العز والزينة بها، وقهر الأعداء على ظهورها، والغناء على بطونها، قال الشاعر:

قلاند نحن افتديناهنّ ... نعم الحصون والعداد هنّ

ومحض رسول الله صلى الله عليه وسلم، على اقتنائها، وتنويهه بفضلها، وتفخيم شأنها، اكتسبت حب الشرع وحب الطبع، فكانت عندهم كأفلاذ الأكباد، أعز عليهم من الأنفس والأولاد، وكان الرجل يبيت طوايماً، ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وأهله وولده.

وقال دريد بن الصمة لأبي النصر: "قد رأيت منكم خصالاً لم أرها من غيركم، رأيت أبنيتكم مفرقة، ونتاج خيلكم

قليلاً، وسرحكم يجيء معتماً، وصبيانكم يتضاوغون من غير جوع. قال أجل: أما تفرق أبنيتنا فمن غيرتنا على

النساء، وأما قلة نتاج خيلنا فتناج هوازن يكفيننا، وأما بكاء صبياننا، فإننا نبدأ بالخيل قبل العيال، وأما تمسينا بالنعم

فإن فينا الأرامل والغرائب، فتخرج المرأة إلى ما لها حيث لا تراها الرجال". وقال أكثم بن صيفي: "عليكم بالخيل،

فأكرموها فإنها حصون العرب، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها، فإن فيها ثمن الكريمة ورقوء الدم وبأبائها

يتحف الكبير، ويغذى الصغير". وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

أحبوا الخيل واصطبروا عليها ... فإن العز فيها والجمال

إذا ما الخيل ضيعها أناس ... ربطناها فأشركت العيالا

نقاسمها المعيشة كل يوم ... ونكسوها البراقع والجلالا

وقال خالد بن جعفر بن كلاب:

أديروني أداكم فإني ... وحذفة كالشجي تحت الوريد

مقربة أسومها بجز ... وأحفها ردائي في الجليد

وأوصي الراغبين ليؤثروها ... لها لبن الخلية والصعود

تراها في الغزاة وهن شعث ... كقلب العاج في رسغ الجليد
بييت رباطها بالليل كهي ... على عود الحشيش وعير غود
لعل الله يفردي عليها ... جهاداً من زهير أو أسيد
وقال مالك بن نويرة:

إذا ضيع الأندال في الحل خيلهم ... فلم يركبوا حتى تهيج المضاييف
كفاني دوائى ذو الحمار وصيفق ... على حين لا يقوى على الخيل عاتف
أعلل أهلي عن قليل متاعهم ... وأسقيه غص الشول والحي هاتف
وقال فارس جروة شداد بن معاوية العبسي:

فمن يك سائلاً عني فإني ... وجروة كالشحي تحت الوريد
أقوتها بقوتي إن شتونا ... وأحفها ردائي في الجليد
وقال:

ومن يك سائلاً عني فإني ... وجروة لا تباع ولا تعار
مقربة الشتاء ولا تراها ... أمام الحي يتبعها المهار
لها بالصيف جرجار وجل ... وست من كرائمها غزار
والمعنى: أنه اقتناها للحرب، فلا تباع ولا تعار، ولا يطلب نسلها، ولها من كرائم الإبل ست فوق تشرب من أليانها.
وقال أيضاً:

ألا لا تطلبوا فرسي لبيع ... فجروة لا تباع ولا تعار
لنا من ظهرها حصن منيع ... وفي وثباتها نور ونار
فنفديها إذا جاءت إلينا ... مع الرعيان تتبعها المهار
وندخرها لأيام الرزايا ... ففتحينا إذا طلع الغبار
فجروة مهرة في الخيل تسمو ... كما يسمو على الليل النهار
تطير مع الرياح بغير ريش ... ولم يلحق لها أبداً غبار
وكان لعنترة بن شداد فرس اسمه الأجر ابن نعامة وكان يسقيه الحليب قبل أن يسقي زوجته عبلة فعاتبته على ذلك
فقال:

لا تحسدي مهري وما أسقيته ... ما أنت إلا في مقام أعظم
فإذا غضبت فلي إليك وسيلة ... إما بعقد أو بثوب معلم
وإبن النعام ما إليه وسيلة ... إلا بطيبة مشرب أو مطعم
إن كان حبك في الفؤاد محله ... في أعظمي يجري كما يجري دمي
فاروي صداه من الظما فلعله ... ينجيك من هول الغبار المظلم
إني أحاذر أن تقولي مرة ... هذا غبار ساطع فتقدم
فيخونني وقت الطعان فتصبحي ... مسيبة بتحسر وتندم
وقال أيضاً:

ولا تذكرني فرسي وما أطعمته ... فيكون جلدك مثل جلد الأجر

إن الغبوق له، وأنت مسوءة ... فتأوهي ما شئت ثم تحوي
كذب العتيق وماء شن بارد ... إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهي
إن الرجال لهم إليك وسيلة ... إن يأخذوك تكحلي وتخضي
ويكون مركبك القعود وحدجه ... وابن النعامه عند ذلك مركبي
وأنا امرؤ إن يأخذوني عنوة ... أقرن إلى شر الركاب وأجب
إني أحاذر أن تقول ظعيتي ... هذا غبار ساطع فتليب

وكان لعبيدة بن الربيع التميمي فرس تسمى سكاب، فطلبها منه بعض الملوك فقال:

أبيت اللعب إن سكاب علق ... نفيس لا تعار ولا تباع
مفاداة مكرومة علينا ... يجاع لها العيال ولا تجاع
سليلة سابقين تناجلاها ... إذا نسبا يضمهما الكراع
ففيها غرة من غير نفر ... يجيدها إذا حر القراع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها ... ومنعكها بشيء يستطاع
وكفي تستقل بحمل سيفي ... وبى من يهضمني امتناع
وحولي من بني قحفان شيب ... وشبان إلى الهيجا سراع
إذا فزعوا فأمرهم جميع ... وإن لا قوا فأيديهم شعاع
وإذا أوجب الأمر إلى بيعها للضرورة لا يبعونها نسبة إلى كرمها عليهم ويقولون: النقد عند الحافر . وقال أوس بن
غلفاء الجهمي:

أعان على مراس الحرب زغف ... مضاعفة لها حلق توام
ومركضة صريحي أبوها ... بهان لها الغلامه والغلام
وقال حنظلة بن فاتك الأسدي:
أعددت حزمة وهي مقربة ... تقفى بقوت عيالنا وتصان
وقال:

جزتني أمس حزمة سعي صدق ... وما أقفيتها دون العيال
وقال حاجب بن حبيب الأسدي:

وباتت تلوم على تادق ... ليشرى فقد جد عصيانها
ألا إن نجواك في تادق ... سواء علي وإعلانها
وقالت أعشنا به إنني ... أرى الخيل قد تاب أثمانها
فقلت ألم تعلمي أنني ... كريم النكية ميدانها؟

وروي أن سبيع بن الخطيم التميمي خطب إلى عمه ابنته، فقال له عمه: أعطني مهرها فرسك نحلة، فقال: خذ بدنها
إبلاً، فأبى إلا نحلة، فقال سبيع:

تقول نحلة أودعني فقلت لها: عول علي بأبكار هراجيب
لجت علي يمين لا أبدلها ... من ذات قرطين بين النحر واللوب
وحكي أن بعض الفرسان كان يحب ابنه عمه فخطبها من عمه ودفع له مئة ناقة براعيها، فقال: أنت أحق بها من

غيرك، ولا أريد مهرها إلا جوادك فتوقف عن الجواب فنظرت إليه ابنة عمه وغمزته فتنهد وأنشد:

وقععة اللجام برأس مهري ... أحب إلي مما تغمزني
وما هان الجواد علي حتى ... أجود به ورمحي في يميني
أخاف إذا وقعنا في مضيق ... وجد السير، أن لا تحمليني
جواد الخيل إن أركبها تنجي ... وإني إن صحبتك توقعيني
دعيني واذهي يا بنت عمي ... أفي غمز الجفون تراوديني
فمهما كنت في نعم وعز ... متى جار الزمان فتزدريني
وأحشى إن وقعت على فراش ... وطالت علي لا ترحميني
فلما سمعت كلامه اغرورقت عينها بالدموع وأنشأت تقول:
أبي الرحمن أن تنظر هذا ... ولو قطعت شمالي عن يميني
متى عاشرتني وعرفت طبعي ... ستعلم أنني خير القرين
وتحمد صحبتي وتقول كانت ... لهذا البيت كالحصن الحصين
فظن الخير واترك سوء فكر ... وميز ذاك بالعقل الرزين
فتعلم لو تقابلني بدر ... لقل الدر للدر الثمين
ولو بجواهر قالوا تبعها ... بوزني بالجواهر تشتريني
فحاشا من فعال النقص مثلي ... وحاشاها الخيانة للأمين
فلم سمع أبوها منهما ذلك، علم أنه كفو لها فزوجها، وقال مالك بن نويرة.
جزاني دوائي ذو الخمار وصنعتي ... إذا بات أطوائي بني الأصاغر
أخادعهم عنه ليغبق دونهم ... وأعلم غير الظن أي مغادر
كأني وأبدان السلاح عشية ... تمر بنا في بطن فيحاء، طائر.
وقال:

أعلل أهلي عن قليل متاعهم ... وأسقيه محض الشول والحي ضائق
وقال خالد بن جعفر الكلابي:

أمرت الرعاء ليكرموها ... لها لبن الخليفة والصعود
وقال طفيل الغنوي:

وللخيل أيام فمن يصطبر لها ... ويعرف لها أيامها الخير يعقب
وقال:

إني وإن قل مالي، لا يفارقني ... مثل النعام في أوصالها طول
أو ساهم الوجه لم تقطع أناجله ... يسان وهو ليوم الردع مبذول
ساهم الوجه عاليه وهي صفة ممدوحة في الحرب للخيل والناجل الكريم النسل.
وقال كعب بن مالك:

نصبحكم بكل أخي حروب ... وكل مطهم سلس القيادة

خيول لا تضاع إذا أضيعت ... خيول الناس في السنة الجماد
وقال ضبية العبسي:

جزى الله الأغر جزاء صدق ... إذا ما أوقدت نار الحروب
يقيني باللبان ومنكبيه ... وأحميه بمطرود الكعوب
وأدفيه إذا هبت شمال ... بليل حرجف عند الغروب
أراه أهل ذلك حين يسعى ... رعاة الحي في جمع الحلوب
فيخفق مرة ويفيد أخرى ... ويفجع ذا الضغائن بالأريب
إذا شئنا أغر دنا لقاء ... يغص الشيخ باللبن الحليب
شديد مجامع الكتفين طرف ... به أثر الأسنة كالعلوب
وأكرمه على الأبطال حتى ... يرى كالأرجواني الجوب
وقال شاعر بني عامر:

بني عامر ماذا أرى الخيل أصبحت ... بطاناً وبعض الضر للخيل أمثل
بني عامر إن الخيول وقاية ... لأنفسكم والموت وقت مؤجل
أهينوها ما تكرمون وباشروا ... صياتنها والصون للخيل أجمل
متى تكرموها يكرم المرء نفسه ... وكل امرئ من قومع حيث ينزل
وقال الأعرج المعنى:

أرى أم سهل ما تزال تفجع ... تلوم وما أدري علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لفحة ... وما تستوي والورد ساعة تفرع
إذا هي قامت حاسراً مشمعة ... نخيب الفؤاد رأسها ما يقنع
وقمت إليه باللجام ميسراً ... هنالك يجزييني بما كنت أصنع
نخيب الفؤاد: أي طائر اللب، وقال عمر بن مالك:
وسابح كعقاب الجو أجعله ... دون العيال له الإيتار واللفظ
وقال مالك بن زغبة الباهلي:

وذات مناسب جرداء بكر ... كأن سرائها كرمشيق
تنيف بصلهب للخيل عال ... كأن عموده جذع سحوق
تراها عند قببينا نصيراً ... ونبذها إذا باقت بئوق

ذات المناسب: المنسوبة من قبل الأب والأم، وسرائها: أعلاها، والكرم: الحبل، والمشييق: أثر برجلها، وتنيف:
تشرف، والصلهب: طول العنق، والسحوق: الطول والقصر من الخيل المحبوس، والبئوق: الداهية، أي: تصان
لكرامتها وتبذل إذا نزلت شدة وداهية. وقال أبو العلاء المعري:
كان ابن آشى وحده قيناً لها ... إذا قين كل مفاضة مأنوك
فمضى وخلفها تمل كأنما ... حيك السماء قترها الخبوك
تعدو بها الشقاء جنبها الصدى ... يوم الهجير يقينها المشكوك
لما التقى صرد اللجام وناهما ... ألكت فصاح لجامها المألوك

وتخالها عند الجريح إذا هوى ... أمّا يقر بها ابنها المنهوك
وسقيتها الخض الصريح وطعمه ... حلو وكان لغيرها الصمكوك
الصمكوك: اللبن الخائر الحامض، والخض الصريح: اللبن الخالص.
وقال قبيصة ابن النصراني الجرمي:

هاجرني يا بنت آل سعد ... أئن حليت لقحة للورد
جهلت من عنانه الممتد ... ونظري في عطفة الألد
إذا جياذ الخيل جاءت تردى ... مملوءة من غضب وحرده
وقال آخر:

فإني له في الصيف ظل بارد ... ونصي ناعجة ومحض منقع
حتى إذا نبح الطباء بداله ... عجل كأحمر الصريمة أربع
النصي: اسم نبت، والناعجة: الأرض السهلة، أي: هو كريم أعد له أربعة أسقية مملوءة من الحليب كأنها الصخر
الملمس من اكتنازها، وأراد بنبح الطباء: طلوع الفجر، لأن الظبي إذا أسن نبح عند طلوعه.
وكان لا يسقون الحليب ولا الحازر من اللبن إلا لجياذ الخيل. قال الشاعر:

لا تسقه حزرًا ولا حليبا ... إن لم تجده ساجحاً يعوبها
ذا ميعة يلتهم الجوبيا ... يترك صوان الصوى ركوبا
بزلاقات قعبت تعقبيا ... يترك في آثاره لهوبا
يبادر الآثار أن تزوبا ... وحاجب الجونة أن يغيبا
كالذئب يتلو أقمعاً قريباً ... على هراميت ترى العجيبا
إن تدع الشيخ فلن يجيبا

اليعوب: كثير الجري، والميعة: النشاط والحدة، والالتهام: الابتلاع، والجوب: وجه الأرض، والصوان: صم
الحجارة، والصوى: الأعلام، والركوب: المذلل، والزلاقات: الحوافر، والأبوب: الرجوع، والجونة: الشمس، أي:
يباد آثار المظلومين قبل مغيب الشمس، وشبه الفرس بالذئب الطامع في صيد قريب منه، وهو نهاية الطمع.
وقال ثعلبة بن عمرو العبدي:

وأهلك مهر أبيك الدواء ... وليس له من طعام نصيب
خلا إنهم كلما أوردوا ... يصبح قعباً عليه ذنوب

أي: أن فرس أبيك يسقى قعباً من لبن عليه ذنوب من الماء ولا يخدم بالمعالجة فلذا هلك.
وقال الأخنس بن شهاب:

ترى رائدات الخيل حول بيوتنا ... كمعز الحجاز أعوزتها الزرائب
فيغبقن أحلاباً ويصبحن مثلها ... فهن من العداء قب شواذب
وقال القطامي:

ونحن نرود الخيل وسط بيوتنا ... ويغبقن محضاً وهي محل مسانف
المسانف: القحط.

وقال الفجيجي صاحب السلوانية:

وخيلي حليب الشول صرفاً شراهما ... وصافي النصي رعيها لا المزارع
وتعلف مبيض الشعير وأنقي ... لها من نبات الأرض ما هو نافع
الشول: الإبل، وشرب حليبها يقوي عصب الإنسان والخيل وبقص اللحم.
وقال سيدي الوالد قدس الله سره:
يا عاذراً لا مرئى قد هام في الحضر ... وعاذلاً لحب البدو والقفر
لا تدمن بيوتاً خف محملها ... وتمدحن بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني ... لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقياً ... بساط رمل به الحصاء كالدرر
أو جلت في روضة قد راق منظرها ... بكل لون جميل شيق عطر
تستشقن نسيماً طاب منتشفاً ... يزيد في الروح لم يمرر على قدر
أو كنت في صبح ليل هاج هاتنه ... علوت في مرقب أو جلت بالنظر
رأيت في كل وجه من بسائطها ... سرّباً من الوحش يرعى أطيب الشجر
فيا لها وقفة لم تبق من حزن ... في قلب مضني ولا كد لذي ضجر
نباكر الصيد أحياناً فنبغته ... فالصيد منا مدى الأوقات في دعر
فكم ظلمنا ظليماً مع نعامته ... وإن يكن طائراً في الجو كالصقر
يوم الرحيل إذا شدت هوادجنا ... شقائق عمها مزن من المطر
فيها العذارى وفيها قد جعلن كوى ... مرقعات بأحداق من الحور
تمشي الحدأة لها من خلفها زجل ... أشهى من الناي والسنتير والوتر
ونحن فوق جياذ الخيل نركضها ... شليلها زينة الأكفال والخصر
نطارذ الوحش والغزلان نلحقها ... على البعاد وما تنجو من الضمر
نروح للحى ليلاً بعد ما نزلوا ... منازل ما بها لطخ من الوضر
تراهما المسك بل أنقى وجاد بها ... صوب الغمام بالآصال والبكر
نلقى الخيام وقد صفت بها فعدت ... مثل السماء زهت بالأنجم الزهر
قال الأئلى قد مضوا قولاً يصدقه ... نقل وعقل وما للحق من غير
الحسن يظهر في بيتين رونقه ... بيت من الشعر أو بيت من الشعر
أنعامنا إن أتت عند العشي تخل ... أصواتها كلوي الرعد بالسحر
سفائن البر بل أنجى لراكبها ... سفائن البحر كم فيها من الخطر
لنا المهاري وما للريم سرعتها ... بها وبالخيل نلنا كل مفتخر
فخيلنا دائماً للحرب مسرجةً ... من استغاث بنا بشره بالظفر
لا نحمل الضيم ممن جار نتركه ... وأرضه وجميع العز في السفر
وإن أساء علينا الجار عشرته ... نبين عنه بلا ضر ولا ضرر
تبيت نار القرى تبدو لطارقنا ... فيها المداواة من جوع ومن خصر
عدونا ماله ملجأ ولا وزر ... وعندنا عاديات السبق والظفر

شراهما من حليب لا يخالطه ... ماء وليس حليب النوق كالبقر
أموال أعدائنا في كل آونة ... تقضي بقسمتها بالعدل والقدر
ما في البداوة من عيب تدم به ... إلا المروءة والإحسان بالبدن
وصحة الجسم فيها غير خافية ... والعيب والداء مقصور على الحضر
من لم يمت عندنا بالطعن عاش مداً ... فنحن أطول خلق الله في العمر
وكان أشرف العرب يخدمون الخيل بأنفسهم لا يتكلمون على أحد سواهم. قال الأعشى يمدح النعمان بن المنذر:
ويأمر لليحموم كل عشية ... بقت وتعليف فقد كان يسق
أي: مع شرفه وعزة سلطانه، كان يفقد فرسه، والسبق: التخمّة، فإن لم يكن حاضراً يخلمنها عائلته.
وكتب سليمان بن هشام بن عبد الملك إلى والده، إن فرسي قد ضعف فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بغيره.
فكتب إليه والده إن أمير المؤمنين قد فهم ما ذكرت من ضعف فرسك، وظن أن ذلك من قلة تعهدك له فقم عليه
بنفسك.

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

تظل جيادنا متمطرات ... يلطمهن بالخمير النساء
ينازعن الأئنة مصعدات ... على أكتادها أسد ضراء
وقال حميد بن ثور:
فلما كشفن عنه مسحنه ... بأطراف طفل زان غيلاً موثماً
ومن الحكم: ثلاثة لا ينبغي لأحد أن يأنف منهن وإن كان شريفاً أو أميراً؛ قيامه عن مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه،
وقيامه على فرسه.

وقال محمد بن يزيد المرواني:

ومن ورق صامت بدرة ... ينوء بها الأغلب الأعصم
ففضت لهن خواتمها ... وبدرتنا الدهر لا تخم
نوزعها بين خدامها ... ونحن لها منهم أخلم
وأنا لرتبط المقربات ... في اللدّات فما ترزم
نعد لها الخض بعد الثلث ... كما يصلح الصبية المعظم
ونخلطها بضميم العيال ... بمن لم يحب وهو الحرم
مشاربها الصافيات العذب ... ومطعمهن هو المطعم
فهن بأكناف أبياتنا ... صوافن يصلهن أو حوم
وقال المقنع الكندي:

وإني لعبد الضيف مادام نازلاً ... وما شيمة لي غيرها تشبه العبادا
وقبله:

يعاتني في الدين أهلي وإنما ... ديوني في أشياء تكسيهم حمدا
أسد بما قد أخلوا وضيعوا ... تغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
وفي جفنة ما يغلق الباب دوها ... مكللة لحمًا مدفقة تردا

وفي فرس فهد عتيق جعلته ... حجاباً لبيتي ثم أخدمته عبداً
وإن الذي بيني وبين أبي ... وبين بني عمي لمختلف جداً
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
وإن همُّ هووا غيبي حفظت غيوبهم ... وإن ضيعوا رشدي أقمتم لهم رشداً
وليسوا إلى نصري سراعاً وإن هم ... دعوني إلى نصر أتيهم شداً
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقداً
لهم جل مالي إن تتابع لي غني ... وإن قل مالي، لم أكلفهم رفداً
وإني لعبد الضيف... البيت

الفصل الثالث فيما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من كراهة التشاؤم بما

روي عن حكيم بن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا شؤم وقد يكون اليمين في المرأة والدار والفرس".

وعن سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البركة في ثلاث في الفرس والمرأة والدار". قال الزهري: سألت سالم بن عبد الله عن معنى الحديث وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الشؤم في ثلاثة في الفرس والمرأة والدار"، فقال: "قال صلى الله عليه وسلم: إذا كان الفرس ضروراً فهو مشؤوم، وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجاً قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤومة، وإذا كانت الدار بعيدة عن المسجد لا يسمع فيها الأذان فهي مشؤومة، وإذا كن بغير هذا الوصف فهن مباركات". وقال القاضي عياض: "معناه اعتقاد الناس هذا لا أنه خبر منه صلى الله عليه وسلم عن إثبات الشؤم لها".
وروي عن مكحول أنه قال لعائشة رضي الله عنها: "إن أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشؤم في ثلاثة في الدار والمرأة والفرس. فقالت عائشة: لم يحفظ أبو هريرة لأنه دخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قاتل الله اليهود يقولون الشؤم في ثلاثة في الدار، والمرأة، والفرس، فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله".

وروي عنه صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقوص في نواصيها الخير إلى يوم القيامة" (العقصة: الضفيرة). وعن أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم: "البركة في نواصي الخيل" الناصية الشعر المسترسل على الجبهة، وفي الحديث: "ثلاثة لا يسلم منها أحد: الطيرة والحسد، والظن، قيل فما نصنع؟ قال: إذا تطيرت فأمض، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تصحح".

وروي: "الطيرة شرك"، قال الترمذي: "هي سوء الظن بالله والهرب من قضائه، لأن العرب كانوا يعتقدون أن ما يتشاءمون به سبب مؤثر في حصول المكروه، ومن اعتقد أن غير الله تعالى يضر أو ينفع، فقد أشرك" زاد يحيى القطان عن شعبة: "وما منا إلا من يعتره الوهم قهراً، ولكن الله يهديه بالتوكل". ومن لطيف ما حكى، أنه عرض على أبي مسلم الخراساني فرس لم ير مثله، فقال: "لماذا يصلح هذا الجواد؟ قالوا: للغزو في سبيل الله؛ فقال: لا. قالوا: يطلب عليه العدو، فقال: لا. قالوا: فلماذا يصلح أصلح الله الأمير؟ فقال: ليركبه الرجل ويفر من المرأة السوء والجار السوء". وقيل: من سعادة المرء: امرأة حسناء ودار قوراء، وفرس مربوطة بالقناء.

الفصل الرابع فيما ورد من النهي عن أكل لحومها وإخصائها وجز نواصيها وأذناها

قال تعالى: "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة". وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل لحوم الخيل"، أي: وإن كان حلالاً لثلاثاً يقل نسلها، فتفقد آلة في الجهاد، وقد خصها الله بسهمين من الغنيمه دون غيرها لفضلها. ونهى صلى الله عليه وسلم عن إخصائها. فقد ورد عن عمرو بن العاص قال: "أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً من حدس "حي من اليمن" فأعطاه رجلاً من الأنصار وقال: إذا نزلت فانزل قريباً مني فإني أتسار إلى صهيله. ففقدته ليلة، فسأل عنه، فقال: يا رسول الله خصيناه، فقال مثلت به - يقولها ثلاثاً -، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة أعرافها وأدفاؤها، وأذناها مذاًبها التمسوا نسلها وباهوا بصهيلها المشركين".

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إخصاء الخيل"، أي: إن لم تخف منه العض أو سوء الخلق، كما بينه الفقهاء. وعن مكحول: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جز أذنا الخيل وأعرافها ونواصيها وقال: إنما أذناها مذاًبها وأعرافها أدفاؤها وأما نواصيها ففيها الخيل". وعن أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم: "لا تملبوا أذنا الخيل، ولا تجزوا أعرافها ونواصيها" وقال: "البركة في نواصيها، ودفاؤها في أعرافها، وأذناها مذاًبها". وعن الشعبي قال: "قرأت كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عامله على الكوفة سعد بن أبي وقاص ينهى حذف أذنا الخيل وأعرافها وإخصائها ويأمر أن يجري من رأس المتين، وهو أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والبريد ثلاثة فراسخ، وأول من جز ناصية فرسه وذنبها الحارس بن عباد يوم تحلاق اللمم في أيام حرب البسوس، وذلك أنه لما سمع بقتل ولده بجير دعا بفرسه النعامة فجيء بما فجز ناصيتها وذنبها ونادى في قومه، وأنشد قصيدته التي مطلعها:

كل شيء مصيره للزوال ... غير ربي وصالح الأعمال

ومنها:

قرباً مربوط النعامة مني ... لقمحت حرب وائل عن حيال

فاتخذت العرب ذلك سنة، إذا أرادوا إدراك الثأر، فعلوا ذلك بجيهم. فلما بلغ المهلهل فعل الحارث، دعا بفرسه المشهر وفعل به ما فعله الحارث بالنعامة وقال قصيدته التي مطلعها: هل عرفت الغداة من أطلال ... رهن ربح وديمة مهطال

ومنها:

قرباً مربوط للشهر مني ... لكليب الذي أشاب قذالي

تتمة قي سقوط الزكاة عنها عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تجاوز لكم عن صدقة الخيل". وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ من الخيل صدقة". وعن سلمان بن يسار "أن أهل الشام قالوا لأبي عبيدة: خذ من خيلنا صدقة فأبي، ثم كتب إلى عمر فأبي فكلموه أيضاً فكتب إلى عمر فكتب إليه: إن أحبوا فخذها منهم واردها". أي: على فقرائهم لقوله تعالى: "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة" فهي زينة الله التي أخرج لعباده، فالحيوان الذي له الكر والقر أنفع حيوان في الجهاد في سبيل الله فالأغلب أنه لله، وما كان لله فليس فيه حق الله، وأما إذا كانت سائمة ففيها الزكاة. روي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "في الخيل السائمة في كل فرس دينار".

الباب الثاني في بيان أنواعها وفضل الذكر منها على الأنتى وفيه خمسة فصول

الفصل الأول في العربي

اعلم أن الخيل على أربعة أقسام: عربي وهجين ومقرف وبرذون، فالعربي هو الذي أبوه وأمه متساويان في الأصل، ويسمى: عتيقاً لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه، والغالب أن يكون متوسط الجسم متناسب الأعضاء يعجب كل من رآه. قال الأعشى:

تدر على غير أسمائها ... مطرفة بعد إتلادها

المطرف: كريم الآباء والأمهات، والتلاد: المال القديم المورث عن الآباء، وقال البحري:
وإني الضلوع يشيد عقد حزامه ... يوم اللقاء على معم مخول
وقال أبو تمام:

وقب لي بعجاج موكبك الصبا ... إن السماحة تحت ذاك القسطل
بالرافصات كأنها رسل القضا ... والمقربات بمن مثل الأفكل
من نجل كل تليدة أعراقه ... طرف معم في السوايق مخول
المقربات: ما تقرب من البيوت لكرمها، والأفكل: الرعدة.
وقال آخر:

فلما رأوا ما قد رآته شهوده ... تنادوا ألا هذا الجواد المؤمل
أبوه ابن زاد الركب وهو ابن أخته ... معم لعمرى في الجياد ومخول
وقال ابن الخطيب الأندلسي:

أو من كميت لا نظير لحسنه ... سام معم في السوايق مخول

المعم: كريم الأعمام، والمخول: كريم الأخوال. ويقال: كرم الفرس، إذا رق جلده ولان شعره وطابت رائحته، ويكنى الفرس العربي بأبي شجاع وأبي مدرك وأبي المضمار وأبي المنجي.

روي عن عبد الله بن عريب الملكي عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الجن لا تجبل أحداً في بيته عتيق من الخيل". وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان لا يجبل أحداً في دار فيها فرس عتيق". وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان لا يدخل داراً فيها فرس عتيق"، وروي أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أرحم بالليل، فقال له صلى الله عليه وسلم: "اربط فرساً عتيقاً فلم يرحم بعد ذلك. وروي "أن إبليس أتى عيسى بن مريم عليه السلام فقال له: عيسى إني سائلك عن شيء فهل أنت صادق فيه؟ فقال: يا روح الله سلني عما بدا لك. فقال: أسألك بالحي القيوم الذي لا يموت ما الذي يسبل جسمك ويقطع ظهرك، قال: سهيل فرس في سبيل الله في قرية من القرى، أو حصن من الحصون، ولست أدخل داراً فيها فرس عتيق". وعن عمر بن عبد العزيز قال أثبت لي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من كان له فرس عربي فأكرمه أكرمه الله تعالى، وإن أهانه أهانه الله تعالى". وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من فرس عربي إلا يؤذن له عند كل سحر بدعوتين: اللهم خولني من خولتي من بني آدم وجعلني له فاجعني أحب أهله وماله إليه". وعن عمر بن خديج أنه قال: "لما فتحت مصر كان لكل قوم مراغة يمرغون فيها خيولهم، فمر معاوية بأبي ذر وهو يمرغ فرساً له فسلم عليه ووقف فقال: يا أبا ذر! ما هذا الفرس لا أراه إلا مستجاباً؟ قال: وهل تدعو الخيل؟ قال: نعم ليس من ليلة إلا والفرس يدعو ربه فيها، فيقول: رب إنك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده، اللهم فاجعني أحب إليه من أهله وولده، فمنها المستجاب ومنها غير المستجاب، ولا أرى فرسك هذا إلا مستجاباً".

وعن وهب بن منبه قال: "ما من تسيحة ولا تكبيرة تكون من راكب فرس، إلا والفرس يسمعها ويحببه بمثل قوله". وعن مكحول: "أن النبي صلى الله عليه وسلم هجن الهجين يوم خيبر وعرب العربي: للعربي سهمان وللهجين سهم". وعن أبي موسى أنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنا وجدنا بالعراق خيلاً عراضاً دكاً فما ترى يا أمير المؤمنين في سهماتها فكتب له: تلك البراذين، فما قارب منها العتاق فاجعل له سهماً واحداً، والغ ما سوى ذلك". وعن أبي الأثر قال: "أغارت الخيل على الشام فأدركت العرب من يومها، وأدركت الكوادي ضحى الغد، ورئيس الخيل المنذر بن أبي خصمة الهمداني فقال: لا أجعل التي أدركت من يومها مثل التي لم تدرك. فكتب في ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: هبلت الوادعي أمه، لقد أذكرت به ولقد أذكرني أمراً كنت نسيته أمضوها على ما قال".

قوله: هبلت الهبل الهلاك، والعرب تطلق هذه الكلمة ونظائرها من الدعاء بالمكروه ولا تريد بها شراً، وقد تجربها مجرى المدح عند استعظام الشيء، كقولهم ما له قاتله الله، وقولهم: هبلته أمه، وقوله: لقد أذكرت به، أي: جلالت به ذكراً شهماً. وقد فرقوا بين الإنسان والخيل، فقالوا في الإنسان: عرب وأعراب، وفي الخيل والإبل: عرب، وهي خلاف البراذين والبخاتي. والمغرب من الخيل: الذي ليس في عرقه هجين، والأثنى: معربة، وأعراب الفرس: إذا عرف عتقه من صهيله، والإعراب: معرفة الناس العربي من الهجين إذا سهل قال الجعدي: ويصهل في مثل جوف الطوى ... صهيلاً تبين للمعرب (أي ظهر أنه من العرب حين سمع صهيله)

الفصل الثاني في الهجين

وهو ما كان أبوه أشرف من أمه: مأخوذ من المهجنة، وهي العيب، وهو دون المقرف، قال الشاعر:
لا يدرك العربي الهجين بجله ... ولا حليه في سرجه ولجامه
أي: ولو تحلى الهجين بأنواع الزينة لا يدرك العربي، وقال ذهلة ابن شيبان:
وإذا تقابل مجريان لغاية ... عشر الهجين وأسلمته الأرجل
ويجي الصريح مع العتاق معوداً ... قرب الجياد فلم يجته الأفكل

الفصل الثالث في المقرف

وهو ما كانت أمه أشرف من أبيه مأخوذ من القرف، وهو القرب، لقربه من الهجين، وإن كان أحط منه، قال الأعشى:
قافل جرشع تراه كئيس ال ... ريل لا مقرف ولا مخشوب
تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر أولادها كالزيب
القافل: الضامر، والجرشع: منفخ الجنين، والمخشوب: الذي لم يحسن تعليمه ورياضته، وقال محمد بن بسام في ابن المرزبان:

بخلت عني بمقرف عطب ... فلم ترايني ما عشت أركبه
وإن تكن صنته فما خلق الل ... ه مصوناً وأنت تركبه

ويقال للمقرف: مندرع، - بالذال المعجمة - قال الفرزدق:

إذا باهلي عنده حنظلية ... له ولد منها فذاك المندرع

فالمندرع كالبلغل، إذا سئل عن أبيه قال: أمي الفرس. قال ابن قيس العلوي:

إن المندرع لا تغني خؤولته ... كالبلغل يعجز عن شوط المخاضير

وقال آخر:

قوم توارث بيت اللؤم أولهم ... كما توارث رقم المندرع الحمر

وسمي مندرعاً لشبهه بالبلغل: لأن كلا منهما في ذراعيه رقمتان كرقمتي ذراع الحمار، والهجنة في الإنسان من قبل

أمه. قالت حميدة بنت النعمان بن بشير في الفيض بت عقيل الثقفي:

وما أنا إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحللها نغل

فإن نتجت مهراً فالله درها ... وإن يك أقرافاً فما أنجب الفحل

النغل: - بالنون - الخسيس من الدواب، وقد غلط من رواه تحللها بغل لأن البغل لا يتتج. وعن جبلة بن عبد

الملك قال سابق عبد الملك بن مروان بن ولديه سليمان ومسلمة، فسبق سليمان، فقال عبد الملك:

ألم أنهكم أن تحملوا هجناكم ... على خيلكم يوم الرهان فتدرك

وما يستوي المرآن هذا ابن حرة ... وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فتضعف عضداه ويخفت صوته ... وتقصر رجلاه فلا يتحرك

وأدرك خالات له فترعنه ... إلا أن عرق السوء لا بد مدرك

ثم أقبل على مصقلة بن هبيرة الشيباني فقال: أتدري من يقول هذا؟ قال: لا. فقال: هو قول أخيك، فقال مسلمة: يا

أمير المؤمنين! ما هكذا قال حاتم الطائي، فقال عبد الملك: وماذا قال؟ فقال:

وما أنكحونا طائعين بناقم ... ولكن خطبناها بأسياقنا قسرا

فما زادنا فيها السباء مذلة ... ولا كلفت خبزاً ولا طبخت قدرا

ولكن خلطناهم بحر نساتنا ... فجاءت بهم بيضاً وجوههم زهرا

فكائن ترى فينا من ابن سبية ... إذا لقي الأعداء يطعنها شذرا

ويأخذ رايات الطعان بكفه ... فيوردها بيضاً ويصدرها حمرا

أغر إذا اغبر اللثام كأنه ... إذا ما سرى ليل الدجى قمر بدرا

فقال عبد الملك كالمستحي:

وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصحينا

الفصل الرابع في البرذون

بكسر أوله وفتح الذال المعجمة، وهو الذي استوى أبوه وأمه في الخسة، ويقال للأثنى بردونة، ورمكة بالتحريك،

قال ابن حبيب: البرذون عظيم الأعضاء. بخلاف العربي، فإنه أضمر وأرق أعضاء، ويوصف بغلظ الرقبة، وكثرة

الجلبة، إن أرسلته، قال: أمسكني، وإن أمسكته، قال: أرسلني، ويكنى بأبي الأخطل، لخلط أذنيه، أي استرهما. قال السراج الوراق:

لصاحب الأحباس بردونة ... بعيدة العهد عن القرط

إذا رأته خيلاً على مربط ... تقول سبحانك يا معطي
تمشي إلى خلف إذا ما مشت ... كأنما تكتب بالقبطي
وقال آخر:

نجى علاجاً وبشرأ كل سلهبة ... واستلحم الموت أصحاب البراذين
وأول من أنتج البراذين، أحد ملوك الفرس، فإنه أنزى الخيل العربية على البقر لقوته أعضائها، وشدة صبرها
فأنتجت البراذين. وأول من أنتج البغال أفريدون من ملوكهم أيضاً. وقال للمسعودي: "إن أهالي صعيد مصر مما يلي
الحبشة، كانوا يعلون الثيران على الأتن، والحمير على البقر وإن بلاد الرنج بقراً يقاتلون عليها، وتجري كالخيل
بسروج ولجم".

الفصل الخامس في فضل الذكر على الأنثى

قال تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل" قال ابن عباس رضي الله عنهما: "القوة: الخيل
الذكور، وقوله: من رباط الخيل، أي: الإناث. والذكر أشرف من الأنثى لأنه خلق قبلها فهو أشد حرارة منها، وإن
كانا من جنس واحد من مزاج واحد". وقد تعلق الإرادة الإلهية بتقويم أقواهما حرارة أولاً؛ ولذا خلق آدم عليه
السلام قبل حواء، ويقال للذكر: حصان - بكسر المهملة - لأنه حصن ماءه فلم ينز إلا على كريمة. وروي عن
أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان السلف يجبون الفحول من الخيل ويقولون إنها أجرى وأقوى من الأنثى لأن
المقصد من اقتناء الخيل القتال عليها". قال عمرو بن السليح:
لقيناهم بجمع من علاف ... وبالخيل الصلادمة الذكور
وقال الأعشى:

وأعددت للخيل أوزارها ... رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا
ومنه يعلم أن الذكر في القتال خير من الأنثى؛ لأنه أجرى وأجرأ يقاتل مع صاحبه. قال دكين بن رجا:
أشم خنديد منيف أشعبه ... يقتحم الفارس لولا قبقة
الخنديد: العتيق، والمنيف: المشرف، والشعب: ما أشرف منه، والقبقة: اللجام، فهو بخلاف الأنثى، فإنها ربما تكون
سبب قتل صاحبها، إذا كانت وديقا، ورأت الفحل ولو من غير نوعها لشدة شبقها.
وعن أبي محيرز رضي الله عنه: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلون ركوب الفحول في الصفوف
وسائر أمور الحرب لإرهاب العدو، ويفضلون الخصيان في الكمين والطلاع لأنها أصبر وأقوى في الجهد، ويفضلون
الإناث في الغارات والبيات لعدم صهيلها، ودفعها البول وهي تجري، بخلاف الفحل فإنه يحصر البول حتى يتفقاً".
وللإناث من الخيل فضل على كافة ما يقتنى من المال، ففي الحديث: "خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة".
المأمورة: كثيرة النتاج، والمأبورة: النخلة الملقحة. وفيه أيضاً: "عليكم بإناث الخيل فإن ظهورها عز وبطونها كنز"
وقيل لبعض الحكماء: أي المال أشرف قال: فرس - تتبعها فرس وفي بطنها فرس، ويقال للأنثى: حجر - بلا هاء -
لعدم مشاركة الذكر لها فيه.

الباب الثالث في ألوانها وفيه خمسة فصول

الفصل الأول في الأشقر

وأشهره ستة: مذهب وخلوقي ومدمي وأمغر وسلقد وورد، فالأشقر المذهب هو الذي تعلق شقرته صفرة، والخلوقي هو الذي اشتدت شقرته وعلتها صفرة كلون الزعفران، والمدمي هو الذي تعلق شقرته حمرة، لا كالكيميت، وأصول شعره كأنها خصبت بالحناء، والأمغر هو الذي ليس بناصع الحمرة ولم تشب شقرته بصفرة. والسلقد هو الصافي الخالص ويسمى قرفي، والورد هو الذي تعلق الحمرة إلى الشقرة الخلوقة، وأصول شعره سود، فإذا كان في ذنب الأشقر بياض يسمونه أشعل، ويتشاءمون منه. قال زيد الخيل في فرسه الورد: ما زلت أرميهم بشكة فارس... وبالورد حتى أحرثوه وبلدا وقال ابن نباتة:

وورد من العرب منسوب ولا قطعت... أيدي الحوادث من أنسابه شجره
إذا امتطى ظهره، رامي السهام مضى... والسهم حد، فلولا سبقه عقره
عجبت كيف يسمى ساجاً وله... وثب لو البحر أرسى دونه ظفروه

لما ترفع عن ند يسابقه... أضحى يسابق في ميدانه نظره
والأشقر الورد، إذا اشتملت شقرته، على شهبته، يقال له أغبر. وقد ورد فيها أحاديث وآثار تدل على فضلها. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يمن الخيل في شقرها". وعنه عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الخيل الشقر" وعنه قال: "كان صلى الله عليه وسلم، بطريق تبوك، وقد قل الماء، فبعث الخيل في كل جهة يطلبون الماء، فكان أول من طلع بالماء صاحب فرس أشقر، والثاني صاحب فرس أشقر، وكذلك الثالث، فقال صلى الله عليه وسلم: اللهم بارك في الشقر" وعن محمد بن مهاجر قال: "سألت ابن وهب الجشمي لم فضل الأشقر؟ قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فكان أول من جاء بالفتح صاحب فرس أشقر".

وعن زيد بن صفوان: "كان صلى الله عليه وسلم يحب من الخيل الشقر، وإلا فأدهم أغر محجل، ثلاث طليق اليمنى". وعن عمرو بن الحارث الأنصاري عن أشياخ أهل مصر، قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أن خيل العرب جمعت في صعيد واحد، ما سبقها إلا أشقر". وحكى ابن النحاس، أن سليمان بن عبد الملك، "سأل يوماً بن نصير فاتح المغرب والأندلس، عن حروب الأمم التي حاربها، ما كنت تفرغ إليه عند الحرب؟ قال: الدعاء والصبر، قال: فأبي الخيل رأيت أصبر؟ قال: الشقر، قال: فأبي الأمم أشد قتالاً؟ قال: هم أكثر من أن أصف، قال: فأخبرني عن الروم، قال: أسد في حصونهم، عقبان على خيولهم، نساء على مراكبهم، إن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غلبة فأوعال تذهب في الجبال لا يرون الهزيمة عاراً، قال: فالبربر، قال: هم أشبه الأمم بالعرب لقاءً ونجدة وصبراً وفروسية، غير أنهم أغدر الناس، قال: فأهل الأندلس، قال: ملوك مترفون، وفرسان لا يجنون، قال: فالإفرنج، قال: هناك العدد والجلد والشدة والبأس، قال: فكيف كانت الحرب بينك وبينهم؟ قال: أما هذا فوالله ما هزمت لي راية قط، ولا بدد لي جمع، ولا نكب المسلمون معي، منذ اقتحمت الأربعين إلى أن بلغت الثمانين". وقد أكثر الشعراء من مدح الأشقر فمن ذلك قول ابن خفاجة:

ومشى بتيهها احتيلاً أجرد... في شقرة لو سال سال نضارا
تسترقص الأعطاف من طرب به... شية تدور على العيون عقارا
لو كنت شاهده وقد ملاً القضا... ركضاً وسد على الكمي قفارا
لرأيت فيما قد رأيت وقد بدا... ناراً تكون إذا جرى إعصارا

يستعطف الأسماع إطراءً له ... في صورة تستعطف الأبصارا
وقال المتنبي:

فأصبح يجتاب المسوح مخافة ... وقد كان يجتاب الدلاص المسردا
تمشي به العكاز في الدير تائباً ... وما كان يرضى مشي أشقر أجردا
وما تاب حتى غادر الكر وجهه ... جريماً وخلي وجهه النقع أرمدًا
وقال آخر:

تذكرت من يبكي عليّ فلم أجد ... سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وأشقر خنذيد يجرع عنانه ... إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
وقال إسحاق بن خفاجة:

ومطهم شرق الأديم كأنما ... ألفت معاطفه النجيع خضابا
طرب إذا غنى الحسام ممزق ... ترب العجاجة جيئة وذهابا
قدحت يد الهيجاء منه بارقاً ... متلهباً يزجي القتام سحابا
ورمي الحفاظ به شياطين العدا ... فأنقض في ليل الغبار شهابا
بسام ثغر الحلبي تحسب أنه ... كأس أثار بما المزاج حبابا
وقال يمدح القائد أبا الطاهر:

وحن إليه كل ورد محجل ... كأن لجيناً سال منه على تبر
يجول فتجري في عنان، به الصبا ... ويزخر في لبد به البحر في البر
وأشهب وضاح تحمل رقعة ... من الحسن لم تعبر به العين في بسر
تخط سطور الضرب في صدره الظبا ... ويعجمها وخز المثقفة السمر
ويدرج منه السلم ما تنشر الوغى ... فطوراً إلى طي وطوراً إلى نشر
وأدهم لولا أنه راق صورة ... لما عرفته العين من ليلة الهجر
طويل سبيب العرف والفتق والشوى ... قصير عسيب الذيل والظهر والنسر
له غرة تستصحب النصر طلعة ... كفاك بها في صورة الحشر من عشر
وقال الصلاح الصفدي:

يا حسنه من أشقر قصرت ... عنه بروق الجو في الركض

لا تستطيع الشمس من جريه ... ترسمه ظلاً على الأرض

الفصل الثاني في الأحمر وهو الكميث

ولفظه يقع على الذكر والأنثى ولا يستعمل إلا مصغراً ولونه بين الحمرة والشقرة، والفرق ما بينه وبين الأشقر بالعرف والذنب والقوائم فإن كانت سوداً فكميثة وإلا فأشقر. وأنواع الكميث خمسة: أحوى وأحم، ومدمي وأحمر، ومحلف. فالكميثة الأحوى يعلوه سواد، والفرق بينه وبين الأخضر الأحمر احمرار مناخره واصفرار خاصرته، وأما الكميثة الأحمر والكميثة الأحوى، فإنهما متشابهان في اللون، حتى أن البصريين بهما يشكان فيهما، فيحلف

أحدهما أنه أحوى والآخر أحمر. قال أبو منصور البربوعي:

تسألني بنو جشم بن بكر ... إغراء العرادة أم بهميم

كميت غير مخلقة ولكن ... كلون الصرف عل به الأديم

وفي الحديث "خير الخيل الحو" وعن نافع بن جبير عنه صلى الله عليه وسلم: "اليمن في الخيل في كل أحوى".

والكميت الأحمر، ما شابه الأحوى، إلا أنه أقل سواداً منه. وللممي ما اشتدت حمرة وسرته أشد حمرة من سائر

جسده. والأحمر أشد حمرة من الملمي، وهو أحسن الكمت لأنه خالص الكمته، ويقال له كميت مصاص، أي

خالص والمصاص والممصص، شديد تركيب العظام والمفاصل، قال أبو داؤد:

ولقد ذعرت بنات عس ... م المرشقات لها بصابص

بمخوف بلقاً واع ... بي لونه ورد مصاصص

يمشي كمشي نعامتي ... ن تتابعان أشق شاخص

والمخلف ما قاربت حمرة إلى الشقرة، وعرفه وذنبه يميلان إلى السواد، روى الشعبي عنه صلى الله عليه وسلم

"التمسوا الخواتج على الفرس الكميت، الأثرم المحجل الثلاث المطلق اليد اليمنى"، والرثم: بياض في الشفة العليا.

وعن موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أريد أن

أبتاع فرساً، وأفند فرساً، فقال: عليك به كميتاً أو أدهم أقرح أرثم محجل ثلاث طليق اليمن". وسئل رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن أفضل الخيل فقال: "أحمرها وأسرعها وأشقرها وأظفرها أدهمها".

وقال ابن أمية: "سألت الأمير قيساً عن أفضل الخيل، فقال: أحمرها كيف ما كان، وأجودها الأدهم"، وسألت ابن

ثعلبة عن أصبر الخيل، فقال: الكميت. وعن مسعود بن خراش قال: "سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيس بن

زهير العبسي، أي الخيل وجدقوها أصبر في حربكم؟ قال الكميت". وحكى الأسوردي قال: "قالت بنو عيس ما

صبر معنا في الحرب من النساء إلا بنات العم ومن الخيل إلا الكمت ومن الإبل إلا الأحمر". وقال أبو داؤد الإيادي:

إن لم تلطني بهم حقاً أتيتكم ... حواً وكميتاً تعادي كالسراجين

من كل جرداء قد طارت عقيقتها ... وكل أجرد مسترخى الأباذين

وقال امرؤ القيس:

كميت يزل اللبد عن حال متنه ... كما زلت الصفواء بالمتزل

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

تشكى الكميت الجري لما جهدته ... وبين لو يسطع أن يتكلما

لذلك أدني دون خيلي مكانه ... وأوصي به ألا يهان ويكرما

فقلت له إن ألقى للعين قرّة ... فهان عليّ أن تكل وتسأما

عدمت إذن وفري وفارقت مهجتي ... لكن لم أقل قرناً إن الله سلما

ومن لطائف ابن نباتة قوله:

يا واصف الخيل بالكميت وبالنه ... د أرحني من طول وسواس

لا فهد إلا من صدر غانية ... ولا كميت إلا من الكاس

فأخذه فخر الدين بن مكناس فقال:

وإذا ذكرت الخيل في الميدان ... فاشرب كميتاً واعل فوق نهود

وقال آخر:

وأحمر كالدجاج أما سماؤه ... فرياً وأما أرضه فمحول

وقال عبد السلام بن غياث المعروف بديك الجن:

أحمر كالحضاب في صفح هادي ... ه من الهاديات مثل الحضاب

وكأني أرمي به المضاب على حي ... ن وناه بقطعة من هضاب

وكأني رفعت بالبرق شمالاً=لي ولما أضلّنا بعقاب وقال ابن تميم في مهرة حمراء:

أهديت لي يا مالكي مهرة ... جميلة الخلق بوجه جميل

مؤخرها والعنق قد أوقعا ... قلب الأعادي في العريض الطويل

قد لبست من شفق حلة ... تخبرنا أن أباهما أصيل.

الفصل الثالث في الأدهم

وأنواعه خمسة: أدهم حالك وأحوى وأحم وأصدي وأخضر. فالأدهم الحالك أشد هذه الأنواع سواداً وأصفاها. والأحوى ما علا سواده حمرة. والأحم ما شابه الأحوى، إلا أنه أقل حمرة، والأصدي ما خالط سواده شقرة، والأخضر ما خالط سواده غبرة.

روي عن يزيد بن حبيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخير في الأدهم الأقرح الأرثم محجل الثلاث طلق اليمنى" (القرحة في وجه الفرس بياض دون الغرة). وعن عتبة عنه صلى الله عليه وسلم: "إذا أردت أن تغزو فاشتر فرساً أدهم محجل الثلاث مطلق اليمنى، فإنك تغنم وتسلم، فإن لم يكن أدهم فكميماً على هذه الشية" أي على هذه الصفة. وعن أبي قتادة الأنصاري عنه صلى الله عليه وسلم: "خير الخيل الأدهم الأقرح الأرثم ثم الأقرح الخجل طلق اليمين فإن لم يكن أدهم فكميماً على هذه الشية" وعن أبي وهب الجشمي عنه صلى الله عليه وسلم "تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة، واربطوا الخيل، وامسحوا بنواصيها وأكفأها، وعليكم بكل كميتم أغر محجل، أو أشقر أغر محجل، أو أدهم أغر محجل"، وذكر الخيل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "خضرها أحبلها، وكمتها ديباجها وشقرها حياها اللهم بارك في الأخضر اللهم بارك في الأشقر".

وحكى ابن بسام في الذخيرة: كان للمتوكل ابن الأفتوس الأندلسي فرس أدهم محجل، على كفله ست نقط بيض، فندب الشعراء لوصفه فقال أبو الوليد البجلي ارتجالاً:

ركب البدر جواداً ساجحاً ... تقف الريح لأدنى مهله

لبس الليل قميصاً سابغاً ... والثريا نقط في كفله

وغدير الصبح قد خيض به ... فبدا تحجيله من بلله

كل مطلوب وإن طال به ... رجله من أجله في أجله

وقال ابن اللبانة فيه:

لله طرف جال يا ابن محمد ... فجننت به حوباؤه التأميلا

لما رأى أن الظلام أديمه ... أهدى لأربعه الهدى تحجيلا

وكأنا في الردف منه مباسم ... تبغي هناك لرجله تقيلا

وقال ابن نباتة:

وأدهم اللون حندي ... في جريه للورى عجائب

تقصر سعي الرياح عنه ... فكلها خلفه جنائب

وقال الصفي الحلبي:

ولقد أروح إلى القنيص وأغندي ... في متن أدهم كالظلام محجل

رام الصباح من الدجى استنقاذه ... حسداً فلم يظفر بغير الأرجل

فكأنه صبغ الشباب إهابه ... وخط المشيب فجاءه من أسفل

وقال الطاهر الجزولي:

وأدهم كالليل الهيم مطهم ... فقد عز من يعلو بساحة عرفه

يفوت هبوب الرياح سبقاً إذا جرى ... تراهن رجله مواقع طرفه

وقال غيره:

قد سابق الطرف بطرف سابق ... كأنه يريد إدراك القدر

دهمته تبدي سواداً حالكاً ... كأنها ليل إذا الليل اعتكر

سهيله يطرب من يسمعه ... كأنه رعد إذا الرعد زجر

أو سابق الرياح جرى من قبلها ... والبرق لا يسبقه إذا ظهر

وقال ابن خفاجة:

وأدهم نم آل الوجيه ولاحق ... له الليل لون والصباح حجول

ترقرق ماء الحسن فوق أديمه ... فلولا التهاب الخصر ظل يسيل

كأن هلال الفطر لاح بوجهه ... فأعيننا شوقاً إليه تميل

كأن الرياح العاصفات تقله ... إذا ابتل منه محرم وتليل

إذا عابد الرحمن في متنه علا ... بدا الزهو في العطفين منه يجول

فمن رام تشبيهاً له قال موجزاً ... وإن كان وصف الحسن منه يطول

هو الفلك اللوار في سهواته ... لبدر الدياتجي مطلع وأفول

وامتدح ابن دنينير اللخمي القابوس الملك المنصور مستمنحاً منه فرساً بقوله:

ملك الورى دعوة منى على مضض ... من الزمان الذي أخنى بلا سبب

أودى تلادي وولى بعده تبعاً ... حتى طريقي وما جمعت من نشب

وكان قد غفلت عني حوادثه ... في بغلة كنت أقضي فوقها أربي

حتى ألم بما منه الردى فغدا ... قلبي فتيل الأسى والهيم والنصب

ولم أجد سبباً يجني الزمان به ... على ذوي الفضل إلا حرفة الأدب

فاكتب عداي بأخرى مثلها فلقد ... قصرت عن كل ما أهوى من التعب

أولا فأدهم تفري الليل غرته ... نهد القصير شديد العظم والعصب

سامي التليل عريض المتن مرتفع ... عالي النواحق وافي الرسغ والذنب

صافي الأديم كأن البرق غرته ... رحب اللبان أشم الأنف والقصب

كاس من الليل بالظلماء ملتحف ... لكنما زانه التحجيل بالحب
هقل إذا ما تولى مدبراً فإذا ... أتى فظي كناس ريع من كشب
يكاد يسبق لخط العين كيف جرى ... فما يدانيه مر الريح في الخب
ولو يباريه زاد الركب عن عرض ... في حلبة لكبا منه على الركب
فذاك بغية متلي من نذاك وأن ... أعود من جودكم بالمنظر العجب
وقال أبو سعيد المغربي:

ولما اغتدى والليل قد سل صبحه ... بليل بجلباب الصباح تلثما
وأحسبه خال الثريا لجامه ... فصير هاديته إلى الأفق سلما
وقال جمال الدين يوسف بن الحسن:

وأدهم اللون فاق البرق وانتظره ... فغارت الريح حتى غيبت أثره
فواضع رجله حيث انتهت يده ... وواضع يده أنى رمى بصره
إذن تراه يحاكي السهم منطلقاً ... وما له غرض مستوقف خبره
يعفر الوحش في البيداء فارسه ... وينثني وادعاً إن يستتر غيره

وقال أبو سويد شهد أبو دلف وقعة وتحتة فرس أدهم عليه نضخ الدم فاستوقفه بعض الشعراء وأنشد:

كم ذا تجرعه المنون ويسلم ... لو يستطيع شكاً إليك الأدهم
في كل منبت شعرة من جلده ... خط ينمقه الحسام المنخلم
وكأنما عقد النجوم بطرفه ... وكأنما هو باجرة ملجم
وكأنه بين البوارق لقوة ... شفواء كاسرة طوت ما تطعم
لا تدرك الأرياح أدنى شأوه ... لا بل يفوت الريح فهو مقدم
رجعته أطراف الأسنة أشقراً ... واللون أدهم حين ضربه الدم

فأمر له بعشرة آلاف درهم. وقال أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي:

تقبل المهر من أخي ثقة ... أرسل ريجاً به إلى المطر
مشتماً بالظلام من شية ... لم يشتمل ليلها على سحر
منتسباً لونه وغرته ... إلى سواد الفؤاد والبصر
تحسبه من علاك مسترقاً ... بهجة مرأى وحسن مختبر
حن إلى راحة تفيض ندى ... فمال ظل به على فمر
ترى به والنشاط يلهيه ... ما شئت من فحمة ومن شرر
لو حمل الليل حسن دهمته ... أمتع طرف الحب بالسهر
أحمى من النجم يوم معركة ... ظهراً وأجرى به من القدر
اسود وابيض فعله كراماً ... فالنفت الحسن فيه عن حور
كأنه والنفوس تعشقه ... مركب من محاسن الصور
فازدد سنا بهجة بدهمته ... فالليل أذكى لغرة القمر
ومثل شكري على تقبله ... بجمع بين النسيم والزهر

وقال لما استرجعت بلنسية من يد العدو:

من عسكر رجفت أرض العدو به ... حتى كأن بها من وطئه وهلا
ما بين ربح طراد سميت فرساً ... جوراً وليث شرى يدعونه بطلا
من أدهم أخضر الجلباب تحسبه ... قد استعار رداء الليل واشتملا
وأشهب ناصع القرطاس مؤتلق ... كأنما خاض ماء الصبح فاغتسلا
ترى به ماء نصل السيف منسكباً ... يجري وجاحم نار اليأس مشعلا
فغادر الطعن أجفان الجراح به ... رمداً وصير أطراف القنا فتلا
وأشرق الدم في خد الثرى خجلاً ... وأظلم النقع في جفن الوغى كحلا
وأقشع الكفر قسراً عن بلنسية ... فانجاب عنها حجاب كان منسدلاً
وقال ابن هاني:

من كل يعبوب سبوح سلهب ... نقش سيات عنانه الطيار
سلط السنابك باللجين مخدم ... وأذيب منه على الأديم نضار
وكان وفرته غدائر غادة ... لم يلق بؤس لا ولا إقتار
وأحم حلوك وأصفر فاقع ... منها وأشهب أمهق زهار
ومنها:

مرت لغايتها فلا والله ما ... علقت بها في عدوها الأبصار
وجرت فقلت أسابح أم طائر ... هلا استثار لوقعهن غبار
من آل أعوج والصريح وداحس ... فيهن منها ميسر ونجار

الفصل الرابع في الأشهب

وأنواعه خمسة: قرطاسي صريح، وصنابي، ورمادي، وأبرش وأبلق، فالقرطاسي ما كان الغالب عليه البياض ويسمى
أضحى. والصنابي ما كان الغالب عليه الحمرة. والرمادي ما كان الغالب عليه غيرة فيها كدرة. والأبرش ما كان
فيه نكت بيض. فإذا عظمت سموه أبلق ومدنراً. والأبلق إن عم البياض جميع جسده وخلص رأسه وهاديه يقال له
أدرع. وإن كان تلويح سواد وبياض يقال له ملوع، وإن كان مبيض الرأس والذنب يقال له مطرف.

روي أن مجد الدين أخاصلاح الدين الشهير رأى بعض مماليكه على فرس أشهب فقال:

أقبل من أعشقه راكباً ... من جانب الغرب على أشهب
فقلت سبحانك يا ذا العلاء ... أشرق الشمس من المغرب
وقال ابن خفاجة:

شدت على القوافي كف حر ... كريم لا يسوغها لئما
فما أطرى إذا أطريت إلا ... حمياً أو حيباً أو حميماً
ومطرود أجرده صقيلاً ... ويعوباً أركبه كريماً
إذا أقبلته سمر العوالي ... فلست أردده إلا كليماً
وقد ألف العدو وكان ربحاً ... على شرف تلف به هشيماً

يشيم به وراء القع برقاً ... تألق شهبة و صفاً أديما
إذا أو طأته أعقاب ليل طردت من الظلام به ظليما وقال يخاطب الوزير أبا محمد بن عامر:
ومقام بأس في الكريهة قمته ... فسبحت في بحر الحديد الأخضر
أضحكن نغر النصر فيه من العدا ... ولربما أبكيت عين السمهري
ورميت هبوته بلبه أشهب ... فسفرت ليلاً عن صباح مسفر
يجري فتحسبه انصباباً كوكباً ... يتقض في غبش العجاج الأكبر
أوردته نطف الأسنه أشهباً ... ونزلت منه ظافراً عن أشقر
وقال في الأبلق:

ولم أرم آملني بأزرق صائب ... وأبيض بسام وأسمر أصلعا
وأبلق حوار العنان مطهم ... طويل الشوى والساق أطول أتلعا
جری وجرى البرق اليماني عشية ... فأبطأ عنه البرق عجزاً وأسرعاً
كأن سحباً أسحماً تحت لبدته ... يضاحك عن برق سرى فتصدعا
وحسب الأعداي منه أن يجرؤا به ... مغيراً غراباً صبح الحي أبقعا
كأن على عطفيه من خلع السرى ... قميص ظلام بالصباح تبرقعا
ركضت به مجراً تدفع مائحاً ... وأقبلت أم الرآل نكباء زعزعا
يؤلل من أذن فأذن تشوقاً ... إلى صرخة من هاتف أو تطلعا
كأن له من عامل الرمح هادياً ... منيفاً ومن زلق الأسنه مسمعا
فسكنت منه بالتغني على السرى ... أمسح من أعطافه فتسمعا
ولما انتحى ذكر الأمير استخفه ... فخفض من لحن الصهيل ورفعا
حينئذ إلى الملك الأغر مردداً ... وشجواً على المسرى القصي مرجعا
ففي حب إبراهيم أعرب صاهلاً ... وفي نصر إبراهيم كد تشيعا
وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب من قصيدة:

ما مقربٌ يختال في أشطانه ... ملآن من صلف به وتلهوق
بحوافر حفر وصلب صلب ... وأشاعر شعر وخلق أخلق
وبشعلة تبدو كأن حلولها ... في سهوتيه بدء شيب المفرق
ذو أولق تحت العجاج كأنما ... من صحة إفراط ذاك الأولق
تغرى العيون به ويفلق شاعر ... في نعته عفواً وليس بمفلق
بمصعد من حسنه ومصوب ... ومجمع في نعته ومفرق
صلتان ييسط إن ردى أو إن عدا ... في الأرض باعاً منه ليس بضيق
وتطرق الغلواء منه إذا عدا ... والكبرياء له غير مطرق
أهدى كثار جده فيما مضى ... للمثل واستصفى أباه ليلق
مسود شطر مثل ما اسود الدجى ... مبيض شطر كايضاض المهرق
قد سالت الأوضاح سيل قرارة ... فيه بمفترق عليه وملتقي

فكان فارسه يصرف إذ غدا ... في متنه ابناً للصبح الأبلق
صافي الأديم كأنما ألبسته ... من سندس برداً ومن إستبرق
إمليسة إمليده لو علقت ... في سهوته العين لم تتعلق
يرقى وما هو بالسليم ويغتدي ... دون السلاح سلاح أروع مملق
في مطلب أو مهرب أو رغبة ... أو رهبة أو موكب أو فيلق

وعن جابر بن عبد الله عنه صلى الله عليه وسلم: "أوتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس".
وروى السماك عن عكرمة قال: "لما كان شأن بني قريظة، جاء جبريل على فرس أبلق، قالت عائشة: فلكأني أنظر
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمح الغبار عن وجه جبريل، فقلت: هذا دحية يا رسول الله؛ فقال: هذا
جبريل. وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بلق وقدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مكة وجلس مع عمه
أبي لهب والناس قيام عليه وهو يخبرهم عن وقعة بدر فكان من قوله وإيم الله ما لمت الناس أي في فعلهم، لقينا رجلاً
بيضاً على خيل بلق، بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء".

الفصل الخامس في الأصفر

وأواعه ستة: أصفر فاقع، وناصع، وأصدي، وأبيض، وأعفر، وأكلف، فالفاقع ما شاكلت صفته الحمرة من شدة
الاصفرار، وشعر عرفه وذنبه أسود حالك، ومن معرفته إلى ذنبه خط أسود، وأوظفته سود، وهذا أحسن ألوان
الأصفر. والناصع ما كانت صفته صافية وشعر عرفه وذنبه أسود حالكاً، والأصدي ما علت صفته كدرة،
والأبيض الذي تضرب صفته إلى البياض، وشعر عرفه وذنبه أصهب، وهو أشد ألوان الصفر. والأعفر ما كانت
صفته كلون التراب. والأكلف ما كانت صفته مشوبة بسواد ومن معرفته إلى ذنبه خط أسود، وأوظفته سود،
قال ابن دنيير اللخمي يمدح الأمير أسد الدين:

كان لي من ندى أياديك طرف ... مستجاد وبغلة وغلأم
خانني الدهر في الجميع فشأني ... عبرات جرى ودمع سجام
فاكبت الحاسدين منك بطرف ... بمطاه سرج وفيه لجام
يسبق البرق إن جرى يدرك الغا ... ية ليست تفوته الأوهام
أذناه مثل القناتين عالي ال ... متن ربح الإهاب فيه اضطرام
لونه كالنضار أو كمحبب ... قد يراه الهوى وشف السقام
وبريء مما يشين فلا الأخ ... طاف فيه وليس فيه انضمام
شاهد لي فيما أحدق من نع ... ماك عدل إذ رآه الأنام
وإذا ما أكرمت فإكرم فتنى يز = كولد به الإحسان والإكرام وقال أبو سعيد المغربي:

وعسجدي اللون أعددته ... لساعة تظلم أنوارها
كأنه من رهج شمعة ... مصفرة كالنبر أنوارها
وقال علي بن موسى بن سعيد العنسي:

وأجرد تبري به أثرت الثرى ... والقجر في خصر الظلام وشاح

له لون ذي عشق وحسن معشوق ... لذلك فيه ذلة ومراح
عجبت له وهو الأصيل بعرفه ... ظلام وبين الناظرين صباح
يقيد طير اللحظ والوحش عندما ... يطير به عند النجاح جناح
وقال ابن المعتز:

ولقد وطئت الخيل يحملني ... طرف كلون الصبح حين وفد
جماع أطراف الصوار فما ال ... أخرى عليه إذا جرى بأشد
يمشي فيعرض بالعنان كما ... صدف المعشوق ذو الدلال وشد
فكأنه موجّ يذوب إذا ... أطلقتته فإذا حبست جمد

والعرب تكره من ألوان الخيل الأبلق بأنواعه والأبيض والأصفر والأشهب الذي تعلوه حمرة، وداخل حجافله
ولهواته وخارج لحيه سواد، والأدهم الذي بداخل حجافله أو لهواته تقط بيض، وبداخل شديقه نقط سود، وعلى
خارج حجفله نقط كحب السمسم، والصنابي المبقع، والرمادي اللون وما كان منها كلون الأسود والذئب، أو
القرد أو القيل.

فائدة: إذا نتف شعر الفرس أو سخن الماء شديداً بحيث يخلق شعره، وصب عليه، نبت له شعر آخر مخالف للونه
الأصلي قال الشعر:

تبارى قرحة مثل ال ... وتيرة لم تكن مغدا

المغد: - بالغين المعجمة - غرة الفرس، أي: أن غرتها أصلية لم تحدث عن علاج. ومما يصير الأشهب أدهم، أن
يؤخذ مردانج وعفص وزنجار ونورة وزاج الأساكفة وطين خودي بالسوية، ويدق الجميع ويعجن بماء حار، ثم
يغسل به الفرس غسلاً جيداً، ويطلق به ويترك يوماً وليلة، ثم يغسل فيصير لونه أدهم، وإن طلي بعض جسده بذلك
وترك بعضه يصير لونه أبلق. ومما يصير الأدهم أبرش، إذا طبخ الأشنان مع ورق الدفلى وصفى ماؤه ثم طبخ مع
القلي وقلب جوز سائل، وغسل به، تغير لونه. ومما يصير الأشهب أدهماً، أن يؤخذ من قشر الجوز الرطب ويطح
مع الآس، وصدأ الحديد، ويطلق به الفرس بعد الغسل الجيد.
تتمة في ذكر بعض ما قاله الأدياء في أوصافها من التشبيهات والاستعارات البديعة في رسائلهم

فمن ذلك قول الشيخ شهاب الدين محمود: ينهي وصول ما أنعم به من الخيل التي وجد الخير في نواصيها، واعتد
صهواتها حصوناً يعتمصم في الوغى بصياصيها، "فمن أشهب غطاه النهار بجلته، وأوطأه الليل على أهله، يتموج أديمه
ريا، ويتأرجح ريا، ويقول من استقبله في حلي لجامه هذا الفجر قد طلع بالثريا، إن التقت المضائق انساب انسياب
الأيام. وإن انفرجت المسالك مر مرور الغيم، كما أبصر فارسه يوماً أبيض بطلعته، وكم عاين السنان مقاتل العدا في
ظلام النقع بنور أشعته لا يسير ذو حسن في مضماره، ولا تطمع الغبراء في شق غباره، ولا يظفر لاحق من لحاقه
بسوى آثاره، تسابق يداه مرامي طرفه، ويدرك شوارد ثانياً من عطفه* ومن أدهم حالك الأديم، حالي الشكيم له
مقلة غانية وسالفة ديم، قد ألبسه الليل برده، فأطلع بين عينيه سعده، يظن من نظر إلى سواد طرته، وبياض حجوله
وغرته، أنه خال النهار نهاراً فخاضه، فألقى بين عينيه نقطة من رشاش تلك المخاضة، لين الأعطاف، سريع
الانعطاف، يقبل كالليل، ويمر كجلمود صخر حطه السيل، يكاد يسبق ظله، ومتى جرى السهم إلى غرضه بلغه
قبله، ومن أشقر وشاه العدو بلهيه، وغشاه الأصيل بنهيه، يتوجس لديه برقيقتين، ويفض وقرتیه على عقيقتين،
وينزل عذار لجامه بين سالفتيه على شقيقتين، له من الراح لوها، ومن الريح لينها، إن أجري فبرق خفق، وإن أسرج

فهلال على شفق، لو أدرك أوائل حرب بني وائل لم يكن للوجيه وجاهة، ولا للنعامه نباهة، وكان ترك إعاره سكاب لوماً وتحريم بيعها سفاهة، يركض ما وجد أرضاً، وإذا اعترض به راكبه بحراً وثبه عرضاً، ومن كميت فهد، كان راكبه مهد، عنلمي الإهاب، شمالي الذهب، يزل الغلام الخفيف عن صهواته، كأنه نغم القريض أو معبد في هواته، فسيح الخطا، قصير المطا، إن ركب للصيد قيد الأوابد، وأعجل عن الوثوب الوحوش اللوابد، وإن جنب إلى حرب لم يزور من وقع القنا بلبانه، ولم يشك لو علم الكلام بلسانه، ولم ير دون بلوغ الغاية وهي عرض راكبه ثانياً من عنانه، وإن سار في سهل اختال براكبه كالتمل، وإن أصد في جبل طار في عقابه كالعقاب وانحط في مجريه كالوعل، متى ما ترق العين فيه تسهل، ومتى أراد البرق مجاراته قال له الوقوف عند قدره ما أنت هناك فيهمل، ومن حبشي أصفر يروق العين ويشوق القلب لمشابهته العين، كأن الشمس ألفت عليه من أشعتها جلالاً، وكأن نفر من الدجى فاعتق منه عرفاً واعتلق حجلاً، ذو كهل زين سرجه، وذيل يسد إذا استدبر فرجه، قد أطلعته الرياضة على مراد فارسه وأغنته نصارة لونه ونظارته عن ترصيع قلاته، وتوشيح ملابسه، له من البرق خفة وطنه وخطفه، ومن النسيم لين مروره ولطفه، ومن الريح هزيزها إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه يطير باللمز، ويدرك بالرياضة مواقع الرمز، ويعدو كالف الوصل في استغناء مثلها عن الهمز، ومن أخضر حكى من الروض تفويغه، ومن الوشي تقسيمه وتأليفه، قد كساه النهار والليل حلتي وقار وسنا، واجتمع فيه من البياض والسواد ضدان لما اجتمعاً حسناً، ومنحه الباري حلية وشية، ونخلته الرياح ونسماها قوة ركضه وخفة مشيه، يعطيك أفانين الجري قبل سؤاله، ولما لم يسابقه شيء من الخيل أغراه حب الظفر بمسابقة خياله، كأنه تفاريق شيب في سواد عذار أو طواع فجر خالط بياضه الدجى فما سحى، ومازج ظلامه النهار فما أثار يختال لمشاركة اسم الجري بينه وبين الماء في السير كالسيل، ويدل بسبقه على المعنى المشترك بين البروق اللوامع وبين البرقية من الخيل، ويكذب المانوية لتولد اليمن بين إضارة النهار وظلمة الليل، ومن أبلق ظهره حرم وجريه ضرم إن قصد غاية، فوجود القضاء بينه وبينها عدم، وإن صرف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان، وفعله ما يرد الكف والقدم قد طابق الحسن بين ضدي لونه، ودل على اجتماع النقيضين علة كونه، وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار، وأخذ وصف الدجى في حالتي الإبدار والسرار لا تكلل مناكبه، ولا يضل في حجرات الجيوش راكبه، ولا يحتاج ليله المشرق بمجاورة نهاره إلى أن تسترشد فيه كواكبه، ولا يجاريه الخيال فضلاً عن الخيل ولا يمل السرى إذا كل مشبهاه النهار والليل، ولا تتمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الأثر فإن جهدت، فبالذيل فهو الأبلق الفرد، والجواد الذي لجاريه العكس، وله الطرد قد أغنته شهرة لونه في جنسه عن الأوصاف،

وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها في الاعتراف له جادة الإنصاف، وترقى المملوك إلى رتب العز من ظهورها وأعددها مطية الجنان إذ الجهاد عليها من أنفس مهورها، وكلف بركوها فكلما أكمله عاد، وكلما مله سره، فلو أنه زيد الخيل لما زاد، ورأى من آدابها ما دل على أنها من أكرم الأصائل وعلم أنها ليومي سلمه وحربه، جنة الصائد، وجنة الصائل، وقابل إحسان مهديها بثنائه ودعائه، وأعددها في الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه. والله تعالى نشكر به الذي أفرده في الندى بمذاهبه وجعل الصافنات الجياد من بعض مواهبه".

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة: "وأما الخيل المسيرة فقد وجد المملوك لذة أنسها، وأوجب على نفسه فروض خمسها، واستنهض لشكر محاسنها براعته فسعت ولكن على رأسها، واستنزلت الآمال من صياصها، وقبلها عوض أنامله الشريفة لأنها عددها، وما هي إلا زهرات أنبتها سحاب كفه الكريمة، وعقود طوق بما جيد العبد فسبح بمدامع نعمها العميمة، ومنابر قام عليها خطيباً بمحاسنه التي من كتبتها فكأنما كنم من المسك لطيمه، فمن

أشهب كأنه طلعة لجح أو قطعة صبح أو غرة يغرب بأشعته إيدار جنح قد ترينت منه الأوضاع، وانقطعت دون غايته الأطماع، واعتذرت له الريح فصوب أذنيه للسماح، وأصبح لصاحبه نعم العون في السبق، والفوت يوم القراع، وكاد أن يطير مع الطيور، فكم له من غبار السبق أجمحة مثنى وثلاث ورباع، ما حدث عن حسن إلا رآه، ولا امتطاه حازم إلا حمد عند صباح لونه سراه، يقرب الضرب سفرات عزائم المسفرة، ويختال في الخيل كالنهار، فلا جرم أن آيته مبصرة، كم ثنى عنانه كبراً عن مسابقة الرياح وأعرض، وكم تعب عليه عازم حتى فاز منه بالعيش إلا أنه الأبيض، ومن أشقر كأنه غزالة شرق فسيح اللبان، رقيق مجرى العنان بروق الأبصار ويدني الأوطان والأوطار، وتسمع بوقع حوافره صم الأحجار، يضعف البصر عن اقتناء ماله من السنن، ويعجز عن بلوغ غايته السيل إذا هجم الغيث أو هتن، وتعجز عن شأوه الرياح، فعن عذر إذا حنت في وجهها التراب فكأنما أصدع لأشعته النجوم فكسبها، أو راهن البرق على حلتته فسلبها ولبسها. قرنت حركاته بحسن الاتفاق وحكمته في تطلعها الشموس عند الإشراق، فامتدت كف الثريا تمسح عن وجهه غبار السباق.

ومن كميت يسر الناظر ويشوق الخاطر، كأنه جذوة نار أو كأس عقار أحلى من الضرب، له من نفسه طرب، كم خدمه من النصر أعوان، وأسكره اسمه، فاختال تحت راكبه كالنشوان، وزاد لونه حتى كأنما هو بهرام، وأجله أن أقول بهرام، سريع شوطه وأضيع ما في عدته سوطه، يجمع لراكبه ما بين الطرب والجلالة، وتحتجب الشمس إذا تصدى للصيد خوفاً من تسميتها بالغزالة، كم أردد بصهيله وأبرق وكم لقي من الموت الأحمر العدو الأزرق، تقصر عن غاياته المهمم، واسود ذنبه فكأنما لذوب نار جسمه حمم، يوسع أهل الحي سيراً، ويقدم بجنج نعله أديم الأرض سيراً، ومن أصفر يسر النظار ويسمو على النصار، وربما شق سعيه على الأبصار، ويخفق البرق وراءه في المضمار، كم أوسع رمقه في ليل السرى من سهر، وكم نقش بنعله ظهر جبل، فجاء كما قيل نقش على حجر، يطلع بسماء الطلب أهلة هو عيدها، وإذا امتطاه عازم رأى الأرض تطوي له ويدنو بعيدها، كم حسن خيراً وخبراً وتأثيراً وأثراً، وكم غشي إلى نار سنابكه طارق فأجزل له من قصده القرى، كأنما خلع عليه الدهر حلة ذهب، ووهبته صفرة لوئها الراح حين تجلى بالحب، لو أمكن أول الفجر لما سما في زمنه بالسرحان، ولو كتب اسمه على مقدمة طليعة، قرنها باليمن والأمان.

ومن أدهم كأنما التحف أو دخل تحت ذيل الدجى تخضع عواصي الذرى لطرته وينشق الصباح غيظاً من تحجيلة وغرته، كأنما لظمت يد الفجر في إحسانه، وورد عين الحجر فطارت لجهته نقطة من مائه، فسيح المنتشق، متلرع ملابس القلوب والحدق، كم عننت شوامخ الجبال لجلاله، وقصرت عنه الخيل حتى لم يسابق إلا ظل إداره وإقباله، وخاف سطوته الليل، فجاءه بمثل أنجمه وأنعله بمثل هلاله، ويأتي من صباح تحجيلة وليل تكوينه بالعجائب، فكلها من خلفه جنائب". ولا برح سيدنا يجيد في القول ويجود في العمل ويتطول من حفي كرمه ومفيد كلمه، بما لا ترتقي إليه همة الأمل.

وقال المقر القتيبي ابن الشهيد: "وصل الجواد الأدهم من الخيل كأنما ألبسه الليل حلة سابغة الكم والذليل وفهم المملوك من نعته حالك السواد، أن الأمر العالي اقتضى أن المملوك يكتنم هذا الإحسان في سواد الفؤاد ويستره عن الحساد، كما ستر الليل على الرقباء اجتماع أهل الوداد، فسلمه المملوك كما تسلمت الجفون طيف الحبيب، وأسر السرور به، لما علم من صدقة السر التي أخفتها اليد الكريمة عن الرقيب. ولا يعزب عن الله تعالى مثقال ذرة فيها ولا يغيب، واتخذ المملوك ظهر الجواد حرزاً، لأنه من الهياكل، وتصيد بعنانه عزاً، لأن الأعنة لصيد العز حبات، وجعله ذخيرة وعزاً لأنه أدهم لا يندم صاحبه، إن نابت النوائب، أو غالت الغوائل وصل، والظهر قد أعوز والسفر

قد أحفل، فجلت دهمته الغمة، وجاءت باليد البيضاء فكذبت القائلين: لا خير في الظلمة، فرأيت منها بياض العطايا في سواد المطالب، وركبت على سرجه الخلى بالذهب، فما حرت في ليل إهابه، إلا اهتديت من تلك الخلي بأوار الكواكب وقرت به عيني كأنما حل من سوادي واستوطأت ظهره في السرى فنمت لما طرق كأنه يريد رقادى".

وقال المستنصر بالله الأندلسي: "انظر إليه سليم الأديم، كريم القديم، كأنما نشأ بين الغبراء والنجوم؛ نجم إذا بدا، ووهم إذا عدا، يستقبل بغال، ويستدبر برئبال، ويتحلى بشيات تقسيمات الجمال"، وقال يصف سرجاً: "بزة جياذ، وركب أجواد، جميل الظاهر، رحيب بين القادمة والآخر، كأنما قدود الحدود أديمه، واختص بإتقان الحيك تقويمه"، وقال يصف لهماً: "متناسب الأشلاء، صريح الانتماء إلى ثريا السماء، فكله نكال وسائره جمال". وقال ابن حبيب الحلبي: "وفد عليّ يوماً ذو الوك يدعوني إلى حضرة بعض الملوك فلبيت مناديه، ويمت في الحال ناديه، فرحب بي على عادته، وقرب مجلسي من وسادته، ثم قال لي: عرض لي أن أعرض العناق وأتبعها بالنجائب من النياق، فأحببت حضورك، وقصدت نزهتك وسرورك، فشكرت فيض فضله، ودعوت بتوفير خيله ورجله، فما استتم المقال، إلا والجنائب تقاد بأيدي الرجال، فمن أشهب يقق إن طلب لحق، وإن طلب سيق، طرف يحار الطرف في حسنه، ويرى الناظر شخصه في مرآة متنه، بعيد المنار والمنال، طلعت القجر وسرجه الهلال، لا يخطر معه الخطار ولا تعلق له الغبراء بغبار، يهتدي فارسه من حافره بسنا السناكب، ويغتدي عند امتطاء صهوته من الذين ينظرون على الأرائك، ومن أدهم غريب لا يعلم أجنوب هو أم جنيب يسبق السيل في السير، معقود بناصيته الخير، ينساب كالنعبان وينعطف انعطاف السرحان، زاد على زاد الراكب، وزاحم النكباء بالمناكب، يسلب العقول بحسن وسبعه وتليله، ويخطف الأبصار برق غرته وتحجيلة، ومن أشقر خلوقي الجلباب، ألبسه الأصيل حلة تفتت الأبواب، الراح تحكيه في لباسه، والرياح لا تقدم على مجاراته لباسه، متقلد بالذهب متقلب في اللهب، يشفق من مناظرته الشفق، ويسرق من لون شعره السرق، ينقص الزائد لديه، ويفوت أعوج ثم يعود متهكماً عليه، ومن كميت طاب عرفه واسود ذنبه وعرفه، أسيل الخدين بارز النهدين عندمي اللباس، يحول بين الطباء والكناس، إن وثب ألحق العنان بالعنان، وإن وقف عاينت في كل عضو وردة كالدهان، يجد السير في حزن القلاة وسهلها ويرد الوديعه محمولة إلى أهلها، ومن أصفر لونه فاقع كم له في الحلبة من طائر خلفه واقع ينتمي إلى الحبشان، ويعير بلونه الزعفران، الدجى على عرفه قابض، وماء القار على ذيله فائض، يتجلى في الرياض الشمسية، ويسبح في الجداول الوردية، لا يمل من التقريب والإلهاب، ويأتي من عدوه بغرائب يشيب منها الغراب، ومن أخضر حسن وشياً وراق للعيون جرياً ومشياً، زروري الإهاب يجمع بين الشيب والشباب، زبرجدي الحافر، أين منه الغزال النافر، يظهر عجز مكتموم، وتحمد عنده جمرة اليعقوم، يجتل بتفويقه الرياض، ويسابق أسهم راكمه إلى الأغراض، ومن أبلق عظمت فصوصه، واشتهر حسنه وشهر قميصه طويل الحزام والذيل، هامته وشامتته من الليل، يمرح في جلاله ويولع إذا غابت الخيل بمسابقة خياله، ينحط الوجيه عن أوجه، ويفرق الفياض في موجه، يسبق النعامي والنعامة، وينظر بعيني زرقاء اليمامة:

جرد بمن لكل عين جنة ... فإذا جرين أتين بالنيران

يحكين في البيدا النعام رشاقة ... ويسرن في الأثمار كالحيتان

ثم إن الملك أمر، برد الجنائب، وأذن في عرض النجائب، فأقبلت تنهادى صحبة سواسها، وتبختر في مصبغات أكوارها وأحلاسها. فمن حرة لوفنا أحمر، وليل مسراها واضح أقر، عنكرة غيطموس، تميل إليها الخواطر والنفوس، موراة اليدين بعيدة وخذ الرجلين، ألحلهما التيار وهذبتها الأسفار، ومن سرداح لوفنا أرمك، يكاد خيال

السماك بما يتمسك، ملئت بالنوح والإستاد تخالط حمرتها السواد، جميلة الصفات، مرقال حسنة الشمائل، شمالل
رحبة الصقل والخطا، لا يعرف لها عدول عن الطريق ولا خطا.
ومن رقوب لوئها أزرق، تطفو في بحر العراب كالزورق، ظهيرة دوسرة، منوفة بهزرة تطس الأكام وتثبت في أثواب
ورق الحمام، موصوفة بالإعصاف معروفة بالأعناق والإيجاف، ومن أمون لوئها جون، وكون مثلها في محاسن الكون،
تميل أن شبتها إلى الدجى، ولا تمل من السير ولو براها الوجا، لها فخذان لحمهما وافر، وذنب تكنفه جناحا طائر،
تسابق الريح في خطرهما، وتطأ جمر القيقظ بجمراتها، ومن وجناء لوئها أصهب ورباطها الدمقسي مذهب، ترعى
الحدائق وترعى الحادي والسائق، شكول عسبور، تسامي رأسها أعواد الكور غائرة الأحداق، سريعة الاندفاع
والانطلاق.

ومن مصاح لوئها أغمش، وكل من قوائمه أمش، يخالط بياضها شقرة، يولد الاجتماع بها طريقاً إلى النصر،
هوجاء وفاق روعاء مزاق، ترض الحصا برصها وتستطلع الإخبار بنصها، ومن شمردلة لوئها أحوى، مهارق البيض
بغيرها لا تطوى، تجوب القفار وتجوس خلال الديار، مشفرها رقيق وسيب وظيفتها وثيق، تختال في شنفها وزمامها،
وتلهش الأبصار بسنا سنامها.

وحوص غدت سفن المهامه والقلا ... ألم ترها تطفو على بحر آلهما
تخط حروفاً بالمناسم في الثرى ... يقصر عن تحريرها ابن هلالها
فلما تكامل العرض بعد الطول، وأفلت أقمار الإبل وغابت شوس الخيول، أخذ الحاضرون في تذكر أشكائها
وأقاصوا في نعت محاسنها، وجمالها. ثم إن الملك أمر بإحضار الطعام، واشتغل الناس بالمائدة عن الأنعام". وامتدح
البحثري سعيد بن حميد الكاتب طالباً منه فرساً بقوله:
جنتاه إذ لا الترب في أفئائه ... ييس ولا باب العطاء بمرتج
والبيت لولا أن فيه فضيلة ... تعلق البيوت بفضلها لم يحجج
بطل يخوض الخيل وهي شوائل ... خلف الإسنة وهو غير مدجج
ومنها:

فأعن على غزو العدو بمنطو ... أحشاؤه طي الرداء المدرج
إما بأشقر ساطع أغشى الوغى ... منه بمثل الكوكب المتأجج
متسربل شية طلت أعطافه ... بدم فما تلقاه غير مضرج
أو أدهم صافي الأديم كأنه ... تحت الكمي مظهر بالترج
ضرم يهيج السوط من شؤبوبه ... هيج الجنائب من حريق العرفج
خفت المراقع وطأه فلو أنه ... يجري برملة عاج لم يرهج
أو أشهب يقق يضي وراءه ... متن كمتن اللجة المترجج
يخفي الحجول ولو بلغن لبانه ... في أبيض متألق كالدملج
أو في بعرف أسود متعرف ... فيما يليه وحافر فيروزج
أو أبلق يلقى العيون إذا بدا ... من كل لون معجب بنموذج
جدلان تحسده الجياد إذا مشى ... عنقاً بأحسن حلة لم تنسج
أرمي به شوك القنا وأرده ... كالسمع أثر فيه شوك العوسج

وأقب نهد للصواهل شطره ... يوم الفخار وشرطه للشحج
حرق يتبه على أبيه ويدعي ... عصبية لني الضبيب وأعوج
مثل المرع جاء بين عمومة ... في غافق وخؤولة في الخزرج
لاديزج يصف الرماد ولم أجد ... حالاً تحسن من رواء الدينج
وعريض أعلى المتن لو عليته ... بالزبيق المنهال لم يترجرج
خاضت قوائمه الوثيق بناؤها ... أمواج تجيب بهن مدرج
ولأنت أبعده في السماحة همة ... من أن تضن بملجم أو مسرج
وقال علي بن موسى العنسي:

ولكم سرينا في متون ضواهر ... تنفي أعنتها من الخيلاء
من أدهم كالليل حجل بالضحي ... تنشق غرته عن ابن ذكاء
أو أشهب يحكي غدائر أشيب ... خلعت عليه الشهب فضل رداء
أو أشقر قد نمقته بشعلة ... كالمزج نار بصفحة الصهباء
أو أصفر قد زينته غرة ... حتى بدا كالشمعة الصفراء
طير ولكن لا يهاض جناحه ... ريح ولكن لم تكن برخاء

وقال دريد بن الصمة:

فأبت سكيياً من أناس تحبهم ... كنيياً ولولا طلعتي لم تطلق
بحيل تنادي لا هوادة بينها ... شهدت بمزال المعاقم محقق
عظيم طويل غير جاف نما به ... سليم الشظا في مكربات المطبق
معرض أطراف العظام مشرف ... شديد مشك الجنب نعم المنطق
من الكاقتات الربو ينزع مقدماً ... سبوق إلى الغايات غير مسبق
إذا ما استحمت أرضه من سمائه ... جرى وهو مودوع وواعد مصدق
وباض الشمال طعنه في عنانه ... وباع كبوع الخاضب المتطلق
دعته جواد لا يباع جينها ... لمنسوبة أعرافها غير محقق
بصير بأطراف الحداب ترى له ... سراة تساوى بالطراف المروق

الباب الرابع في الغرة والتحجيل واللواتر وأسماء المفاصل والطابع والصهيل وفيه ستة

فصول

الفصل الأول في الغرة

وهي تسعة أنواع: لطمى وشادخة وسائلة وشراخ ومنقطعة وسارحة وحفا وشهبا و متمصرة، فاللطمى ما أصاب
بياضها عيني الفرس أو إحداهما أو خديه أو أحدهما. قال عبيد بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: "إذا كان
سيفي ذا الوشاح ومركبي اللطيم فلم يطلل دم أنا طالبه". والشادخة، ما فشت في الوجه ولم تصب العينين ودقت

وسالت. والسائلة، ما عرضت في الجبهة واعتدلت على قصبه الأنف أو سالت على أرنبته حتى رثمتها. والشمراخ، ما دقت وسالت في الجبهة وعلى قصبه الأنف ولم تبلغ الجحلفة قال مالك بن عوف: وقد أعددت للحدثان عضباً... وذا الشمراخ ليس به اعتلال وقال آخر:

ترى الجون والشمراخ والورد يتغي... ليالي عشر وسطنا فهو عائر والمنقطعة ما بلغت محل المرسن وانقطعت أو كانت ما بين العينين والمنخر وهي أحسن الغرر. والسارحة ما ملأت الوجه ولم تبلغ العينين. والحنفاء ما كانت إحدى عينيها زرقاء والأخرى سوداء. والشهباء ما كان فيها شعر يخالف البياض. والتمصرة ما كانت على الجبهة وعلى قصبه الأنف وبين العينين منقطعة. والحاصل إن كل بياض فشا في وجه الفرس فوق الدرهم يسمى غرة على اختلاف أنواعها فإن كان قدر الدرهم فما دونه يسمى قرحة. فإن كانت بين العينين تسمى نجمة، وهي أحسن القرحة، وإن كانت على الجحلفة السفلى، سميت لمظاً، أو على قصبه الأنف سميت عيسوباً. ومما يجري في الخيل مجرى الفراسة في الإنسان، أن الغرة إذا استدارت وحكت حرف الهاء تدل على اليمن والبركة. والشعرات القليلة خير ونجاة. والسائلة إن غطت عيناً واحدة دلت على الشؤم وقتلها مع راعيها، وقال بعضهم مخصوص بالعين اليسرى، فإن غطت الاثنتين دليل غصبيها وقهر صاحبها، فإن كانت مائلة إلى الجهة اليمنى دليل الشؤم أو إلى الجهة اليسرى دليل الغنم، فإن سالت إلى الأنف دليل النسل والبركة والنجاح، والمنقطعة دون الأنف بعكسها وإن عمت الحاجب فلا فيها.

الفصل الثاني في التحجيل

وهو بياض في قوائم الفرس، يبلغ نصف الوظيف، مأخوذ من الحجل وهو الخلل، فإن كان في القوائم كلها فمحلل أربع، وإن كان في ثلاث فمحلل ثلاث، مطلق يد أو رجل يمين أو يسرى، وإن كان في الرجلين فقط فمحلل الرجلين، وهو ممدوح، قال الشاعر:

محلل رجلين طلق اليمين... له غرة مثل ضوء الإراث

الإراث ككتاب: النار. وإن كان في اليمين، فأعصم اليمين فإن كان في وجهه وضح يقال له محلل لا أعصم وإن كان في يده اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس أو كان في يد ورجل من شق واحد فمشكول، وهو مكروه شرعاً وعند العرب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: "كان صلى الله عليه وسلم يكره من الخيل الشكال". وقال ابن النحاس: "إن الفرس الذي قتل عليه الحسين عليه السلام كان أشكل"، فإذا كان مع ذلك أغر زالت الكراهة عنه لأن الغرة تثلته. فإن كان في إحدى يديه بياض قل أو كثر فأعصم. فإن كان في اليمنى فأعصم اليمنى أو في اليسرى فأعصم اليسرى، ومنكوس اليسرى وهو مكروه. وإن كان البياض في إحدى رجليه فأرجل، وهو مكروه إلا إذا كان البياض في اليسرى قال الشاعر:

أسيل نبيل ليس فيه معايبه... كميته كلون الصرف أرجل أقرح

الصرف بالكسر صيغ أحر. والتحجيل إن جاوز أرساغ الفرس سمي تحديماً، فإن بلغ الجنب فما فوق ولم يبلغ الركبتين والعرقوبين سمي تجيباً، فإن بلغهما أو جاوز العضدين والفخذين سمي تسرولاً، فإن بلغ الساقين والذراعين سمي إخراجاً. وكل قائمة فيها بياض تسمى ممسكة، والخالية منه تسمى مطلقة، والبياض المستطيل في التحجيل يسمى مستريحاً، لأن الشرط في التحجيل الإدارة، فإن خلا الفرس من البياض سمي بهيماً، وإن كان في ناصيته أو ذنبه أو فذاله خصلة بيضاء سمي أشعل. وقد أكثر الشعراء من مدح الغرة والتحجيل فمن ذلك قول ابن دريد: كأنما الجوزاء في أرساغه ... والنجم في جبهته إذا بدا وقال حازم:

كأنما أشرف من تحجيله ... سوار عاج مستدير بالعجا
وقال قسام من بني جعدة:

أغر فتامى كميته محجل ... خلا يده اليمنى فتحجيلة حسنا
وقال سلامة بن الحرشب:

تعادي من قوائمه ثلاث ... بتحجيل، وواحدة بهيم
كأن مسحني ورق عليها ... وتحت قرطها أذن خديم
أي كأنها ليست صحيفة فضة من حسن لونها وبريق جلدتها.
وقال امرؤ القيس:

كأن نجوماً علقت في مصامه ... بأمراس كتان إلى صم جندل
شبه التحجيل بياض نجوم السماء وأعصاب الساقين بحبال الكتان وصلابة الحافر بالحجر، وقال أبو سهل:
أطرف فات طري في أم شهاب ... هفا كالبرق أضرمه التهاب
أعار الصبح صفحته نقاباً ... فقر به وصح له النقاب
فهما حث خال الصبح وافي ... ليطلب ما استعار فما يصاب
إذا ما انقض كل النجم عنه ... وصلت عن مسالكه السحاب
فيا عجباً له فضل الدراري ... فكيف أزال أربعه التراب
سل الرواح عن أقصى مداه ... فعند الريح قد يلقى الجواب
وقال الحافظ الحجاري:

ومستبق يحار الطرف فيه ... ويسلم في الكفاح من الجماح
كأن أديمه ليل بهيم ... تحجل باليسير من الصباح
إذا احتزم التسابق صار جرماً ... تقلب بين أجنحة الرياح
وقال الصفي الحلبي:

أغر تبري الإهاب مورد ... سبط الأديم محجل بياض
أخشى عليه أن يصاب بأسهمي ... مما يسابقها إلى الأغراض
وقال:

أخذت بالإدلاج أنفاس القلا ... وكحلت طري في الظلام بسهده
بأغر أدهم ذي حجول أربع ... مبيضه يزهو على مسوده

خلع الصباح عليه سائل غرة ... منه وقمصه الظلام بجلده
فكانه لما تسربل بالدجي ... وطيء الضحى فابيض فاضل برده
قلق المراح فإن تلاطم خطوه ... ظن المطارداً أنه في مهده
أدمى الحصى من حافريه بمثله ... وأراع ضوء الصبح منه بضده
وقال:

وأدهم نيق التحجيل ذي مرح ... يمس من تحته كالشارب الثمل
مضمر مشرف الأذنين تحسبه ... موكلاً باستراق السمع عن زحل
ركبت منه مطاليل تسير به ... كواكب تلحق المحمول بالحمل
إذا رميت سهامي فوق صهوته ... مرت تماديه وانحطت عن الكهل
وقال البحري:

جدلان تلممه جوانب غرة ... جاءت مجيء البدر عند تمامه
وقال:

هل مبلغ الدار التي أغدو لها ... بمقلص السربال أحمر منهب
لو يوقد الصباح منه لسامحت ... بضيائه شية كوهي الكوكب
إما أغر يشق غرته الدجي ... أو إرثماً كالصاحك المستغرب
متقارب القطار يملأ حسنه ... لحظات عين الناظر المعجب
وأجل سيبك أن تكون قناعتي ... منه بأشقر ساطع أو أشهب
وقال:

وأغر في الزمن البهيم محجل ... قدرحت منه على أغر محجل
كاهيكل المبني إلا أنه ... في الحسن جاء كصورة في هيكل
وفي الضلوع يشد عقد حزامه=يوم اللقاء على معم مخول
أحواله للرستمين بفارس ... وجدوده للتبعين بموكل
يهوي كما تموي العقاب وقد رأت ... صيداً وينصب انصبا الأجدل
يتوهم الجوزاء في أرساغه ... والبدر فوق جبينه المتهلل
متوجس برقيقتين كأنما ... تريان من ورق عليه موصل
ذنب كما سحب الرداء يذب عن ... عرف وعرف كالقناع المسبل
جدلان يفيض عذرة في غرة ... نيق تسيل حجولها في جدل

كالرائح النشوان أكثر مشيه ... عرضاً على السنن البعيد الأ طول
ذهب الأعمالي حيث تذهب مثله ... فيه بناظرها حديد الأسفل
صافي الأديم كأنما عنيت به ... لصفاء نقبته مداوس صيقل
وكأنما نفضت عليها صبغها ... صهباء للبردان أو قطربل
لبس القنو مزعفرأ ومعصفراً ... يدمي فراح كأنه في خيعل
وكأنما كسي الخلود نواعماً ... مهما توصلها بلحظ تخجل

وتراه يسطع في الغبار لهيبه ... لوناً وشدّاً كالحريق المشعل
وتظن ريعان الشباب يروعه ... من جنة أو نشوة أو أفكل
هزج الصهيل كأن في لهواته ... نعمات معبد في الثقل الأول
ملك العيون فإن بدا أعطيته ... نظر الحب إلى الحبيب المقبل
وقال يمدح محمد بن طاهر:

أراجعني يداك بأعوجي ... كقدح النبع في الريش اللوام
بأدهم كالظلام أغر يجلو ... بغرته دياجير الظلام
تقدم في العنان فمد منه ... وضبر فاستزاد من الحرام
ترى أحجاله يصعدن فيه ... صعود البرق في الغيم الجهام
وما حسن بأن تهديه فذاً ... سليب السرج منزوع اللجام
فأتمم ما مننت به وأنعم ... فما المعروف إلا بالتمام
وقال آخر:

أدهم مصقول سواد الحقم ... قد سمرت جبهته بالنجم
وقال ابن نباتة:

وأدهم يستمد الليل منه ... ويقطع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير زهواً ... ويطوي خلفه الأغلاس طيا
فلما خاف وشك الفوت منه ... تشبث بالقوائم والحيا
وقال يمدح سيف اللولة ابن حمدان حيث أعطاه فرساً أدهم أغر محجلاً:
يا أيها الملك الذي أخلاقه ... من خلقه ورواؤه من رأيه
قد جاءنا الطرف الذي أهديته ... هاديه يعقد أرضه بسماؤه
أولايةً أوليته فبعثته ... رمحاً سيبب العرف عقد لوائه
يحتال منه على أغر محجل ... ماء الدياجي قطرة من مائه
فكأنما لطم الصباح جبينه ... فاقتص منه فخاض في أحشائه
متمهلاً والبرق من أسمائه ... متبرقعاً والحسن من أكفائه
ما كانت النيران يكمن حرها ... لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الأخطاف في أعطافه ... إلا إذا كفكفت من غلوائه
لا يكمل الطرف المحاسن كلها ... حتى يكون الطرف من إسرائه
وقال أبو العلاء المعري:

وبعيدة الأطراف زعن بماجد ... يرددين فوق أساود لم تطعم
ترعى خوافي الربد في حجرتها ... سغباً وتعثر بالغطاط النوم
يجمعن أنفسهن كي يبلغن ما ... يهوى، فمجفهن مثل الأعظم
ضمرت وشزبها القياد فأصبحت ... والطرف يركض في مساب الأرقم
من كل معطية الأعنة سرجها ... ترقى فوارسها إليه بسلم

غراء سلهبة كأن لجامها ... نال السماء به بنان المعجم
ومقابل بين الوجيه ولاحق ... وأفك بين مطهم ومطهم
صاغ النهار حجولة فكأنما ... قطعت له الظلماء ثوب الأدهم
قلق السماك لركضه ولربما ... نفص الغبار على جبين المرزم
مثل العرائس ما انشت من غارة ... إلا مخضبة السنابك بالدم
سهرت وقد هجع الدليل بلايس ... برد الحجاب مقيد فعل الضيغم
أدمت نواجذها الطبا فكأنما ... صبغت شكائهما بمثل العندم
وبنت حوافرها قتاماً ساطعاً ... لولا انقياد عداك لم يتهدم
باض النسور به وخيم مصعداً ... حتى ترعرع فيه فرخ القشعم
وسم إلى حوض الغمام فمأؤه ... كدر بمنهاك الغبار الأقيم
جاءت بأمثال القداح مفيضة ... من كل أشعث بالسيوف موسم
فوجدن أمضى من سهام الترك إذ ... نفضت وأنفذ من حراب الديلم
حتى تركن الماء ليس بطاهر ... والترب ليس يحل للمتيم
الجفر: عظيم الجنين، والأهضم: ضده، والتشزيب: معالجة الخيل حتى تضمر ويقل لحمها، ومعطية الأعنة: المنقادة
لراكبها، والسلهبة: السريعة الطويلة، والمقابل: ما كان كريم الجدين، والوجيه واللاحق: فحلان معروفان ينسب
إليهما كرائم الخيل، والمطهم: ما حسن منه كل شيء مقابل.
وقال:

وخيل لو جرت والريح شأواً ... ظننا الريح أوثقها إसार

غدت ولها حجول من لجين ... وراحت وهي من علق نضار
وأشيعت الوحوش فصاحبته ... كأن الخامعات لها مهيار
وكم أوردتها عدداً قديماً ... يلوح عليه من خز خمار
تطاعن حوله الفرسان حتى ... كأن الماء من دمهم عقار
كذا الأقمار لا تشكرونها ... وليس يعيها أبداً سفار
وقال:

وقد أغتدي والليل تأسفاً ... على نجمه والنجم في الغرب مائل
بريح أعيرت حافراً من زبرجد ... لها الجسم تبر واللجين خلاخل
كأن الصبا ألفت إلي عنانها ... تحب بسرجي تارة وتناقل
إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت ... عن الماء فاشتاقت إليها المناهل
وقال أبو تمام:

من قاده أشرُّ أو ساقه قدرٌ ... أو عمه عمرٌ فالجين مدلولُ
فالخيل مسرجةٌ والنبيل ملحمةٌ ... والسمر مشرعةٌ والسيف مسلولُ
خيلٌ تصان ليومي حلبة ووغى ... يزينها غرر شدخ وتحجيلُ
وقال ابن الشهيد الأندلسي:

وأغر قد لبس الدجى ... برداً فراقك وهو فاحم
يحكي بغيرته هلا ... ل الفطر لاح لعين صائم
وكأنما خاض الصبا ... ح فجاء مبيض القوائم
وقال ابن قلاؤس:

وأدهم كالغراب سواد لونٍ ... يطير مع الرياح ولا جناح
كساه الليل شملته وولى ... فقبل بين عينيه الصباح
وقال ابن المعتز:

ولقد غلوت على طمر سابح ... عقدت سنابكه عجاجة قسطل
مثلثم لجم الحديد يلو كها ... لوك الفتاة مساو كاً من إسحل
ومحجل غير اليمين كأنه ... متبخترٌ يمشي بكم مسبل
وقال أبو الوضاح المرسي:

ولقد غلوت مشرقاً حتى إذا ... ما لم أشم برقاً لأفق المغرب
بأغر أوجس للسماء بسمعه ... فرمته بين المقلتين بكوكب
وقال لسان الدين بن الخطيب:

صحبتهم غرر الجياد كأنما ... سد الثنية عارض متهلل
من كل منجردٍ أغر محجلٍ ... يرمى الجياد به أغر محجل
زجل الجناح إذا أظير لغايةٍ ... وإذا تغنى للصهيل فبلبل
جيد كما جيد الظليم وفوقه=أذن ممشقة وطرف أكحل
فكأنما هو صورة في هيكلٍ ... من لطفه وكأنما هو هيكل
ويشبهون قوائم الفرس المحجل إذا جرى بقوائم الكلب إذا ارتفعت إلى بطنه، فيصير تحجيلها كأنها أكلب تعدو، قال
العماني:

كأن تحت البطن منه أكلياً ... ييضاً صغاراً تنتهشن المنقبا
وقال آخر:

كأن قطاً أو كلاباً أربعاً ... دون صفاقه إذا ما ضبعا

الفصل الثالث في الدوائر وتسمى في المشرق بالنياشين وفي المغرب بالنخلات

وهي قسمان مملوحة ومدمومة، فالمملوحة دائرة العمود، وهي التي يكون في موضع القلادة قريبة من المعرفة،
ودائرة السمامة، وهي التي تكون في وسط العنق، ودائرة الهقعة وهي التي تكون تحت الإبط وهو أبقى الخيل
وأصبرها، والمدموم منها، ودائرة اللطاة إذا ثنيت وهما اللتان في وسط الجبهة، ودائرة اللاهز، وهي التي تكون في
العظم الناتئ في اللحي تحت الأذن، ودائرة البيئقة وهي التي في نحر الفرس، ودائرة القالع وهي التي تحت اللبد،
ودائرة الناحس وهي التي تحت الفخذ، في محل ضرب الفرس بذنبه على فخذيه وبقية الدوائر مسكوت عنها، وقد
نظمها بعض المغاربة على اصطلاحهم بقوله:

فستة الأنخال للخير أتت ... وستة للشر، شرها ثبت

فإن أتت في الدبر والحزام ... أو في العذار ثم في أمام
فرزقها يسهل ثم يقرب ... وفي التي خلف العذار يصعب
مقلوبة في الخلق طولاً لا ضرر ... وإن أتت بالعرض فالزم الحذر
وجوزة بأسفل العرقوب ... مقبولة عندي وذي مطلوبي
وعصرة الركاب أيضاً سادسه ... وما بقي خذه على المعاكسه
ما فوق حاجب تسمى ناطحه ... ووسط الخد تسمى نائحه
ما فوق ركبة تسمى سارقه ... أعني التي من خلف ليست لائقه
كذا التي تكون عند الحارك ... صاحبها يكون حقاً هالك
كما أتت في الفخذ من وراء ... معلومة بالشر والإيذاء
وعن يمين الذيل واليسار ... دوائر الأشرار، لا تمار
قد انتهت منظومة الأئحال ... مروية بالصدق عن بلال

ومما يتيمن به أهل الهند، إذا كان الفرس على حجفله العليا دائرة أو في صدره أو على خاصرته أو على مذبجه أو في
عنقه أو على أذنيه شعر نابت كزهر النبات كان ذلك مما يربط وتقضى عليه الحوائج ويتشاءمون مما كان في مقدم
يده دائرة أو في ركبتيه أو في أصل أذنيه من الجانبين، أو على خده، أو على حجفله السفلى، أو على ملتقى لحبيه،
أو على سرتيه أو على بطنه شعر منتشر، أو على خصيته شعر مخالف للونه، وقد اتفقوا مع العرب على شؤم الفرس،
إذا كان في لسانه خطط سود، قال أبو داؤد:

عن لسان كجثة الورق الأح ... مر مج الندى عليه العرار
وقال حماد عجرد:

كأن لسانه ورق عليه ... بدار مضيئة مج العرار
أو داخل حجافله وهواته وخارج لحبيه سواد، أو داخل حجافله بياض، أو في لهواته، أو داخل منخرية نقط سود،
أو خارج حجفله نقط كحب السمسم، أو كانت شفته السفلى بياض.

الفصل الرابع في أسماء مفاصل الرأس ومنابت شعره وأسنانه وما يتعلق بذلك

سراة كل فرس أعلاه، والقونس أعلى الرأس وعظم ناتئ بين أذني الفرس، والناصية الشعر المسترسل على الجبهة،
والعصفور أصل منبت الناصية، وعظم ناتئ في جنبه، والقذال مجمع مؤخر الرأس وهو محل عقد العذار، والعرف ما
ينبت من شعر العنق إلى عذرتيه، والعذرة الشعر الذي يقبض عليه الراكب حين ينهض على الفرس، ومحل منبت
العرف يسمى معرفة. ويكنف العرف عرقان يسميان علباءين. والناهقان عظامان أسفل عينيه، والوقتبان نقرتان
فوقهما، والبلدة ما بينهما، والعجاجتان عظامان طائفتان بهما، والخدان صفحتا الوجه والمرسن مصاب الرسن من
أنفه، ونخرة الأنف ما رق من فوقه ولان، والغرضان ما انحدر من جانبي قصبية الأنف، والحجفلتان شفتاه، والغيد
الشعر الذي على الحجفلة. وفي فمه أربع ثنايا وأربع رباعيات وبعدهن أربع تسمى قوارح، وأربعة أنياب وثمانية
أضراس في كل شق ثنتان، والصليقان عرضا العنق والجيران الجلدة بين المذبح والمنخر، واللبان ما جرى عليه سير
اللب، ويقال له لبة، والكلكل الصدر وهو ما عرض عند ملتقى أعلى يديه مما يلي العنق، والفهدان اللحمتان

الناتتان في الزور، والحارك أعلى الكاهل ومنبت أدنى العرف، والسرطان عرقان يستبطنان اللسان، والصهوة مقعد الفارس، والمعدان موضع دقتي السرج، والحزم الذي يجري عليه سير الحزام والحصير ما ظهر من أعلى ضلوعه، والحجبتان ما أشرف على صفاق البطن من وركيه، والعكوة أصل الذنب وعظمه وجلده يسمى عسيباً، والشعر الذي عليه يسمى سيبباً وسيبباً، والسبيب يطلق على الناصية أيضاً والجاعرتان مضرب ذنبه على فخذه، والصلوان ما عن يمين الذنب وشماله، والغائلتان عرقان مستبطنان في الفخذين، والنسا عرق من الورك إلى الكعب ويثنى فيقال نسوان، والوابلتان رؤوس العضدين والفخذين، والذراعات العضوان من تحت ومن فوقهما العضدان، ومنتهى حدتهما من اليدين الركبتان، وفي الركبتين عظامان مدوران يسميان ضاغطين، وما بين الركبتين والرسغين من اليدين وظيفتان، والعجاجة عظم في قوائم الفرس فيه نصوص من عظم تكون عند الرسغ كالكعاب، والثنة شعر مستمرل فوق الرسغ في الوظيف، والرسغ المفصل الذي يكفه الحافر والوظيف، والسنيك طرق مقدم الحافر ويمينه ويساره حاميتان، والصحن جوف الحافر ويقال له الحوشب أيضاً، والجة ما يكون الحوشب داخلها، والنسر ما شابه النوى في باطنه، والشوى اليدان والرجلان، والأطراف وقحف الرأس ما إذا أصيب به الفرس لا يقتله، وفي الفرس أشياء تسمى بأسماء بعض الطيور ستأتي إن شاء الله تعالى.

نادرة

قال الأصمعي: "حضرت أنا وأبو عبيدة عند الرشيد، فقال لي: كما كتابك في الخيل؟ فقلت مجلد واحد، فسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال خمسون مجلداً. فقال له الربيع: قم إلى هذا الفرس وأمسك عضواً عضواً منه وسمه فقال: لست ببيطار وإنما أخذت شيئاً عن العرب. فقال: قم يا أصمعي وافعل ذلك فقمتم، وأمسكت ناصيته، وجعلت أذكر عضواً عضواً، وأضع يدي عليه وأنشد ما قالت العرب فيه إلى حافره، فقال خذه فأخذته، وكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبته وأتيته".

الفصل الخامس في طبائعها

اعلم أن الخيل أقرب ما يكون من الإنسان مزاجاً، لأن الغالب على مزاجها الحرارة والرطوبة، وعنصرها الهواء، ومن ثم خصت بمزيد الجري، ولذا سماها بعض الحكماء: بنات الريح، وقال سيّار إنها أصح الحيوان مزاجاً ولذا تؤثر فيهما الرياضة، ومن أخلاق جيادها الدالة على شرف نفسها أنها لا تبوك ولا تروث ما دامت مركوبة، ولا تمكن غير صاحبها من ركوبها، ولا تأكل بقية علف غيرها ولا تشرب إلا بالصفير. حكى عن عائشة بنت طلحة لما زفت إلى مصعب بن الزبير سمعت امرأة منها شخيراً ونخيراً وغطيطاً عند الجماع، فكلمتها في ذلك، فقالت: إن الخيل لا تشرب إلا بالصفير، وتحيض كالنساء. قال الجاحظ والحبيص يعرض للإناث منهن ولا يحيض من الحيوانات غير الخيل والناقة والأرنب والكلية، وللأثني من الخيل شبق شديد ولذلك تطيع الفحل ولو كان من غير جنسها. وقال الشيخ الأكبر قدس الله سره: إذا وطأت الخيل أثر الذئب ارتعدت وخرج الدخان من جسدها وقيل إن قوائمها يعتربها الخدر حتى تكاد لا تتحرك.

الفصل السادس في الصهيل

فإن كان الصوت من الفم سمي شخيراً، أو من المنخرين فنخيراً أو من الصدر فكريراً، وأنواع الصهيل ثلاثة: أجش وصلصال ومجلجل، فالأجش ما جهر صوته، والصلصال ما حد ودق جداً، والمجلجل ما صفا ولم يدق، وكانت فيه غنة أي يخرج أكثر صهيله من منخرية وهو أحسن الصهيل. قال ابن أم حكيم:

أجش هزيم جريه ذو علالة ... وذلك خير في العناجيج صالح
وقال لييد:

بأجش الصوت يعوب إذا ... طريق الحي من الغزو سهل
وقال الحارث النجاشي:

ونجى ابن حرب سابع ذو علالة ... أجش هزيم والرماح دواني
وقال الجعدي:

ويصهل في مثل جوف الطوى ... صهيلاً تبين للمعرب
وقال أبو بكر بن بقي:

ونوبة من صهيل الخيل يسمعا ... بالرمل أطيب أحياناً من الرمل
وقال المتنبي:

كرم تبين في كلامك مائلاً ... ويبين عتق الخيل في أصواتها
وقال:

مررت على دار الحبيب فحمحمت ... جوادي وهل تشجو الجياد المعاهد

وما تنكر الدهماء من رسم منزل ... سقتها ضربيب الشول فيها الولائد

أهم بشيء والليالي كأنها ... تطاردني عن كونه وأطارد

وحيداً من الخلان في كل بلدة ... إذا عظم المطلوب قل المساعد

وتسعدني في غمرة بعد غمرة ... سوح لها منها عليها شواهد

تشنى على قدر الطعان كأنما ... مفاصلها تحت الرماح مراد

وأورد نفسي والمهند يدي ... موارد لا يصدرن من لا يجالد

ولكن إذا لم يحمل القلب كفه ... على حالة لم يحمل الكف ساعد

فنشبيه الرماح بالمفاصل كالميل في العين في قوله تشنى إلخ... فاسد لأنه خص الطعن بالمفاصل وليس كل طعن يكون

فيها، وإذا كانت الرماح في المفاصل كالميل في العين فما الحاجة إلى تشنيتها. وقال النابغة الجعدي:

غدا هزجاً طرباً قلبه ... لقين وأصبح لم يلعب

اهزج صوت مطرب فيه بحة. وقال لسان الدين بن الخطيب:

جزل الجناح إذا أظير لغاية ... وإذا تعنى للصهيل فبلبل

وقال حبيب الطائي يمدح مالك بن طوق:

قالت وعي النساء كالحرس ... وقد يصبن الفصوص في الخلس

هل يرجعن غير خائب فرساً ... ذو نسب في ربيعة الفرس

كأنني بي قد زنت ساختها ... بمسيح في قياده سلس

احمر منها كالسبيكة أو ... أحوى به كاللمى أو اللعس

أو أدهم زينته كمتة فحلاً ... كأنه قطعة جاءت من الغلس
امتن متن وصهوتين إلى ... حوافر صلبة له ملس
فهو لدى الروع والحلائب ذو ... أعلى مندى وأسفل يبس
يكبر أن يستحم في الحر وال ... قر حميماً يزيد في البخس
مخلق وجهه على السبق تخلي ... ق عروس الأنباء للعرس
حر له سورة لدى السوط والزج ... ر وعند العنان والمرس
فهو يسر الرواض بالنزق السا ... كن منه واللين والشرس
صهصلق في الصهيل تحسبه ... أشرح حلقومه على جرس
تقتل عشراً من النعام به ... بواحد الشد واحد النفس
الحمحة: ترداد الفرس صوته كالحين. قال عنتره العبسي:
لما سمعت نداء قومي قد علا ... وابنا ربيعة في الغبار الأقم

أيقنت أن سيكون عند لقائهم ... طعن تخر له فروخ الحوم
وكان غارة ناجز بنسيمه ... شبت عوارضها إليك من القم
ودعوت فهداً للنزال فأقحموا ... عند الطعان بكل ليث ضيغم
تحت الأغر وفوق جلدي ترة ... تحكي لقعقة الغدير الملجم
فكشفت عنهم والسيوف كأنها ... برق الأوادع بالرماح الحطم
مازلت أرميهم بغرة وجهه ... وثباته حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا فجرته ... فشكى إلي بعبرة وتحجم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي
لما رأني لا أنفذ كربه ... عض الشفاه على اللجام وقمقم
والخيل عابسة الوجوه كأنما ... سقيت فوارسها نقيع العلقم
وقال:

وفرت جيشاً كان في جنابه ... دمام رعد تحت برق الصوارم
على مهرة منسوبة عربية ... تطير إذا اشتد الوغى بالقوائم
وتسهل خوفاً والرماح قواصد ... إليها وتنسل انسلال الأرقام
قحمت بما بحر المنايا فحمحت ... وقد عرفت في موجه المتلاطم
وقال عبد عمر بن شريح:

طلقت إذا لم تسألني أي فارس ... حليلك إذ لاقى صداء وخشعما
أكر عليهم دعلجاً ولبانة ... إذا ما اشتكى وقع السلاح تحمحا
وقال سيدي الوالد قدس الله سره:

تسألني أم البنين وإنما ... لأعلم من تحت السماء بأحوالي
ألم تعلمي ياربة الخدر أنني ... أجلي هموم القوم في يوم تجوالي
وأغشى مضيق الموت لا متهيأً ... وأحي نساء الحي في يوم تموال

يتنقن النسائي حيث ما كنت حاضراً... ولا تتقن في زوجها ذات خلخال
أمير إذا ما كان جيشي مقبلاً... وموقد نار الحرب إذ لم يكن صالي
إذا ما لقيت الخيل إني لأول... وإن جال أصحابي فإني لها تالي
أدافع عنهم ما يخافون من ردى... فيشكر كل الخلق من حسن أفعالي
وأورد رايات الطعام صحيحة... وأصدرها بالرمي تمتال غربال
ومن عادة السادات بالجيش تحتمي... وي يحتمي جيشي وتمتع أبطالي
وي تتقن يوم الطعان فوارس... تخالينهم في الحرب أمثال أشبال
إذا تشتكي خيلي الجراح تحمحمماً... أقول لها صبراً كصبري وإجملي
وأبذل يوم الروع نفساً كريمة... على أنما في السلم أعلى من الغلي
سلي الليل عني كم شققت أديمه... على ضامر الجنين معتدل علي
سلي البيد عني والمفاوز والربي... وسهلاً وحرناً كم طويت بترحالي
فما همتي إلا مقارعة العد... وهزمتي لأبطال شداد بأبطالي
فلا تهزني بي واعلمي أنني الذي... أهاب ولو أصبحت تحت الثرى بالي
تتمة: قد وضعت العرب لأصوات الحيوانات على اختلاف أجناسها أسماء، فيقولون سهل القرس، وزأر الأسد،
ونعت الشاة، ونهق الحمار، وشحج البغل، ورغا الجمل، وعوى الذين، ووعوع ابن آوى، ونبح الكلب، وضبح
الثعلب، وقبع الخنزير، وضغا السور، وبغم الظبي، وفحت الأفعى، ونقنقت الضفادع، وصأى الفرخ، ونعب
الغراب، وصقع الديك، وهدر الحمام، وغرد، وهنتف الحمامة، وزقرق العصفور، ونقض العقاب، وهكذا يسمى
صوت كل حيوان باسمه المختص به.

الباب الخامس في نعوت الخيل المملوحة والمذمومة واختلافها باختلاف الأقاليم وفيه

فصلا

الفصل الأول في نعوت الخيل الممدوحة

وقد التزمت أن أذكر لكل وصف شاهداً من كلام العرب إما نظماً أو ثراً، وأن استقصي أوصافها تفصيلاً أو إجمالاً

ذكر الأصمعي أن ثلاثة من العرب لا يقاربهم أحد في وصف الخيل: أبو دؤاد، والطفيل، والجعدي، فأما أبو دؤاد فكان على خيل النعمان بن المنذر، والطفيل كان يركبها وهو أعزل إلى أن كبر، والجعدي سمع أوصافها من أشعار أهلها فأخذها عنهم، وقال أبو عبيدة: إن أبا دؤاد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام وبعده طفيل الغنوي والنابغة الجعدي، وقال عمر بن شيبه: كان أبو عبيدة عالماً بأوصاف الخيل وكان يقول: ما التقى فرسان في جاهلية ولا إسلام إلا عرفتهما وعرفت فارسيهما. وعن ابن الأعرابي قال: لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دؤاد، والخمر إلا احتاج إلى أوس بن حجر، ولا النعام إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة، ولا الاعتذار في الشعر إلا احتاج إلى النابغة.

وروى المسعودي عن محمد بن عبد الله اللمشقي قال: "لما انحدرنا مع المنتقي بالله من الرحبة وسرنا إلى مدينة غانه

فدعا بالرقبي وغلّامه للمسامرة فاتصل بهما الحديث إلى ذكر الخيل فقال المتقي أيكم يحفظ خبر سلمان بن ربيعة الباهلي، قال الغلام: ذكر عمرو بن العلاء أن سلمان كان يهجن الخيل ويعدّيها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاءه عمرو بن معدّي كرب بفرس كميّت فهجنه فاستعدّي عليه عمرو وشكاه إليه فقال سلمان ادع بيّناه رحراح قصير الجدر، فدعا به، فصب فيه ماء، ثم أتى بفرس عتيق فمد عنقه وشرب ثم أتى بفرس عمرو الذي هجن فمد عنقه كما فعل العتيق ثم ثنى أحد السنّبين قليلاً فشرّب فلما رأى ذلك عمر رضي الله عنه قال أنت سلمان الخيل. أقول: ومن العلامات أيضاً أن العتيق يضع منخريه في الماء حين الشرب، وغيره يضع طرف منخره فيه - ثم قال المتقي: فما عندكم عن علماء العرب في صفاها؟ قال الرقي: ذكر الرياشي عن الأصمعي قال: إذا كان الفرس طويل أوظفة اليدين قصير أوظفة الرجلين طويل الذراعين قصير الساقين طويل القخذين والعضدين منفرج الكتفين، لم يكن يسبق وإذا سلم منه شيئان لم يضرع عيب، عنقه مغروز في كاهله، ومغروز عجزه في صلبه، وإذا جدت حوافره فهو هو". وأنشد المبرد:

ولقد شهدت الخيل تحمل شكّتي ... عنه كسرحان القضيمة مهذب

فرس إذا استقبلته فكأنه ... في العين جذع من أوائل مشرب

وإذا اعترضت له استوت أقطاره ... فكأنه مستدبر المتصوب

وسأل معاوية بن أبي سفيان مطر بن دراج فقال له: "أخبرني أي الخيل أفضل وأوجز. فقال: الذي إذا استقبلته قلت نافر، وإذا استدبرته قلت زاجر، وإذا استعرضته قلت زافر، سوطه عنانه، وهو اه أمامه". (الزاهر: المشرف العالي، والزافر: عظيم الجنين). وكان لعمرو بن معدّي كرب فرس تسمى الكاملة من بنات البعيث، فعرضها على سلمان بن ربيعة فهجنها، فقال عمرو: أجل هجين يعرف المهجين وقال:

يهجن سلمان بنت البعي ... ث جهلاً لسلمان بالكامله

فإن كان أبصر مني بها ... فأمي لا أمه هابله

فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فكتب إليه: بلغني ما قلت لأميرك، وبلغني أن لك سيفاً تسميه الصمصامة، وعندني سيف اسمه مصمصم، وإجم الله لئن وضعته على هامتك لا أقلعه حتى أبلغ رهايتك فإن سرك أن تعلم ما أقول فأعد (الرهاية: عظم في الصدر يشرف على البطن). وحكى أبو عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مقاول حمير ولدان عمرو وربيعه، وقد برعا في العلم والأدب، فلما بلغ أبوهما أقصى عمره، وأشفى على الفناء، دعاهما ليبلو عقلهما ويعرف مبلغ علمهما، فلما حضرا لديه، سألهما عن أشياء، من جملتها عن الخيل قال: فأخبرني يا عمرو أي الخيل أحب إليك عند الشدائد إذا التقى الأقران للتجالد؟ قال: الجواد الأنيق، الحصان العتيق، الكفيت العريق، الشديد الوثيق، الذي يفوت إذا هرب ويلحق إذا طلب قال والله نعم القرس نعت، فما تقول يا ربيعة؟ قال: غيره أحب إلي منه. قال: فما هو؟ قال: الحصان الجواد الثبت القياد الشهم الفؤاد، الصور إذا سرى، السابق إذا جرى، قال: فأني الخيل أبغض إليك يا عمرو؟ قال: الجموح الطموح النكول الأنوح الصردل الضعيف، الملول العنيف الذي إذا جاريته سبقته. قال ما تقول يا ربيعة؟ قال: غيره أبغض إلي منه. قال وما هو؟ قال البطيء الثقيل، الذي إذا ضربته قمص، وإن دنوت منه شمس، يدركه الطالب، ويفوته الهارب، ويقطع بالصاحب، وغيره أبغض إلي منه قال: فما هو؟ قال الجموح الخبوط، الركوض الشموص الضروط، القطوف في الصعود والهبوط، الذي لا يسلم صاحب ولا ينجو من الطالب.

وقيل لأعرابي صف لنا الجواد من الخيل فقال: إذا اشتد نفسه ورحل متنفسه، وطال عنقه واشتد حقوه، وأهر

شدة، وعظمت فصوصه، وصلبت حوافره فهو من الجياد. وسئل غيره عنه فقال: إذا عدا اسعلب وإذا قيض
اجلعب وإذا انصب أتأب أي إذا ركض كان كالسباح (وقوله اجلعب أي مضى وجد في سيره وقوله أتأب أي
استقام) قال أبي بن سلمى الضبي:

وخيل تلافيت ريعانها ... بعجلزة جهزي المدخر
جوم الجراء إذا عوقبت ... وإن نوزقت برزت بالحضر
سبوح إذا اعترضت في العنان ... مروح ململمة بالحجر
دفعن على نعم بالعرا ... ق من حيث أفضى به ذو شمر
فلو طار ذو حافر قبلها ... لطارت ولكنه لم يطر

وعرضت على ابن قيصر من بني أسد بن خزيمه خيل فأوماً إلى بعضها وقال تحيء هذه سابقة. فسئل ما الذي رأيت
فيها؟ فقال: رأيتها مشت فكثفت، وخبث فرجفت، وعدت فنسفت، فجاءت كما قال سابقة. وسئلت ابنة الحس:

أي الخيل أحب إليك؟ فقالت: ذو المائعة الصنيع، السليط التليع، الأيد الصليع، الملهب السريع، فقبل لها: أي
الغيوث أحب إليك؟ قالت ذو الهيدب المنبعق، الأضحخم المؤتلق، الصخب المنبتق. (قولها: المائعة: ناصية الفرس إذا
طالت وسالت، والصنيع السمين والسليط الشديد، والتليع الرافع رأسه والأيد القوي والصليع شديد الأضلاع،
والملهب مثير الغبار في عدوه، والسريع ما يكون في أوائل الخيل، والهيدب السحاب المتدلي، والمنبعق المنبعج بالمطر،
والأضحخم الثقيل، والمؤتلق البرق اللامع، والصخب شدة الصوت، والمنبتق المنفجر.

وقيل لها: ما مئة من المعز؟ قالت: مويل يشف الفقر من ورائه، مال الضعيف وحرفة العاجز، قيل لها فما مئة من
الضأن؟ قالت: قرية لا حمى لها، قيل لها فما مئة من الإبل؟ قالت: بخ جمال ومال ومنى الرجال، قيل لها: فما مئة من
الخيل؟ قالت طغى من كانت له ولا توجد، قيل لها فما مئة من الحمر؟ قالت: عارية الليل وخزي المجلس، لا لبن لها
فيحلب، ولا صوف فيجز، إن ربط غيرها أدلى، وإن ترك ولى. واجتمع خمس جوار من العرب وقلن: هلمن نعت
خيل آباءنا، فقالت الأولى: فرس أبي وردة، وما وردة؟ ذات كهل مزحلق، ومتن أخلق، وجوف أخرق، ونفس
مروح، وعين طروح، ورجل ضروح، ويد سبوح، بدايتها إهداب، وعقبها غلاب.

وقالت الثانية: فرس أبي اللعاب، وما اللعاب، غيبة سحاب، واضطرام غاب، مرقص الأوصال، أشم القذال،
ملاحك الخال، فارسه مجيد، وصيده عتيد، إن أقبل فظبي معاج، وإن أدبر فظليم هداج، وإن أحضر فعلج هراج.
وقالت الثالثة: فرس أبي خدمة، وما خدمة؟ إن أقبلت فقناة مقومة، وإن أدبرت فأنفية ململمة، وإن أعرضت فذبية
معجزة، أرساغها مترقصة، وفصوصها محصاة، جريها انشراح، وتقريبها انكدار.

وقالت الرابعة: فرس أبي خيفق، وما خيفق؟ ذات ناهق معرق، وشدق أشدق، وأديم مملق، لها خلق أشرف، ودسيع
منفنف وتليل مسيف، وثابة ولوج، خيفانة رهوج، تقريبها إهماج، وحضرها ارتعاج.

وقالت الخامسة: فرس أبي هذلول؟ طريده محبول، وطالبه مشكول، دقيق الملائخ، أمين المعاقم، عبل الخزم، مخد
مرجم، منيف الحارك، أشر السنابك، مجدول الخصائل، سبط الغلائل، معوج التليل، صلصال الصهيل، أديمه صاف،
وسببته ضاف، وعلوه كاف.

فوردة في كلام الأولى: اسم القرس، والمزحلق: الأملس، والأخلق: ناعم الجلد، والأحرق: واسع البطن، والمروح:
السهل، والطروح: حديد البصر، والضروح: قوة الجري التي تمد يديها في الجري كما يمد السباح في الماء يديه،
والإهداب: نوع من الركض، والغلاب: إدامة الجري بلا تعب، والسحاب في قول الثانية: المطر، أي هو كالمطر في

شدة الجري، ومرفص الأوصال: أي محكم الأعضاء، والقذال: محل عقد العذار، أي: مرتفعه، وملاحك الخال: أي مقارب فقرات الظهر، والطبي المعاج: الغزال المسرع، أي أنه كالطبي إذا أقبل، وكالظليم إذا أدبر، وكحمار الوحش إذا أحضر. والأثنية الملممة في قول الثالثة: أي الحجر المورة والمعجزة المسرعة. والناحق في قول الرابعة: العظم الشاخص في الخد، والمعرق: قليل اللحم وأديم مملق: أي ناعمة الجلد، والدسيغ: مركب العنق في الحارك، وثابة ثلوج: أي سريعة الوثب، وخيفانة رهوج: أي كالجرادة في سرعة جريها، والإهماج: أسرع العدو. والملاغم في قول الخامسة: الحجاقل، والمعاقم المفاصم ومحد مرجم: أي قوي على السير كأنه يشق الأرض بجوافره. وقال ابن الأثير: وطالما امتطيت صهوة مطهم فغيت عن نشوة الكميت من ذات نهد يسابق الريح فيغير وجهها دون شق غبارها، وإذا ظهر عليها رجعت حسرى في مضماره، نسب إلى الأعوج وهو مستقيم في الكر والفر وقد حنقت عليه عين الشمس إذ لا يمكنها أن ترسم ظله على الأرض إذا مر، ليلي الإهاب لطم جبينه الصباح بيها، فعدا عليه وخاض يقتص منه في أحشائه كما قال ابن نباتة السعدي:

وكأنما لطم الصباح جبينه ... فاقتنص منه فخاض في أحشائه

وقد أعتدي عليه والطير في وكناتهما فلايفوتني الأجل

وإذا أطلقته لصيد الوحوش رأيتني على منجرد قيد الأوابد هيكل وقال في وصف فرس: له من العربية حسب ومن الكردية نسب فهو من بينهما مستتج لا يتنسب إلى خبيب ولا إلى أعوج. ومن صفاته أنه رحب اللبان، عريض البطن، سلس العنان، ينثني على قدر الطعان، وعلى قدر الكرة والصولجان، قد استوت حالته قادماً ومتأخراً، وإذا أقبل خلته مرتفعاً وإذا أدبر خلته منحدرًا كأنه في حسنه دمية محراب، وفي خلقه ذروة هضاب، وهو في سباقه ولحاقه مخلق يخلق المضمار وادم الصراب والصور فهو منسوب إلى ذوات القوادم، وإن كان محسوباً في ذوات القوائم، كأنما ثنى لجامه على سالفة عقاب وشد حزامه على بارقة سحاب، فقله لا يتنسب إلى خبيب ولا إلى أعوج فالأول فرس كريم للأكراد والثاني فرس مشهور من العرب).

وكتب عبد الله بن طاهر إلى المأمون: قد بعثت إلى أمير المؤمنين بفرس يلحق الأرانب في الصعداء، ويجاوز الظباء في الاستواء، ويسبق في الحلور جري الماء كما قال تأبط شراً:

ويسبق وقد الريح من حيث تنتحي ... بمنخرق من شدة المتدارك

وقال محمد بن الحسن في وصف فرس: حسن القميص، جيد الفصوص، وثيق القصب، نقي العصب، يصير بأذنيه، ويتبوع يديه، ويداخل برجليه، كأنه موج في لجة، أو سيل في حلور، يناهب المشي قبل أن يبعث ويلحق الأرانب في الصعداء ويجاوز جوارى الظباء في الاستواء ويسبق في الحدور جري الماء إن عطف جار وإن أرسل طار وإن كلف السير أمعن وسار وإن حبس صفن، وإن استوقف قطن، وإن رعي ابن.

وقال ابن المعتز: ساد فلان في جيوش عليهم أردية السيوف وأقمصة الحديد، وكان رماحهم قرون الوعول، وكان أذراعهم زبد السيول، على خيل تأكل الأرض بجوافرها، وتمد بالنقع سرادقها، قد نشرت في وجوها غرر كأنها صحائف الورق، وأمسكها تحجيل كأنه إسورة اللجين، وقرطت عذاراً كأنها الشنف، تتلقف الأعداء أوائله ولم تنهض أواخره، قد صب عليهم وقار الصبر، وهبت معهم ريح النصر.

وسئل أعرابي عن سوابق الخيل فقال: إذا مشى ردى وإذا عدا دحا، وإذا استقبل ألقى وإذا استدبر حبا، وإذا

اعترض استوى (دحا: انبسط على الأرض، وألقى: تساند إلى وراء، والحبو: ارتفاع المنكين إلى العنق).

وروي أن رجلاً خرج في الشهر الحرام لحاجة، فدخل في الحل فطلب رجلاً يستجير به، فرأى أغلماً يلعبون فقال

لهم: من سيد هذا الحي؟ فقال له غلام: هو أبي. قال: ومن أبوك؟ قال باغث بن عويص، قال: صف لي بيت أبيك. قال: بيت كأنه حرة سوداء أو غمامة جماء بفنائه ثلاثة أفراس: أما أحدهم فمفزع الأكناف، متماحل الأكناف، متمائل الأطراف؛ وأما الآخر فذيال جوال سهال أمين الأوصال أشم القدال؛ وأما الثالث فمغار مدمج محبوك مجملج كالقهق الأذعج، فمضى الرجل حتى انتهى إلى الحباء وقال: يا باغث جار علقته علائقه، واستحكمت وثائقه، فخرج إليه وأجاره.

وروي أن شاباً ابتاع فرساً فجاء إلى أمه، وقد كف بصرها، وقال: يا أمه قد اشتريت فرساً فقالت: صفه لي. قال: إذا استقبل فظي ناصب وإذا استدبر فهقل خاضب، وإذا استعرض فسيّد قارب، مؤلل المسمعين، طامح النظرين، فقالت: أجدت إن كنت أعربت، قال: إنه مشرف التليل، سبط الخصيل، وهواه الصهيل، فقالت: أكرمت فارتبط. وحكى زهير بن حباب أن علقمة بن جندل الطعان أغار على عبد الله بن كنانة بن بكر وهم بعسفان، فقتل عبد الله بن هبل ومالك بن عبيدة وصريم بن قيس بن هبل، وأسر مالك بن عبد الله بن هبل وأفلت من أفلت، فأقبلت جارية من عبد الله بن كنانة فقالت لزهير: يا عماه! ما ترى ما فعل أبي؟ قال: وعلى أي فرس كان أبوك؟ قالت: على شفاء نفاء طويلة الإنقاء تطلق الشيخ بالمرق. قال: نجا أبوك. ثم أنته أخرى وقالت: يا عماه ما ترى ما فعل أبي؟ قال: وعلى أي فرس كان؟ قالت: على طويل بطنها قصير ظهرها هاديها شطرها يكبها حضرها فقال: نجا أبوك. ثم أتت بنت مالك بن عبيدة فقالت: يا عماه ما ترى ما فعل أبي؟ قال: وعلى أي فرس كان؟ قالت: على الكزة الأنوح، التي يكفيها لبن اللقوح، فقال: هلك أبوك. فقال رجل: ما أسوأ بكاهها فقال: لا تعلم اليتيم البكا فأرسلها مثلاً.

وروي أبو الفرج الأصبهاني أن خالد بن كلاب أتى النعمان بن المنذر بفرس فوجد عنده الحارث بن ظالم والريبع بن زياد فقبله منه وأكرمه فقام الحارث وقد له فرسه وقال أبيت اللعن نعم صباحك وأهلي فداؤك، هذا فرس من خيل بني قرة فلن تؤتى بفرس يشق غباره، إن لم تتسبه انتسب، كنت ارتبطه لغزو بني عامر بن صعصعة، فلما أكرمت خالداً أهديته إليك، فقام الريبع بن زياد وقدم له فرسه ثم قال: أبيت اللعن نعم صباحك وأهلي فداؤك، هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت أباه عشرين سنة لم يخفق في غزوة، ولم يعتلك في سفر، وفضله على هذين القوسين، كفضل بني عامر على غيرهم، فغضب النعمان عند ذلك وقال: يا معشر قيس أي خيلكم أشباهنا؟ أين اللواتي كان أذنهما شقاق أعلام ومناخرها وجر الضباع، وعيونها بغايا النساء، رقاق المستطعم، تعالك اللجم في أشداقها، تدور على مذاودها، كأنما يقضمن حصى. فقال خالد: زعم الحارث أبيت اللعن أن تلك خيله وخيل آبائه فغضب النعمان عند ذلك على الحارث. وروي أن الحجاج سأل ابن القريّة عن صفة الجواد فقال: هو الطويل الثلاث القصير

الثلاث الرحب الثلاث العريض الثلاث الصافي الثلاث الأسود الثلاث الغليظ الثلاث فقال صفهن وبين قال: أما الطويل الثلاث فالأذن والعنق والنراع، وأما القصير الثلاث فالعسيب والرسغ والظهر، وأما الرحب الثلاث فالجوف والمنخر واللب، وأما العريض الثلاث فالجبهة والصدر والكحل، وأما الصافي الثلاث فالأديم والعين والحافر، وأما الأسود الثلاث فالحدقة والحجفلة والحافر، وأما الغليظ الثلاث فالقخذ والوظيف والرسغ وقد نظم الصفي الحلبي بعضها بقوله:

وطرف تخيرته طرفة ... وأحبيته من جميع التراث

إذا انقض كالصقر في حلبة ... ترى الخيل في إثره كالبعث

حوى يبدائع أو صافه ... مضاء الذكور وصبر الإناث

طويل الثلاث قصير الثلاث ... عريض الثلاث فسيح الثلاث

وقال آخر:

وقد أعتدي قبل ضوء الصباح ... وورد القطا في القطة الحنثا

بصافي الثلاث عريض الثلاث ... قصير الثلاث طويل الثلاث

قال البديع الهمداني: حدثنا عيسى بن هشام قال: حضرنا مجلس سيف الدولة يوماً وقد عرض عليه فرس فقال
لجلسائه أيكم أحسن صفته جعلته صلته. فكل جهد جهده وبذل ما عنده، فقال بعض غلمانه: أصلح الله الأمير، إني
رأيت بالأمس رجلاً يظاً الفصاحة بنعليه، وتقف الأبصار عليه، يسلي الناس ويشفي الباس، فلو أمر الأمير بإحضاره
لفضلهم بأحضاره، فقال سيف الدولة: علي به في هيئته فسار الغلمان في طلبه، ولما جاؤوا به، أدخلوه وهو في
طمرين فسلم، ولما رآه سيف الدولة أمر له بالجلوس وأدى مجلسه وقال: بلغنا عنك حاضرة فاعرضها بهذا الفرس
ووصفه. فقال: أصلح الله الأمير، كيف أصفه قبل ركوبه وكشف محاسنه وعيوبه. فقال: اركبه فركبه وأجراه ولما
نزل عنه قال: هو طويل الأذنين قليل لحم الاثنيين، لين الثلاث غليظ الأكرع، غامض الأربع، شديد النفس، لطيف
الخمس، ضيق القلت رقيق الست، حديد السمع، غليظ السبع رقيق اللسان، عريض الثمان، شديد الضلع، قصير
التسع، واسع الشجر، بعيد العشر، يأخذ بالسانح، ويطلق بالرامح، ويطلع بلاح، ويضحك عن قارح، بخروجه
الكديد بمذاق الحديد، يحضر كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج، فقال: خذه مباركاً عليك، فقال له: لا زلت تأخذ
الأنفاس وتمح الأفراس. قال عيسى فلما انصرف تبعته وقلت له: لك علي ما يليق بك من الحلل لركوب هذا
الفرس إن فسرت ما وصفت، فقال: سل عما أحببت، فقلت ما معنى قولك قليل لحم الاثنيين؟ قال: لحم الوجه
والمتنين. قلت: فما معنى لين الثلاث؟ قال: المرذغتين والفرق والعناق، قلت: فما معنى غامض الأربع؟ قال: أعلى
الكتفين والمرفقين والحجاجين والشظا، فقلت: أحسنت. فما معنى لطيف الخمس؟ قال: الزور والنسر والحية
والعجاية والركبة، فقلت: أجدت ما معنى رقيق الست؟ قال: الجفن والسالفة والحجفلة والأديم وأعلى الأذنين
والفرضين، فقلت: لله أبوك، فما معنى غليظ السبع؟ قال: الذراع والنخرم والعكوة والشوى والرسغ والتمخذين
والحيال، فقلت: حياك الله فما معنى عريض الثمان؟ قال: الجبهة والصفوة والكتف والجنب والعصب والبلدة
وصفحة العنق، فقلت: لله درك فما معنى قصير التسع؟ قال: الشعرة والأطرة والعسيب والقضيب والعضدين
والرسغين والنسا والظهر والوظيف، فقلت: ما معنى بعيد العشر؟ قال: بعيد النظر والخطو وأعلى الجنين وما بين
الوقبين والجاعرتين وما بين القرايين والمنخرين وما بين الرجلين، وما بين النقبة والصفاق، والقامة في السباق، فقلت
له: من أين أخذت هذا العلم؟ قال: من الثغور الأموية وبلاد الاسكندرية، فقلت له: أنت مع هذا الفضل تعرض
وجهك لهذا البذل، فقال:

ساخف زمانك جدا ... فالدهر جد سخيف

دع الحمية نسياً ... وعش بخير وريف

وقل لعبدك هذا ... يجيء لنا برغيف

وقال ابن عائشة:

قصرت له تسع قطالت أربع ... وزكت ثلاث منه للمتأمل

وكأنا سأل الظلام بمتته ... وبد الصباح بوجهه المتهلل

وكأن راكبه على ظهر الصبا ... من سرعة أو فوق ظهر الشمال

فقوله زكت: أي نمت وطالت.

ومن أوصافها المملوحة أن يكون شق شدقيها واسعاً. قال الشاعر:
هريت قصير عذار اللجام ... أسيل طويل عذار الرسن
الهريت: واسع الفم، وقصير عذار اللجام: دليل أسل الخد، وطول عذار الرسن: دليل طول العنق. وقال آخر:
طويل متن العنق أشرف كاهلاً ... أشق رحيب الجوف معتدل الجرم
وقال أبو دؤاد:

فهني شوهاء كالجوالق فوهاً ... مستجاف يضل فيه الشكيم
الشوهاء: واسعة الأشفاد، ولا يقال للذكر أشوه. وقال آخر:
إذا ما نتبشت طرحت اللجا ... م في شدق الجرد والسلهب
يبذ الجياد بتقريبه ... ويأوي إلى حضر ملهب
كميت كأن على متنه ... سباتك من قطع المذهب
كأن القرنفل والزنجبي ... ل يعلو على ريقه الأطيب
ومنها أن تكون رجة المنخر، قال امرؤ القيس:
وقد اغتدي ومعى القانصان ... فكل بمرباً مقتفر
فيدر كنا فعم داجن ... سميع بصير طلوب نكر
ألص الضروس حيي الضلوع ... تبوع طلوب نشيط أشر
فأنشب أظفاره في النسا ... فقلت هبلت ألا تنصر
فكر إليه بمبراته ... كما خل اللسان الجر
فضل يرشح في غيظل ... كما يستدير الحمار النعر

وأركب في الروع خيفانةً ... كسا وجهها سعفٌ منتشر
لها حافرٌ مثل قعب الولي ... د ركب فيه وظيف عجر
وساقان كعياهما أصمعا ... ن لحم حماتيهما منبر
لها عجز كصفاة المسي ... ل أبرز عنها حجاف مضر
لها متنتان خطاتا كما ... أكب على ساعديه النمر
وسالفة كسحوق اللبا ... ن أضرم فيها الغوي السمر
لها غدرٌ كقرون النسا ... ء ركب في يوم ربح وصر
لها جبهة كسراة المبح ... ن حذقه الصانع المقتدر
لها منخر كوجار السباع ... فمنه تريح إذا تنبهر
لها ثننٌ كخوافي العقا ... ب سوذ يفتن إذا تربتر
وعين لها حدرة بدرة ... فشقت مآقيهما من آخر
إذا أقبلت قلت دباعةً ... من الخضر مغموسة في الغدر
وإن أدبرت قلت أهميةً ... مللمة ليس فيها أثر
وإن أعرضت قلت سرعوفةً ... لها ذنب خلفها مسطر
وللسوط فيها مجالٌ كما ... تنزل ذو بردٍ منهمر

وتعدو كعدو نجاة الطبا ... ء أخطأها الحاذف المقتدر
لها وثبات كصوب السحاب ... فؤادٍ خطاءً ووادٍ مطر
الوجار: جحر الضبع، وضيق المنخر: عيب في الخيل، مدح في الصقر.
وقال بشر:

كأن حقيف منخره إذا ما ... كتمن الربو كبير مستعار
يقال ربا الفرس إذا انفخ منخره من عدو أو فزع وقال عدي بن زيد:
له ذنب مثل ذيل العروس ... ومنخره مثل جحر اللحم
اللحم: دويبة أصغر من العضاية، ومنها أن تكون واسعة الجهة.
قال الأخطل:

صلت الجبين كأن رجع سهيله ... زجر المحاول أو غنا متوالي
وقال النابغة:

بعار النواحق سلط الجبي ... ن يستن كالتيس ذي الحلب
وقال يزيد بن ضبة يصف السندي فرس الوليد بن عبد الملك لما خرج إلى الصيد ولحق عليه حمراً فصرعه، ثم قال
الوليد ليزيد صفه فقال:

وأحوى سلس المرس ... ن مثل الصدع الشعب
سما فوق منيفات ... طوال كالقنا سلب
طويل الساق عنجوج ... أشق أصمغ الكعب
على لام أصم مض ... مر الأشعر كالقعب
ترى بين حواميه ... نسوراً كنوى القسب
معالي شنج الأنسا ... ء سام جرشع الجنب
طوى بين الشراسيف ... إلى المنقب فالقنب
يغوص الملحم القائم ... ذو حد وذو شغب
عتيد الشد والتقري ... ب والإحضار والعقب
صليب الأذن والكاه ... ل والموقف والعجب
عريض الجهة والحد ... والبركة واللهب
إذا ما حثته حاث ... يباري الريح في غرب
وإن وجهه أسر ... ع كالحذروف في النقب
وقفاهن كالأجد ... ل لما انضم للضرب
ووالى الضرب يختار ... جواشن بدن قب
ترى كل مدل قا ... ثماً يلهث كالكلب
كأن الدم في النحر ... قذال علّ بالخضب
يزين الدار موقوفاً ... ويشفي قدم الركب
فقال له الوليد: أحسنت الوصف وأجدت. وقال امرؤ القيس:

لها جبهة كسراة المبح ... ن حذقه الصانع المقتدر
ومنها أن يكون في عينيها السمو والحدة والاتساع، قال امرؤ القيس:
وعين لها حدره بدره ... فشقت مآقيهما من آخر
الحدة العظيمة والبدره التي تبدر بالنظر والمآقي طرف العين الذي يلي الأنف وتوصف بالقبل وهو ميل النظر إلى
طرف الأنف من عزة النفس لا من أصل الخلقه. قالت ليلى الأحيلىة في فائض بن أبي عقيل وكان فر عن ثوبه حين
قتل:

ولما أن رأيت الخيل قبلاً ... تبارة بالحدود شبا العوالي
نسيت وصاله وصددت عنه ... كما صد الأذب عن الضلال
وقال أبو الفضل ابن شرف يمدح المعصم بالله الأندلسي:
أشوس الطرف علتة نخوة ... يتهادى كالغزال الخرق
وامتطى من طرفه ذا خيب ... يلثم الغبراء إن لم يعق
لو تطفى بين أسراب المهى ... نازعتة في الحشا والعق
حسرت دهمته عن غرة ... كشفت ظلماؤها عن يقق
لبست أعطافه ثوب الدجى ... وتحلى خده باليقق
وانبرى تحسبه أجفل عن ... لسعة أو جنة أو أوقق
مدركا بالمهل ما لا ينتهي ... لاحقاً بالرفق ما لم يلحق

ذو رضا مستتر في غضب ... ذو وقار منطو في خرق
وعلى خد كعضب أبيض ... أذن مثل سنان أزرق
كلما نصبها مستمعاً ... بدت الشهب إلى مسترق
حاذرت منه شبا خطية ... لا يجيد الخط ما لم يمشق
كلما شامت عذار خده ... خفقت حفق فواد أفرق
في ذرى ظمان فيه هيف ... لم يدعه للقضيب المورق
يتلقاني بكف مصقع ... يقطني شأو عذار مقلق
إن يدر دورة طرف يلتمح ... أو يجل جول لسان ينطق
عصفت ربح على أنبوه ... وجرت أكعبه في زنيق
كلما قلبه باعد عن ... متن ملساء كمثل البرق
جمع السرد قوى أزرارها ... فتأخذن بعهد موثق
أوجبت في الحرب من وخز القنا ... فتواتر حلقاً في حلق
كلما دارت بما أبصارها ... صورت منها مثال الحدق
زل عنه متن مصقول القوى ... يرتمي في مائها بالخرق
لو نضى وهو عليه ثوبه ... لتعري عن شواظ محرق
أكهب من هبوات أخضر ... من فرند أحر من علق
وارتوت صفحاه حتى خلته=بجميا من لكفيك سقي

يا بني معن لقد ظلت بكم ... شجر لولاكم لم تورق
لو سقي حسان من إحسانكم ... ما بكى ندمانه في جلق
أو دنا الطائي من حيكم ... ما حدا البرق لربع الأبرق
وقال امرؤ القيس:

وعين كمرآة الصناع تديرها ... بمحجرها من النصف المنقب
الصناع: الحاذقة، والحجر من العين: ما دار بها، والنصف: شعر الجبهة.
وقال المتنبي:

تنام لديك الرسل أمناً وغبطةً ... وأجفان رب الرسل ليس تنام
حذاراً لمعروري الجياد فجاءةً ... إلى الطعن قبلاً ما لهن لجام
تعطف فيه والأعنة شعرها ... وتضرب فيه والسياط كلام
وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا ... إذا لم يكن فوق الكرام كرام
وقال ابن دريد:

شعثاً تعادى كسراحين القضا ... قبل حماليق يبارين الشيا
الشعث: المغبرة، وتعادى: من العلو، والسراحين: الذئاب، والحماليق: بواطن الأجفان، والقبل: ميل النظر إلى
 الأنف في الخيل، وإذا كان في الإنسان سمي خزرراً. قال المتنبي:
والقوم في أعينهم خزر ... والخيل في أعينها قبل
وقال آخر:

إذا تخازرت وما بي من خزر ... ثم كسرت العين من غير عور
ألفيتني ألوي بعيد المستمر ... كالحية الصماء في أصل الشجر
وقال ابن الأظنابة:

إني من القوم الذين إذا انتلوا ... بدؤوا بحق الله ثم النائل
المانعين من الخنا جاراهم ... والحاشدين على طعام النازل
والخالطين فقيرهم بغنيهم ... والباذلين عطاءهم للسائل
والضاربين الكيش يرق بيضه ... ضرب المهجج عن حياض الآبل
والقاتلين لدى الوغى أقرانهم ... إن المنية من وراء القتال
والقاتلين فلا يعاب كلامهم ... يوم المقامة بالقضاء القاصل
خزر عيونهم إلى أعدائهم ... يمشون مشي الأسد تحت الوابل
ليسوا بأنكاس ولا ميل إذا ... ما الحرب شبت أشعلوا بالشاعل
وقال عنتره العبيسي:

ولرب مشعلة وزعت رعاها ... بمقلص نهد المراكل هيكل
سلس المعذر لاحق أتراه ... متقلب عبثاً بفأس المهجل
وكأن هاديه إذا استقبلته ... جذع أذل وكان غير مدلل
وكأن مخرج روحه في وجهه ... سربان كانا موجين لجيال

وكأن متنيه إذا جردته ... ونزعت عنه الجل متتا أيل
وله حوافر موثق تركيبها ... صم الصخور كأنها من جنبدل
وله عسيب في سيب سايع ... مثل الرداء على الفتى المتفضل
سلس العنان إلى القتال وعينه ... قبلاء شاخصة كعين الأحول
وكأن مشيته إذا هتهته ... بالنكل مشية شارب مسعجل
فعلية اقتحم الوقعة خائضاً ... فيها وأنقض اقتضاض الأجل
وتوصف بحدة النظر قال المتنبي:

وينظرن من سود صوادق في الدجى ... يرين بعيدات الشخصوص كما هيا
ومن ذلك قول العرب أبصر من فرس دهماء في ليلة ظلماء، ويقال أسمع من فرس بهماء. وقال عدي بن زيد:
له قصة فشغت حاجبيه ... والعين تبصر ما في الظلم

القصة: - بالضم - شعر الناصية، وفشغت: أي انتشرت. ومنها أن يكون شعر ناصيتها طويلاً. قال امرؤ القيس:
وأركب في الروع خيفانة ... كسا وجهها سعف منتشر
الخيفانة: القرس الطويلة القوائم الضامرة، ولا يقال للذكر خيفان. وقد غلط من علماء هذا الفن من غلط امرأ
القيس في تشبيه ناصيتها بالطول بسعف النخلة حيث زعم أن شعر الناصية إذا غطى العين سمي غمماً والحق مع
امرئ القيس ويؤيده قول عدي بن زيد:

غدا بتليل كجذع الخضا ... ب حر القنزال طويل الغسن
لأن الغسن شعر الناصية، والذؤابة شعر في أعلاها، والحر من القرس سواد في ظاهر الأذنين، ومنها أن تكون أذناها
محددتين رقيقتين منتصبتين كثيرة التحريك لهما وإذا أميلت أذنها بلغت طرف عينها مما يلي الصدغ، قال ابن دريد:
يدير إعليطين في ملمومة ... إلى لموجين بأحاط اللنا
الإعيط: وعاء ثمر المرخ - بالخاء المعجمة - شبه به أذني الفرس في الانتصاب والحدة، والملمومة: الهامة المجتمعة،
كالحجر الملموم، والمموخ: العين، واللنا: البقر. وقال عتبة:
وترى أذنها كإعيط مرخ ... حدة في لطافة وانتصاب
وقال النمر بن تولب:

لها أذن حشرة مشرة ... كإعيط مرخ إذا ما صقر
وقال ابن مقبل:

يرخي العذار وإن طالت قبائله ... عن حشرة مثل سنف المرخة الصقر
الحشرة: الأذن اللطيفة المحددة. وقال حازم:

كم قد هدى هوادي الخيل إلى ... من ضل عن سبل الرشاد أو غوى
من كل سامي الطرف ما في لحظة ... من خذء ولا بأذنيه خذا

هوادي الخيل: أعناقها، وسامي الطرف: عاليه، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا رأيتم خيل القوم
رافعة رؤوسها، كثيراً صهيلها، فاعلموا أن الدائرة لهم. وإذا رأيتم خيل القوم ناكسة رؤوسها، قليلاً صهيلها، تحرك
أذنها، فاعلموا أن الدائرة عليهم"، ويكنى بسامي الطرف عن حدة نظر العين وطموحها، وهو مستحسن في الخيل.
قال أبو ذؤاد:

حديد الطرف والمنكب ... والعرقوب والقلب

والخذا: استرخاء الأذن، وهو مكروه في الخيل، وهو غير مهموز. روي أن العماني دخل على الرشيد فأنشده في وصف فرس قوله:

كأن أذنيه إذا تشوّفا ... قادمة أو قلماً محرّفا

فلحن ولم يهتد منهم لإصلاحه إلاّ الرشيد، فإنه أبدل (كان) ب(تحال) فقال:

تحال أذنيه إذا تشوّفا ... قادمة أو قلماً محرّفا

وروي عن الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يقول: خرجت علينا خيل مستطيرة النقع كأن هوادبها أعلام وأذانها

أطراف أقلام وفرسانها أسود آجام، فأخذ عدي هذا المعنى فقال:

يخرجن من مستطير النقع دامية ... كأن أذانها أطراف أقلام

وقال عدي بن زيد:

له عنق مثل جذع السحوق ... وأذن مصنعة كالقلم

وقال ابن هاني:

وجاءت عتاق الخيل تردى كأنما ... تخط لها أقلام أذانها صحفا

والعرب تصف آذان الخيل بصدق السمع فتقول آذان الخيل أصدق من عينها، أي أنها إذا أحست بشيء تشوفت

بآذانها وتوجست بهما فيتأهب فارسها لما عساه أن يحدث وأكثر البيئات وإدلاج الليل قال الشاعر:

يصهلن للنظر البعيد كأنما ... إرناهما بيوائن الأشطان

أي أنها إذا رأت شخصاً بعيداً طمحت إليه وصهلت فكأن سهيلها في آبار بعيدة القعر لسعة جوفها. قال كثير عزة:

تشوف من صوت الصدى كلما ... تشوف جيداء المقلد مغيب

تشوف الفرس: أي نصب عنقه وجعل ينظر، وروي أن بعض العرب أمر ولده بشراء إلى شيء، وأعضاؤه حشيت

شيئاً في شيء، فقال له ابنه: من ملك مثل هذا لا يبيعه. وقال أبو العلاء المعري:

كأن أذنيه أعطت قلبه خيراً ... عن السماء بما يلقي من الغير

وقال: وأثبت الناس قلباً في الظلام سرى=ولا ريئة إلاّ مسمع الفرس الريئة: الطليعة، أي أربط الناس جأشاً من

يسري في الظلام ولا لاطليعة له ترقبه إلاّ آذان فرسه. وقال أيضاً:

وأبصرت الذوابل منه عدلاً ... فأصبح في عواملها اعتدالا

وجح يماً الفودين شيئاً ... ولكن يجعل الصحراء خلا

أردنا أن نصيد به مهاة ... فقطعت الحبائل والحبالا

وخم بطيفها الساري جواد ... فجنبتنا الزيارة والوصالا

وأيقظ بالصهيل الركب حتى ... ظننت سهيله قيلاً وقالا

ولولا غيرة من أعوجي ... لبات يرى الغزالة والغزالا

يخس إذا الخيال دنا إلينا ... فيمنع من تعهدنا الخيالا

وقال المتنبي:

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقدر ... إلاّ إلى العادات والأوطان

كل ابن سابقة يغير بحسنه ... في قلب صاحبه على الأحزان

إن خلّيت ربطت بآداب الوغى ... فدعاؤها يغني عن الأرسان
في جحفل ستر العيون غباره ... فكأنما يبصرن بالآذان
الجحفل: الجيش العظيم كثيف الغبار الذي يستتر الأعين حتى لا يرى، والخيل مع صدق حاسة نظرها إذا أحست
بشيء نصبت آذانها كأنها تبصر بها. وقال أيضاً:
وتنصب للجرس الخفي مسامعاً ... يخلن مناجاة الضمير تناديا
وقال:

ويوم كليل العاشقين كمنته ... أراقب فيه الشمس إبان تغرب
وعيني إلى أذني أغر كأنه ... من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة عن جسمه في إهابه ... تجيء على صدر رحيب وتذهب
شقتت به الظلماء أدني عنانه ... فيطغى وأرخيه مراراً فيلعب
وأصرع أي الوحش قفئته به ... وأنزل عنه مثله حين أركب
وما الخيل إلا الصديق قليلة ... وإن كثرت في عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شيائهما ... وأعضائها فالحسن عنك مغيب
والمعنى: أنك لا تغتر بحسن شيائهما فإنه لا فائدة فيه، إذا لم تكن ذات عدوٍ وجري وأدب، ومعنى قوله: دعيني إلى
أذني، أنه كان ينظر إلى آذان فرسه، لأنه الفرس إذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه نحوه، فيعلم أنه أبصر شيئاً،
ثم وصفه بأنه كقطعة من الليل بقي كوكب منه بين عينيه، وهذا المعنى أخذه من قول أبو دؤاد:

ولها جبهة تالألأ كالشع ... رى أضاءت وعم منها النجوم
وقال البحتري: ومقدم الأذنين تحسب أنه=بهما يرى الشيء الذي لا يأمنه وقال آخر:
وجبت له أذنان يرقب سمعها ... بصر كناصية الشجاع المرصد
وقال حازم:

توحي إلى من يمتطيه أذنه ... بكل ما يسمع من أخفى الوحي
يكاد لا يبصره ذو مقلة ... من خفة وسرعة إذا دأى
الوحي: الإشارة والكلام الخفي. وقال أبو القاسم بن هاني الأندلسي يمدح المعز لدين الله:
وصواهل لا الهضب يوم مغارها ... هضب ولا اليد الحزون حزون
جنب الحمام، وما هن قوادم ... وعلى الربود وما وما لهم وكون
فلهن من ورق اللجين توجس ... ولهن من مقل الظباء شفون
فكأنها تحت النضار كواكب ... وكأنها تحت الحديد رجون
عرفت بساعة سبقها لا إنما ... علقت بها يوم الرهان عيون
وأجل علم البرق فيها أنها ... مرت بجائتيه وهي ظنون
فأمر له بدست قيمته ستة آلاف دينار. فقال له: يا أمير المؤمنين؟ ما لي موضع يسع الدست إذا بسطت، فأمر له
ببناء قصر فغرم عليه ستة آلاف دينار، وحمل له آلة تشاكل القصر والدست قيمتها ثلاثة آلاف دينار.
وقال ابن حمديس الصقلي:

ومنقطع بالسبق من كل حلبة ... فتحسبه يجري إلى الرهن مفردا

كأن له في أذنه مقلّة يرى ... بها اليوم أشخاصاً تمر به غدا
أقيد بالسبق الأوابد حوله ... ولو مر في آثارهن مقيدا
وقال امرؤ القيس:

له أذنان تعرف العنق فيهما ... كسامعتي مذعورة وسط ربرب
العنق: الأصل والجمال، والسامعة: الأذن، والمذعورة: البقرة إذا ذعرت نصبت آذانها، والربرب: قطع بقر
الوحش، وخص للمذعورة؛ لأنها أشد توخياً تسمعاً، ومنها أن تكون أسيلة الخد، ونواهقها عارية من اللحم. النواهق:
مجري الدمع، ويقال لها: سموم، قال حمد بن نور:
طرف أسيل معقد للريم ... عار لطيف موضع السموم
وقال طفيل:

معرفة الأحي تلوح متونها ... تنير القطافي منهل بعد مقرب
وقال امرؤ القيس:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني ... جرداء معروقة اللحين سرحوب
كأن صاحبها إذ قام يلجمها ... مغدّ على بكرة زوراء منصوب
إذا تبصرها الرؤوان مقبلة ... لاحت لهم غرة منها وتجيّب
وقافها ضرماً وجريها جذم ... ولحمها زيمّ والبطن مقبوب
واليد ساجحة والرجل ضارحة ... والعين قاذحة والمتن ملحوب

والماء منهمرّ والشد منحدر ... والقصب مضطورّ واللون غريب
كأنها حين فاض الماء واحتفلت ... سقعاء لاح لها في المرقب الذيب
وقال أيضاً:

وخذ أسيل كالمنس وبركة ... كجؤجؤ هيق دقه قد تورأ
وقال عقبة بن سابق:

عريض الخد والجيبة ... والسهوة والجنب
وقال أيضاً:

ولها بركة كجؤجؤ هيق ... ولبان مضرج بالخضاب
وقال زهير بن مسعود الضبي:

ضافي السيب أسيل الخد مشرفه ... جافي الضلوع شديد أسره تق
وقال آخر:

يتمه بأسيل الخد منتصب ... خاظمي البضيع كمثل الجذع مشنوق
وقال أبو صدقة العجلي:

عارٍ من اللحم صبي اللحي ... مؤلل الأذن أسيل الخد
وقال أبو دؤاد:

أسيل سلجم المقب ... للا شخت ولا جافي

أي: رقيق ضمير لا غليظ الخلق ولا هزيل، ومنها أن يكون شعر معرفتها طويلاً غزيراً. قال امرؤ القيس:
لها غدر كقرون النسا ... ركن في يوم ريح وصر

الغدر الشعر المتدلي من أمام القربوس إلى آذانها، شبهه بنواتب النساء في الكثرة إذا

نفستها الريح، وقال حميد بن الأرقم:

قد أعتدي والصبح محمر الطرر ... والليل يجلوه تباشير السحر
وفي تواليه بخور كالشرر ... بسحق المبة ميال الغدر
كأنه يوم الرهان محتضر ... وقد بدا أول شخص ينتظر
دون أنابي من الخيل زمر ... صار غداً ينفص صبيان المطر
وقال حازم:

ألقت توالي خيله أعراقها ... من فوق أطلاء الهوادي والعكا
تصاحب الخرصان حين تلتقي ... منه على جماجم مثل العلا
معروفة أعراقها ما عرفت ... أعراقها ولا نواصيها سفا
معتزة نفوسها مهترّة ... أعطافها إلى الصريخ إن دعا

الأطلاء: الأصول، والهوادي: الأعناق، والعكوة: - بالضم - ذنب الدابة، حيث عري من الشعر من مفرزه،
تقول: عكوت ذنب الدابة: إذا عقدته، والصخب: الصياح، والخرص: ما على الجبهة من السنان، ويطلق على
الرمح، والجمجمة: عظم الرأس المشتمل على الدماغ، والعلاة: الزبرة التي يضرب عليها الحدادة الحديد أو
الصخرة، والأعراق: أصول الأشياء، والسفا: خفة الشعر، وهو من عيوب الخيل وما ذكر من تنزيه أعراقها
ونواصيها عن السفا ومعرفة أعراقها وأعراقها يدل على عتقها ونجاة أصلها واعتزاز نفوسها واهتزاز أعطافها
لإجابة الصريخ، ويدل على كرمها ومبادرة فرسانها لنصرة المضطهد وإغاثة الملهوف.

روي أن عبد الملك بن مروان قال لجلسائه: أي المناديل أفخر؟ فقال بعضهم: مناديل مصر كأنها عرقى البيض، وقال
البعث: مناديل اليمن كأنها زهر الربيع، فقال: ما صنعتم شيئاً، أفخر المناديل مناديل عبدة بن الطيب حيث يقول:

لما نزلنا ضربنا ظل أجيبة ... وفار للقوم باللحم المراجيل
وردّ أشقر ما يونيه طابحه ... ما قارب النضج منها فهو مأكول
ثم انثنينا إلى جرد مسومة ... أعرافهن لأيدينا مناديل

زيدت البلاء بالمراجل للضرورة، والورد: القطيع من الطير، والأشقر: من الدم: ما صار علقاً. وقال الرمادي:
قامت قوائمه لنا بطعامنا ... غصاً وقام العرف بالمنديل

وقال امرؤ القيس:

وقلت لفتيان كرامٍ ألا انزلوا ... فعالموا علينا فضل بردٍ مطيب
ففئنا إلى بيتٍ ملرجٍ ... سماوته من أتحمي معصب
وأوتاده عادية وعماده ... ردينية فيها أسنة قعضب
وأطابه أشطانٍ خوص نجائب ... وصهوته من أتحمي مشرعب
فلما دخلناه أصفنا ظهورنا ... إلى كل حاري حديد مشطب

فظل لنا يوم لذيذ بنعمةٍ ... فقل في مقيل نحسه متغيب
كأن عيون الوحش حول خبائنا ... وأرحلنا الجرع الذي لم يثقب
نمشُ بأعراف الجياد أكفنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مضهب
ومنها أن تكون طويلة العنق، روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا بفرسين عربي وهجين للشرب، فتناول
العتيق فشرب لطول عنقه، وتبازخ المهجين، أي: ثنى حافره؛ لقصر عنقه، والبزخ: تطامن الظهر، وإشراف القطة
والحارك، قال امرؤ القيس:
ومستفلك الذفرى كأن عنانه ... ومشاته في رأس جذع مشذب

وهذا البت من قصيدة قالها حين تذكر الشعر مع علقمة بن عبدة وادعاه كل منهما فقال له علقمة: قل شعراً تمدح
فيه فرسك والصيد، وأنا أقول مثل ذلك، والحكم بيني وبينك أم جنذب فقال امرؤ القيس:
خليلي مرا بي على أم جنذب ... لنقضني لبانات الفؤاد المعذب
إلى أن قال في وصف الفرس والصيد:

وقد أعتدي والطير وفي وكناتها ... وماء الندى يجري على كل مذنب
بمنجرد قيد الأوابد لاجه ... طراداً الهوادي كل شأؤ مغرب
على الأين جيشاً كأن سراته ... على الضمر والتعداء سرحة مرقب
يباري الخنوف المستقل زماعه ... ترى شخصه كأنه عود مشجب
له أيتلا ظبي وساقا نعامةٍ ... وصهوة غير قائم فوق مرقب
ويخطو على صم صلاب كأنها ... حجارة غيل وارسات بطحلب
له كفل كالدعص لبدته الندى ... إلى حارك مثل الغبيط المذاب
وعين كمرآة الصناع تديرها ... بمحجرها من النضيف المنقب
له أذنان تعرف العتق فيهما ... كسامعتي مذعورة وسط ربرب
ومستفلك الذفرى كأنه عنانه ... ومثاته في رأس جذع مشذب
وأسحم ريان العسيب كأنه ... عناكيل قتب من سميحة مرطب
إذا ما جرى شأؤين وابتل عطفه ... تقول هزيز الريح مرت بأثاب
يدير قطة كالحالة أشرفت ... إلى سند مثل الغبيط المذاب
ويخضد في الآري حتى كأنه ... به عرة من طائف غير معقب
فيوماً على سرب بقي جلوده ... ويوماً على بيدانة أم تولب
فبيننا نعاج يرتعين حميلةً ... كمشي العذارى في الملاء المهذب
تراهن من تحت الغبار نواصلاً ... ويخرجن من جعد ثراه منصب
فكان تنادينا وعقد عذاره ... وقال صحابي قد شأؤنك فاطلب
فلأياً بلأى ما حملنا غلامنا ... على ظهر محبوبك السراة مخنب
فللساق أهوب وللوسط درة ... وللزجر منه وقع أهوج منعب
فأدرك لم يجهد ولم يثن شأؤه ... يمر كخذروف الوليد المثقب
ترى الغار في مستنقع القاع لاجباً ... على جذذ الصحراء من شد ملهب

خفاهن من أنفاقهن كأنما ... خفاهن ودق من عشي مجلب
فعاذى عداة بين ثور ونعجة ... وبين شوب كالقضية قهره
وظل لقيران الصريم غماغم ... يداعسها بالسهمري الملب
فكاب على حر الجبين ومتق ... بمدرية كأنها ذلق مشعب
وقلنا لفتيان كرام ألا انزلوا ... فعالوا علينا فضل ثوب مطب
ففئنا إلى بيت بعلياء مدرج ... سماوته من أحمي معصب
وأوتاده مازية وعماده ... ردينية فيها أسنة قعضب
وأطابه أشطان خوص نجائب ... وصهوته من أحمي مشرعب
فلما دخلنا أضفنا ظهورنا ... إلى كل حاري جديد مشطب
كأن عيون الوحش حول خباتنا ... وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب
نمش بأعراف الجياد أكفنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مضهب
ورحنا كأننا من جوائي عشية ... نعالي النعاج بين عدل ومحقب
وراح كتييس الربل ينفض رأسه ... أذاة به من صائك متحلب
كأن دماء الهاديات بعرفه ... عصارة حناء بشيب مخضب
وأنت إذا استدبرته سد فرجه ... بضاف فوق الأرض ليس بأصهب
وأشد علقمة بن عبدة قصيدته التي مطلعها:
ذهبت من الهجران في غير مذهب ... ولم يك حقاً كل هذا التجنب
ثم وصف الفرس والصيد بقوله:
وقد أعتدي قبل الشروع بسابح ... أقب كيغفور القلاة مجلب
عظيم طويل مطمئن كأنه ... بأسفل ذي ماوان سرحة مرقب
كميت كلون الأرجوان نشرته ... لبيع الرداء في الصوان المكعب
ممر معقد الأندري يزينه ... مع العتق خلق مفعم غير جانب
له حرتان تعرف العتق فيهما ... كسامعتي مدعورة وسط ريرب
وجوف هواء تحت متن كأنه ... من الهضبة زحلوق ملعب
قطاة ككردوس الخالة أشرفت ... إلى سند مثل الغبيط المذآب
وغلب كأعناق الضباع مضيغها ... سلام الشطى يغشى بها كل مركب
وسمر يفلقن الطراب كأنها ... حجارة غيل وارسات بطحلب
إذا ما اقتنصنا لم نخاتل بجنة ... ولكن نادي من بعيد ألا اركب
أخا ثقة لا يلعن الحي شخصه ... صبوراً على العلات غير مسيب
إذا أنفلوا زاداً فإن عنانه ... وأكرعه مستعملاً خير مكسب
رأينا شياهاً يرتعين حميلة ... كمشي العذارى في الملاء المهذب
فبيننا تمارينا وعقد عذاره ... خرجن علينا كالجمان المثقب
وأقبل يهوي ثانياً من عنانه ... يمر كمر الرياح المتحلب

ترى الفأر عن مسترغب القدر لانتحاً ... على جدد الصحراء من شد ملهب
خفا الفأر من أنفاقه فكأنما ... تجلله شؤبوب غيث منقب
فغادر صرعى من حمارٍ وخاضب ... وتيس وثورٍ كاهشيمة قهره
فقلنا ألا قد كان صيد لقانص ... فخبوا علينا فضل برد مطب
فظل الأكف يختلفن بمجانذ ... إلى جؤجؤ مثل المداك المخضب
وظل لنا يومٌ لذيد بنعمة ... فقل في مقيل نحسه متغيب
حبيب إلى الأصحاب غير ملعن ... يفدون بالأمهات وبالآب
فيوماً على بقع دقاق صلوره ... ويوماً على سفح المدامع ربرب
وراح يباري في الجناب قلوصلنا ... عزيزاً علينا كالحباب للسيب
فلما فرغا من إنشادهما قالت أم جندب زوجة امرئ القيس لبعلها: علقمة أشعر منك لأنك قلت:
فللساق ألحوب وللسوط درة ... وللزجر منه وقع أهوج منقب
فضربت فرسك بسوطك، وامتريته بسايقك، وزجرته بسوطك، وأما فرس علقمة فإنه أدرك ثانياً من عنانه، ولذا
قال:

فأقبل يهوي ثانياً من عنانه ... يمر كمر الرائح المتحلب
فغضب امرؤ القيس من قولها وطلقها، فخلفه علقمة عليها ولذا سمي علقمة الفحل؛ لأن كل من عارض شاعراً
وغلبه سمي فحلاً.

وقال امرؤ القيس أيضاً:

وسالفة كسحوق اللبان ... أضررم فيه الغوي السعر
وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب على فرس أهده له:
نعم متاع الدنيا حياك به ... أروع لا جيدراً ولا جيسُ
أصفر منه كأنه محة البي ... ضة صافٍ كأنه عجس
هاديه جذعٌ من الأراك وما ... خلف الصلاة منه صخرة جلس
يكاد يجري تلجادي من ماء عط ... فيه ويجنى من منته الورس
هذب في جنسه ونال المدى ... بنفسه فهو وحده جنس
أحرز آباؤه القضييلة مذ ... تفرست في عروقها الفرس
ليس بديعاً منه ولا عجباً ... أن يطرق الماء ورده خمس
يترك ما مر مذ قبيل به ... كأن أدنى عهد به الأمس
وهو إذا ما ناجاه فارسه ... يفهم عنه ما يفهم الإنس
وهو ولما تمبط نثيته ... لا الربع في جريه ولا السلس
وهو إذا ما رنا بمقلته ... كانت سخاماً كأنها نقس
وهو إذا ما أعرت غرته ... عينيك لاحت كأنها برس
ضمخ من لونه فجاء كأن ... قد كسفت في أديمه الشمس
كل ثمين من النشاء له ... غير ثنائي فإنه بخس

هذب عمي به صقيل من ال ... فتيان أقطار عرضه ملس
سامي القذالين والجبين إذا ... نكس من لؤم فعله النكس
وقال أبو العلاء المعري:

أمامك الخيل مسحوباً أجلتها ... من فاخر الوشي أو من ناعم السرقي
كأنما الآل يجري في مراكبها ... وسط النهار وإن أسرجن في العسق
كأنها في نضار ذاتب سبحت ... واستنقذت بعد أن أشفت على الغرق
ثقيلة النقص مما حليت ذهباً ... فليس تملك غير المشي والعنق
تسمو بما قلدته من أعتتها ... منيفة كصوادي يترب السحق

السرق: الحرير (فارسي معرب)، والآل: السراب. والمراكب: كل آلة تكون على الفرس وقت ركوبها، ويترب: -
بالتاء المثناة فوق - هي اليمامة، وقال عقبه بن مكرم:
في تليل كأنه جذع نخل ... مستهل مشذب الأكراب
وقال امرؤ القيس:

ومرقة كالزج أشرفت فوقها ... أقلب طرفي في فضاء عريض
فظلت وظل الجون عندي بليده ... كأني أعدي عن جناح مبيض
فلما أجن الشمس عني غوارها ... نزلت إليه قائماً بالخصيض
يباري شبة الرمح خد مذلق ... كصفح السنان الصلبي النجيص
أخفضه بالنقر لما علوته ... ويرفع طرفاً غير جاف غضيض
وقد أعتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد عبل اليمين قبيض
له قصر يا غير وساقا نعامة ... كهحل الهجان يتتحي للغضيض

يجم على الساقين بعد كلاله ... هجوم عيون الحسي بعد المخيض
ذعرت به سرباً تقياً جلودها ... كما ذعر السرحان جنب الربيض
ووالى ثلاثاً واثنين وأربعاً ... وغادر أخرى في قناة رفيض
فآب إياباً غير نكدٍ مواكل ... وأخلف ماء بعد ماء فضيض
وسن كسنيق سناء وسنماً ... ذعرتُ بمدلاج الهجير فهووض
فالشاهد في قوله: (يباري شبة الرمح خد مذلق ... البيت)، فإنه وصف خده بكون أملس، وبأنه يباري حد الرمح
إذا مد فارسه رمحه، وذلك من طول عنقه، وقال الوزير أبو عامر بن أرقم:

فتى الخيل يقتادها ذبلاً ... خفافاً تباري القنا الذابلاً
ترى كل أجرد سامي التلي ... ل تحسبه غصناً مانلاً
وجرداء إن أوجست صارخاً ... تذكرك الظبية الخاذلاً
إذا شنهن بأرض العدا ... يصير عاليها سافلاً

وقال المتنبي:

في سرج ظامئة الفصوص طمرة ... يأتي تفردها بما التمثيلاً
نبالة الطلبات لولا أنها ... تعطي مكان لجامها مانيلاً

تندى سوافها إذا استحضرتها ... وتظن عقد عنانها محمولا
فقوله: (نبالة الطلبات) أي: تدرك كلما تطلبه إن أحضرت ولو لم تعط رأسها لوضع اللجام في فيها ما ناله أحد من
طول عنقها. وقال طقيل:
طوال الهوادي والمتون صليبة ... مغادير فيها للأمير معقب
وقال الأعشى:

والقارح العدى وكل طمرة ... لا تستطيع يد الطويل قذالها
وقال: غدا بتليل كجذع الخضاب حر القذال طويل الغسن الغسن شعر المعرفة والناصية والذنب. وقال مالك بن
زغبة:

وذاث مناسب جرداء بكر ... كأن سرائها كر مشيق
تنيف بصلهب للخيل عال ... كأن عموده جذع سحوق
تراها عند قبتنا قصيراً ... ونبذها إذا باقت بؤوق
أي: منسوبة الأب والأم، وسرائها: أعلاها، والصلهب: العنق، أي: إذا أشرفت ترى عنقها كأنه نخلة طويلة من شدة
طوله.

وقال غيلان بن حريث:

يستوعب البوعين من جريره ... من لد حبيبه إلى منحوره
أي من حبيبه إلى نحره يستوعب باعين من الخيل. وقال آخر:
الحمد يعدلني على إمساكها ... ويقول قد أفيت ما لا يحسب
فحلقت لا أفك عنه شظية ... جرداً وسياط المسدة سلهب
لما رأيت قبيلة مسعودة ... بالخيل يسعفها الرهان فتحلب
صافيت مهتز اللدان كأنه ... نار تراوحوه اليدان مدرب
أما إذا استقبلته فكأنه ... جذع سما فوق النخيل مسردب
وإذا تصفحه القراش معرضاً ... فيقول سرحان القطا المتصب
أما إذا استدبرته فيشوقه ... ساق تقمصها وظيف أجذب
منه وجاعره كأن حماهما ... لما كشتت الجد عنها أرنب
ومفرق الجنين دكت فوقه ... حصد وسابقة تظل تقلب
وترى اللجام يصل في أشداقها ... متنفس رحب وجوف حوشب
وحزامه باع إذا ما قسته ... يعي له حيزومه والمقب

وقال عدي بن زيد:

مشرف الهادي له غسن ... يعرق العلجين إحضارا

وقال ابن مقبل:

يرخي العذار وإن طالت قبائله ... في حزة مثل سنف المرخة الصفر
القبائل: سيور اللجام، واحلتها: قبلة، وقال:
وحاوطي حتى ثنيت عنانه ... على مدبر العلباء ريان كاهله

أي: عنقه طويل وفي علباته إديبار. وقال ابن زمرك وزير الغني بالله الأندلسي:
وكتيبة أردفتها بكتيبة... والخيل تمرح في الحديد وترفل
من كل منحفر كلمعة بارق... بالبدر يسرج والأهله ينعل
أوفي بهاد كالظليم وخلفه... كفل كما ماج الكتيب الأهيل
حتى إذا ملك الكمي عنانه... يهوي كما يهوي بجو أجدل
وقال زهير:

وملجماً ما إن ينال قذاله... ولا قدامه الأرض إلا أنامله
القذال: جماع مؤخر الرأس، ومعقد العذار من الفرس خلف الناصية.
وقال ابن دريد:

سامي التليل في دسيح مفعم... ربح اللبان في أمنيات العجي
سامي التليل: مرتفع العنق، والدسيح: مفرز العنق في الكاهل، والمفعم: الممتلئ من اللحم، والأمانة: الصلبة،
واللبان: ما يجري عليه اللب، والعجي: كل عصابة في يد أو رجل. وقال سلامة بن جندل:

يرى في الدسيح إلى هادٍ له تلح... في جؤجؤ كمداك الطيب مخضوب
وقال ابن هانئ:

وكأنما الجرد الجنائب خرد... سفرت تشوق متيماً متبولاً
تعنو لمن تعنو الملوك لعزه... فيكون أكثر مشيها تبجيلاً
ويجل عنها قدره حتى إذا... راقته كانت نائلاً مبدولاً
من كل يعبوب يجيد فلا ترى... إلا قذالاً سامياً وتليلاً
وكان بين عنانه ولبانه... رشاً يزيغ إلا الكناس خنولاً
لو تشرتب له عقيلة ربرب... ظنته جؤذر رملها المكحولاً
إن شيم أقبل عارضاً مهتلاً... أو ريع أدبر خاضعاً إجفياً
تتبين اللحظات فيه مواقعاً... فتظن فيه للقдах مجيلاً
يتزبل الأروى على صهواته... ويبيت في وكر العقاب نزيلاً
يهوي بأم الخشف بين فروجه... ويقيد الإدمانة العطولاً
صلتان يعنف بالبروق لوامعاً... ولقد يكون لأمهن سليلاً
يستغرق الشأو المغرب صافناً... ويجيء سابق حلبة مشكولاً

والمرغوب من أو صاف إناث الخيل هو المرغوب من أو صاف ذكورها إلا أنه ينبغي أن تكون قليلة لحم اللهزمة أي
موضع القلادة ورقة الخيشوم والشفة وقرب ما بين الفخذين لأنه إذا اتسع استرخت ودخلها الريح وطول القيام
على الملعف وقلة النوم وأن يكون حضرها وثبلاً لا تمغطاً. قال سنان العبدي:

أما إذا ما أقبلت فمطاراة... كالجدع شذبه نفي المنجل
أما إذا ما أعرضت فقليله... ضخم مكان حزامها والمركل
أما إذا تشتت فهي نعامة... تنفي سنانكها صلاب الجندل
وقال امرؤ القيس:

إذا أقبلت دباءةً ... من الخضر مغموسة في العدر
وإن أدبرت قلت أتهمية ... مملمة ليس فيها أثر
أو اعترضت قلت سرعوفة ... لها ذنبٌ خلفها مسبط
شبهها بالدباءة: لركة أولها وغلظ آخرها، والأثفية: الحجر التي تنصب عليها القدر، والململة: المجتمعمة، والأثر: -
بالضم - أثر الجرح أي ليس بها خدش، والسرعوفة قليلة اللحم والمسبتر الطويل، أي: إن استقبلتها فكأنها مقعية
لإشراف عنقها، وإن استدبرتها فكأنها تحبو من استواء عجزها، وإن استعرضتها فكأنها مستوية لإشراف أقطارها،
وقال الشاعر:

أما إذا استقبلته فكأنه ... نار تكفكف أن يطير وقد جرى
أما إذا استدبرته فنزله ... ساق قموص الدفع عاردة النسا
أما إذا استعرضته متمطراً ... فتقول هذا مثل سرحان الغضى
ولقد علمت على توقي الردى ... أن الحصون الخيل لا عدت العدا
إني وجدت الخيل عزاً ظاهراً ... تنجي من الغما ويكشفن الدجي
وتبين الثغر المخوف طلائعاً ... وتبين للصعلوك همة ذي الغنى
يخرجن من خلل الغبار عوابثاً ... كأصابع المرقور ألقى فاصطلا
وقال أبو ذؤاد:

كالسيد ما استقبلته وإذا ... ولى تقول مملم ضرب
لام إذا استعرضته ومشى ... متتابعاً ما خاناه عقب
يمشي كمشي نعامةٍ تبعت ... أخرى إذا هي راعها خطب
وقال الأعشى:

أما إذا استقبلته فكأنه ... جذع سما فوق النخيل مشذب
وإذا تصفحه الفوارس معرضاً ... فتقول سرحان الغضى المنصوب
أما إذا استدبرته فمسوقه ... ساق يقصمها وظيف أحذب
منه وجاعرة كأن حماهما ... لما كشفت الجبل عنها أرنب
وقال لبيد بن ربيعة العامري:

ولقد حميت الحي تحمل شكتي ... فرط وشاحي إذ غدوت لجامها
فعلوت مرتقباً على ذي هبوةٍ ... حرج إلى أعلامهن قتامها
حتى إذا ألفت يداً في كافر ... وأجن عورات الثغور ظلامها
أسهلت وانتصبت كجذع منيفةٍ ... جرداء يحصر دونها جرامها
رفعتها طرد النعام وشله ... حتى إذا سخنت وخف عظامها
قلقت رحالها وأسبل نحرها ... وابتل من زبد الحميم حزامها
ترقى وتظعن في العنان وتتحي ... ورد الحمامة إذ أجد حمامها

الشكة: السلاح، والفرط: الفرس السريع، والشاهد في قوله: (أسهلت وانتصبت كجذع منيفة) أي: رفعت عنقها
كجذع النخلة الطويلة العالية كونها جرداء يضيق صدر من أراد قطع ثمرها لعجزه عن ارتقائها، وقد أخطأ بمدحه

فرسه بالعرق بقوله وابتل من زبد الحميم حزامها، حيث أن عرق الخيل مذموم، قال امرؤ القيس:
فصَاد لنا عيراً وثوراً وخاضباً... غداة ولم ينضح بماء فيغسل
وقال:

فأدرِك لم يعرق مناظ عذاره... يمر كخذروف الوليد المثقب
فغادر صرعى من حمار وخاضب... وتيس وثور كاهشيمة قهره
الخذروف: كعصفور، شيء يلوره الصبي بخيط في يديه فيسمع له دوي. قال ابن مقبل:
هاج الوليد بخيط مبرم خلق... بين الرواجب في عود من العشر
وقال آخر:

فصَاد ثلاثاً كجذع النظا... م لم ينطلق ولم يغسل
ومما يستدل به على طول عنق الفرس أن يكال من ابتداء شعر المعرفة مما يلي الظهر إلى ما بين فتحتي المنخرين ثم
يكال من منبت المعرفة أيضاً إلى نهاية العسيب فإن كان المقدم أطول دل على عتقه وإن كان التالي أطول دل على
هجنته وإن تساويا كان متوسطاً.
ومنها أن تكون مرتفعة الرأس والأكتاف والكفل ملسة الظهر ضخمة الصدر ضامرة الكليتين مكتنزة اللحم، قال
ابن دريد:

بذاك أم بالخيال تعدو المرطى... ناشرة أكتادها قب الكلى
الخيال: اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقال أبو عبيدة واحدة خائل، وسمي بذلك لأنه يختال في مشيه، وجمع الخيل:
خيول، والفرس: أفراس، ويشترك في اسم الفرس الذكر والأنثى، وحكى ابن جنى والضراء فرسة، ولا تصغر
بخلاف الذكر فإنه يصغر على فريس، ولفظه مشتق من الافتراس، أي: افترس الأرض بسرعته، ويسمى راكبه:
فارساً، ويجمع على: فوارس شذوذاً، ويقولون لركاب الخيل: فرسان، ويقولون لمن أحسن ركوبها: ركبة - بالكسر
-، ويركبها العرب والعجم، وتقول لركاب النجب والهجن: ركبان، ولا يستعملها إلا العرب خاصة، وربما قاتلوا
عليهما، قال العنبري:

فليت لي بهم قوماً إذا ركبو... شنوا الإغارة فرساناً وركبانا
وقال شبيب بن شيبه لقيت خالد بن صفوان على حمار فقلت له: أين أنت عن الخيل؟ قال: تلك للطلب والهرب
ولست طالباً ولا هارباً، قلت: فأين أنت من البغال؟ قال: تلك للأثقال ولست ذا ثقل، قلت: فأين أنت عن
البراذين؟ قال: تلك للمسرعين ولست مسرعاً، قلت: فماذا تصنع بحمارك؟ قال: أدب عليه ديباً وأقرب عليه
تقريباً وأزور إذا شئت عليه حبيباً. ثم لقيته بعد ذلك على فرس فقلت له يا أبا صفوان ما فعل الحمار؟ قال بنس
الدابة، إن أرسلته ولّى، وإن استوقفته أدلى، قليل الغوث كثير الروث، بطيء عن الغارة، سريع إلى الغرارة، لا تتكح
به النساء ولا تهرق به الدماء، وقال جرير بن عبد الحميد: لا تركب الحمار فإن كان حديداً أتعب بدنك وإن كان
بليداً أتعب رجلك، والمرطى عدو دون التقريب.

قال طفيل الغنوي:

تقريبه المرطى والجون معتدل... كأنه سيدٌ بالماء مغسول
وأنواع السير: العنق، ثم الخبب، وهو دون العنق لأنه خطو فسيح أو تقل الفرس أيا منه جميعاً وأياسره جميعاً، ثم
التقريب، وهو أن: يوقع يديه في العدو معاً ويضمهما معاً، أو أن يضع يديه موضع رجله، وهو دون الحضير،

والإنضاء: الإفراط في السير، والناشزة: المرتفعة، والأكتاد: جمع كند - بفتح التاء وكسرهما - وهو ما بين الكاهل والوسط، والكاهل: أعلى الكتفين وما يليه من أصل العنق، والكلبي: جمع كلبية أو كلوة.
وقال الشاعر:

ترى العلافي عليها موفداً ... كأن برجاً فوقها مشيداً
الموفد الحارك المشرف، وقال عمرو بن العاص:
شبت الحرب فأعددت لها ... مشرف الحارك محبوك الشج
يصل الشر بشر فإذا ... وثب الخيل من الشر معج
جرشع أعظمه خفريه ... فإذا ابتل من الماء حرج
الشرة: النشاط، والمعج: السريع، وقال ابن مقبل:
ذعرت به العير مستوزياً ... شكير حجافله قد كتن
المستوزي: المشرف المنتصب. قال أبو ذؤاد:
نبيل النواهض والمنكين ... حديد الحازم ناتي المعد
النبيل: الحسن، والناهض: لحم العضد، والمنكب: مجمع رأس الكتف، والمعد: الحارك، ويقال له: الصرد، قال
الشاعر:
خفيف النعامة ذو ميعهٍ ... كثيف الفراسة ناتي الصرد

النعامة: الدماغ، والميعه: الناصية الطويلة السائلة، والصرد: الحارك، وأسفله يسمى المنسبح، وإشرافه لا يعتري إلا
عناقها؛ ولذا يجعل للسرّج سناف ليثبت مكانه ولا يتأخر، والسناف: سير يجعل فوق اللب.
وقال ابن دريد:

ومشرف الأقطار خاظ نحضه ... حابي القصير جرشع عرد النسا
قريب ما بين القطاة والمطا ... بعيد ما بين القنذال والصلا
أقطار الفرس: ما أشرف منه؛ كالرأس والعجز والكانبة وهي منقطع العرف، والحاضي: المكتنز، والنحض: اللحم،
والحابي: المرتفع، والقصير: آخر الأضلاع، والجرشع: ضخم الصدر منفتح الجنين، والعرد: الشديد، والنسا: عرق
في القنخذ، لحيم قوي ظاهر، يستبطن القنخذين حتى يصير إلى الحافر، فإذا هزلت الدابة خفي وإذا سمعت جرى
بينهما وظهر؛ كأنه حية، فإن قصر كان أشد لزة لرجليها، وإن كان فيه توتير كان أسرع لقبضهما وبسطهما، إلا
أنه لا يسرع المشي، ولذا كان شنجه مملوحاً في العناق، مذموماً في الهماليج؛ لأن العناق للجري، والهماليج: للسير،
والهملجة: مقارنة الخطا مع الإسراع، والارتجال: خلط العنق بشيء من الهملجة، والعنق: مباحدة الخطا والوسع في
الجري، ولذا يوصف البرذون والبغل والحمار بالفره دون العتيق. وعيب على عدي بن زيد قوله:
بضافٍ يعري جلّه عن سرّاته ... يبذ الجياد فارهاً متتابعاً
والقطاة: مقعد الردف، والمطا: الظهر، والقنذال: جماع مؤخر الرأس، والصلا: ما عن يمين الذنب وشماله، وقال ابن
الرقاع:

وترى لفر نسا غيباً غامضاً ... قلق الخصيله من فويق المفصل
أي: انقلقت فخذاه لما سمع، فجري النسا واستبان، وقال طفيل:
وعارضتها رهواً على متتابع ... شديد القصير خارجي محب

الخارجي: كل من فاق جنسه ونظيره، وقال امرؤ القيس:
كमित يزل اللبد عن حال متنه ... كما زلت الصفواء بالمتزل
الحال: موضع اللبد من الفرس، والصفواء: الحجر اللينة الملساء، والمتزل: الذي ينزل عليها، أي أنه أملس المتن يزل
عنه اللبد كما تزل الصفواء بالمتزل. فالمطلوب في متن الفرس قلة لحمه، ولذا خطأ الأصمعي أمراً القيس في وصفه
المتن بكثرة اللحم بقوله:

لها متنتان خطاتا كما ... اكب على ساعديه النمر
أي: لها متنتان كساعدي النمر المبارك في غلظها.

وقال ابن دريد:

مداخل الخلق رحيب شجرة ... مخلوق الصهوة ممسود وأي
مداخل الخلق: مجتمعه، والرحيب: الواسع، والشجر ما بين اللحين، والمخلوق: الأملس، والصهوة: مقعد القارس،
والممسود: المفتول، وأي: السريع الشديد، قال النابغة:

لقد لحقت بأولى الخيل تحملني ... كبداء لا شنج فيها ولا طب
الطب: طول الظهر، وقال الجعدي:

مثل هميان العداري بطنه ... أبلق الحقوين مشطوب الكفل
وقال حميد بن ثور:

موشحة الأقراب أما سراقها ... فملس وأما جلدها فذهيب
وقال ابن الأحرر:

بمقلص درك الطريدة متنه ... كصفا الخليقة بالفضاء اللبد
الخليقة: الصخرة التي لا كسر فيها ولا وصم، وقال آخر:

أمرت عزيزاه ونيطت كرومه ... إلى كفل راب وصلب موشق
الكرمة: رأس الفخذ المستدير، كأنه جوزة، وقال أبو ذؤاد:
مزح الدهر فأعددت له ... مشرف الحارك محبوك الكند
وقال آخر:

على محبوك السراة كأنه ... عقاب هوت من من مرقب وتعلت
وقال امرؤ القيس:

لها كفل كصفاة المسي ... ل أبرز عنها جحاف مضر

الصفاء: الصخرة الملساء، أي: أن كفله كالصخرة الملساء التي جرى عليها السيل وأذهب ما كان عليها من الغبار،
والجحاف: السيل الذي يجحف، أي: يحمل كل شيء مضر، فشبه كفله بالصفاء التي يجري عليها السيل حتى صفت
وأملست، وهو المطلوب في الكفل، لأن الفرق عيب، وقال أيضاً:

له كفل كالدعص لبدته الندى ... إلى حارك مثل الغبيط المذأب

الدعص: الكثيب الصغير من الرمل، والغبيط: قتب الهودج، والمذأب: الواسع، أي: أن كفله ملمس مستوٍ وحراره
مشرف، فهو مع الحارك مثل الغبيط. وقال:

وقد أعتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه ... كما زلت الصفواء بالمتزل

على العقب جياش كأن اهترامه ... إذا جاش فيه حميه غلي مرجل
مسح إذا ما الساجحات على الوني ... أثرن غباراً بالكديد المركل
يطير الغلام الخف عن صهواته ... ويلوي بأثواب العنيف المتقل
دريز كخذروف الوليد أمره ... تقلب كفيه بخيط موصل
له أيتلا ظي وساقا نعامة ... وإرخاء سرحان وتقريب تغل
كأن على الكشفين منه إذا انتحى ... مداك عروس أو صلاية حنظل
كأن دماء الهاديات بعرفه ... عصارة حناء بشيب مرجل
فغن لنا سرب كأن نعاجه ... عذارى دوار في ملاء مذيل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه ... بجيد معم في العشرة مخول
فألحقنا بالهاديات ودونه ... أوآخرها في صرة لم تزيل
فعادى عداء بين ثورٍ ونعجة ... دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل
وظل طهارة اللحم من بين منضج ... صفيف شواء أو قددير معدل
ورحنا وراح الطرف ينفذ رأسه ... متى ما ترق العين فيه تسهل
وبات عليه سرجه ولجامه ... وبات بعيني قائماً غير مرسل
وأنت إذا استدبرته سد فرجه ... بضاف فوق الأرض ليس بأعزل

المداك: الحجر الذي سحق عليه الطبيب، والصلاية: الحجر الأملس الذي يستخرج بدمه دهن الحنظل، والهاديات:
المتقدمات، وعصارة الحناء: ما يبقى من أثرها، والمرجل: المشط، وشبه دماء الصيد على عرفه بما جف من الحناء
على شعر الأشيب، وذلك لأنهم كانوا إذا ذبحوا الصيد يطلون عرف الفرس به، والسرب: القطيع، والدوار: اسم
صنم كانوا يلورون حوله في الجاهلية، والملاء: جمع ملاءة وهي الملحفة، والجزع: خرزة فيه سواد وبياض، والجيد:
العنق، والمعم: كريم الأعمام، والمخول: كريم الأخوال، والصرة: الصيحة، وعادى: والى بين صيدين، والطهارة: جمع
طاه وهو الطابخ، والصفيف: من اللحم: الرقيق، والقدير: الذي طبخ في القدر، والطرف: كريم الطرفين، أي أنه
ينفض رأسه من المرح والنشاط، ومتى نظرت العين أعلاه نظرت أسفله لكمال صورته، وبهاء حسنه، وقوله: (وبات
بعيني... إلخ) أي: بات قائماً بمراى عيني حيث تراه يأكل علفه غير مرسل إلى المرعى.
ومنها أن تكون طويلة الذراعين والساقين غليظتهما متصبين كساقى النعام وأول من شبه فرسه بالظي والنعامة
والسرحان امرؤ القيس بقوله:

له أيتلا ظي وساقا نعامة ... وإرخاء سرحان وتقريب تغل
الأيتل: الخاصرة، وخص الظي بذلك لأنه ضامر الأيتل، وخص النعام لأنها طويلة الساقين صلبتهما، والإرخاء:
سهولة الجري مأخوذ من الرخاء وهي الريح السهلة، والسرحان: الذئب، والتغفل: ولد الثعلب.
وقال طرفة بن العبد:

ولولا ثلاث هن من لذة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبق العاذلات بشربة ... كميت إذا حلت بماء تزيد

وكري إذا نادى المضاف محباً ... كسيد الغضافي الضحية المتورد
وتقشير يوم الدجن والدجن معجبٌ ... بهكنة تحت الحباء المعمد
وقد أخذ هذا المعنى ابن هنيك عبد الله الأنصاري فقال:
ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام رامس
قمنهن سبق العاذلات بشرية ... كان أخواها مطلع الشمس ناعس
ومنهن تجريد الكواعب كالدمى ... إذا ابتز عن أكفاهن الملابس
ومنهن تقريظ الجواد عنانه ... إذا استبق الشخص القوي الفوارس
التقريظ: جعل العنان وراء الأذن عند طرح اللجام.
وقال امرؤ القيس:

فلأياً بلأبي ما حملنا وليدنا ... على ظهر محبوبك السراة محب
الحنب والتحنيب - بالحاء المهملة -: اعوجاج قليل في الساقين، هو محمود في الحيل إذا لم يفرط و - بالجيم -:
توتير في الرجلين، قال الشاعر:
هل لك في أجود ما قاد العرب ... هل لك في الخاص غير المؤتسب
جدل رهان في ذراعيه حلب ... أذل إن قيد وإن قام نصب
وقال النابغة الجعدي:

في مرفقيه تقاربٌ وله ... بلدة نحر كجباة الخزم
البلدة: منقطع الفهدتين من أسفلها إلى عضدها، والحباة: خشبة الخذاء شبه بها صدر الفرس في الاستدارة، ويروى:
(وبركة زور).

وقال بشر بن أبي حازم:
تسوف للحزام بمرفقيهها ... يسد خواء طبييها الغبار

أي: إذا استفرغت الجري نسفت حزامها بمرفقيهها، وإذا ملأت فروجها عدواً سد الغبار ما بين طبييها، وقال أبو
النجم:

وانسف الجالب من أندابه ... أغباطنا الميس على أصلابه
وقال امرؤ القيس:

وساقان كعباهما أصمعا ... ن لحم حمايتهما منبتير
الأصمع: اللطيف، والحماة: عضلة الساق، وقال الشاعر:

له ساقا ظليم خا ... ضب فوجي بالرعب
حديد الطوف والمنك ... ب والعرقوب والقلب
وقال ابن دريد:

ركبن في حواشبٍ مكتنةٍ ... إلى نسورٍ مثل ملفوظ النوى
ركبن: أي القوائم، والحوشب: موصل الوظيف في الرسغ، والمكتن: المسور، والنسر: لحمة في باطن الحافر،
والملفوظ: المطروح، ويقال للحافر: السنبك، وحرفيه: الحاميتان، ولؤخره: الدابرة، وقال امرؤ القيس:
ولم أشهد الخيل المغيرة في الضحى ... على هيكل نمد الجزيرة جوال.

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا ... له حجبان مشرفات على الفلالي
الهيكل: الفرس الطويل، والنهد: الضخم المشرف، والجزارة: القوائم.
قال الأعشى:

ولا نقاتل بالعصا ... ولا نرامي بالحجاره
إلا علالة أو بدا ... هة قارح همد الجزاره
والجوال النشيط السريع في الإدبار و الإقبال، وعبل الشوى غليظ القوائم قوي العصب، قال عنتره العبسي:
تمسي وتصبح فوق ظهر حشية ... و ابيت فوق سراة أدهم ملجم
وحشيتي سرج على عبل الشوى ... همد مراكله، نبيل المحرم
المراكل: المواضع التي تصيب رجل القارس من الجانين إذا اسوى على ظهر الفرس، والشظا: عظم لاصق بالذراع،
والشوى: اليدان والرجلان والنسا عرق في الفخذ، وقال خفاف بن ندبة:
عبل الذراعين سليم الشظى ... كالسيد يوم نقرة الصادر
وقال ربيعة بن مقروم الضبي:

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها ... بسليم أوظفة القوائم هيكل
متقاذف شنج النسا عبل الشوى ... سباق أبدية الجياد عميثل
لو لم أكفكفه لكان إذا جرى ... منه الغريم يدق فاس المنجل
وإذا جرى منه الحميم رأيته ... يهوى بفارسه هوي الأجل
وإذا تعلل بالسياط جيادها ... أعطاك نائبه ولم يتعلل
الوظيف: مستدق الذراع والساق، ولكل من ذوات الأربع ثلاثة مفاصل الفخذ والساق والوظيف، ثم الحافر أو
الخف أو الظلف، وفي يديه ثلاثة مفاصل، العضد والذراع، والوظيف، ثم الحافر، أو الخف أو الظلف. وقصر
الذراعين من عيوب الفرس، قال الأصمعي: لم يسبق أدن قط إلا أدن بني يربوع، والأدن قصير الذراعين.
ومنها أن يكون عسيبها قصيراً رقيقاً وبهذا يفرق العتيق وغيره، لأن الغير يصل عسيبه إلى خاصرتيه وسيبها طويل.
قال ابن دريد:

طويل ذيل وسيب وطلا ... قصير ظهر وعسيب ونسا
السبيب: شعر الناصية والعرف والذنب، والطلا: - بالضم - العنق، وتحمد الناصية الطويلة كثيرة الشعر، وتدم
القصيرة الخفيفة، قال ابن جنيد:

من كل حت إذا ما ابتل ملبده ... صافي الأديم أسيل الحد يعبوب
وليس أسفى ولا أفى ولا سفلى ... يسقى دواء قفي السكن مربوب
الحت: السريع، واليعبوب: واسع الجري، والأسفى: خفيف الناصية، والأفى: الذي في أنفه احد يداب، والسفل:
سوء الخلق، والتقية: ما يؤثر به الضيف، والمربوب: المربى، والسفا: مملوح في البغال والحمير، مذموم في الخيل،
والعسيب عظم الذنب، والمملوح في الخيل قصره، والنسا: عرق يستبطن الفخذين من الورك إلى الحافر، قال امرؤ
القيس:

ضليعٌ إذا استدبرته سد فرجه ... بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزل
الضليع: القوي العظيم، والفرج: فضاء ما بين اليدين والرجلين، والضافي: السابغ، والأعزل: الذي يميل ذنبه إلى

أحد شقيه، والمعنى: قوي يسد ما بين رجليه من الفضاء بذنب سابغ مرتفع عن الأرض غير مائل إلى أحد الشقين، وقد خطى البحري بقوله:

ذنب كما سحب الرداء يذب عن ... عرف و عرف كالقناع المسبل

لأن الذنب إذا مس الأرض كان عيباً، فكيف إذا سحبه وإنما الممدوح ما قرب من الأرض ولم يمسه، وقال أبو القاسم الحسن بن بشر في الموازنة بين أبي تمام والبحري وقد عيب على امرئ القيس قوله:
لها ذنب مثل ذيل العروس ... تسد به فرجها من دبر

وما أرى العيب لحق امرأ القيس في هذا لأن العروس إذا كانت تسحب ذيلها فليس ينكر تشبيه الذنب به وإن لم يمسه الأرض لأن الشيء يشبه بالشيء إذا قرب منه أو دنا من معناه فإن أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ولاق به وإن امرأ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس وإنما أراد مشابته له بالسبوغ والكثرة والكثافة. ألا تراه قال تسد به فرجها من دبر. وقد يكون الذنب طويلاً يكاد يمسه الأرض ولا يكون كثيفاً، بل يكون رقيقاً، نزر الشعر خفيفاً لا يسد فرج الفرس، فلما قال تسد به فرجها علم أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول، فتشبيه الذنب الطويل بذيل العروس من هذه الجهة تشبيه صحيح لا عيب فيه، ولا يحكم عليه بأنه قصد بذلك سحبه على الأرض، وإنما العيب في قول البحري: ذنب كما سحب الرداء حيث صرح بأنه سحب ذنبه كما يسحب الرداء، ومثل قول امرئ القيس قول خدش بن زهير:

لها ذنب مثل ذيل الهدى ... إلى جؤجؤ أيد الزافر

الهدى: العروس التي تمضى إلى زوجها، والزافر: الصدر، لأنها تزفر منه، فقد أراد بذيل العروس طوله وسبوغه، وشبه الذنب السابغ به، وإن لم يمسه الأرض بطوله، ومما يصحح ذلك قولهم: (فرس ذيال) إذا كان طويلاً طويل الذنب، فإذا كان قصيراً طويل الذنب، قالوا (ذائل)، وإنما قالوا ذلك تشبيهاً للذنب بالذيل لا غير، قال النابغة:
بكل مدجج كالليث يسمو ... إلى أوصال ذيال رفن

المدجج: شاكى السلاح، والرفن والرفل: طول الذنب. وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرئ القيس فيما بينته من سهو أبي العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرئ القيس من الغلط، انتهى بتصريف.

أقول وقد غلط ابن حمديس الصقلي كما غلط البحري فقال:
ومجرد في الأرض ذيل عسيبه ... هل الزبرجد منه جسم عقيق
يجري كلمع البرق في آثاره ... من كثرة الكبوات غير مفيق
ويكاد يخرج سرعة من طله ... لو كان يرغب في فراق رقيق
وقد عيب على امرئ القيس أيضاً قوله:

وأسحم ريان العسيب كأنه ... عثاكل قنو من سميحة مرطب
لأن ريان العسيب غليظه وهذا مما لا يمدح به إلا الإبل لا غير.
قال الشاعر:

وتلف حاذيها بذى خصل ... ريان مثل قوادم النسر

الحاذي: الذنب، والضمير راجع إلى الناقة، والحاذ: ما يقع عليه الذنب من جانبي الفخذين، وقال المتنبي:
أتاهم بأوسع من أرضهم ... طوال السيب قصار العسب
وقال:

أغر أعداؤه إذا سلموا ... بالهرب استكثروا الذي فعلوا
يقبلهم وجه كل ساجحة ... أربعها قبل طرفها تصل
جرداء ملء الحزام مجفرة ... يكون مثل عسيبها الخصل
إن أدبرت قلت لا تليل لها ... أو أقبلت قلت ما لها كفل
الجرداء: قصيرة الشعر، والمجفرة: واسعة الجنين، والخصل: جمع خصلة، أي: كثيرة شعر الذنب، والتليل: العنق،
والكفل: الردف، والمملوح فيهما الإشراف، والمعنى: إن تأملتها رأيتها مشرفة عند إقبالها بعنقها وعند إدبارها
بعجزها، وقال علي بن جبلة:

تحسبه أقعد في استقباله ... حتى إذا استدبرته قلت أكب
ومنها أن تكون محصاة القوائم، أي: قليلة لحمها، قوية خالصة من الرهل، أي: الاسترخاء، قال الشاعر:
محص فرافص أشرفت حجباته ... بنضو السوابق زاهق قرد
المححص والفرافص: معناهما واحد، أي: قوية قوائمه خالصة من الرهل، والحجبات من الفرس: ما أشرفت من
صفات البطن على وركيه.

وقال رؤبة:
شديد جلز الصلب محوص الشوى ... كالكر لا شخت ولا فيه لوى
الكر: الحيل، والشخت: الدقيق الضامر لا من هزال، واللوى: اعوجاج الذنب، يقال: (لوى ذنب الفرس) إذا
اعوج، وهو عيب، ولو كان اعوجاجه خلقة.

ومنها أن تشيل أذناهما عند شدة العدو ويسمى عند أهل الشام النصيع، قال علقمة بن شيبان بن عدي:
ولقد شهدت الخيل يوم طرادها ... فطعنت تحت كنانة المتهطر
ونطعن الأبطال عن أبنائنا ... وعلى بصائرنا وإن لم نصر
ولقد رأيت الخيل شلن عليكم ... شول المخاض أبت عن المتغير
أي: رأيتمكم والخيل تعدو عليكم رافعة أذناهما رفع النوق الحوامل إذا طلب أحد حلب غبرها، أي: بقية ما في
ضرعها من اللبن، وقال قطبة بن أوس الملقب بالحدادة:

ونحن نمعنا من تميم وقد طغت ... مراعي الملا حتى تضمنها نجد
كمعطفنا يوم الكهافة خيلنا ... لتتبع أخرى الجيش إذ بلغ الجد
على حين شالت واستخفت رجاهم ... حلائب أحيال يسيل بها الشد
إذا هي شك السمهري نحورها ... وحامت على الأبطال أتعبها القد
تكر سراعاً في المضيق عليهم ... وتثني بطاء ما تحب ولا تعلقو
فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم ... بإحساننا إن الشاء هو الخلد
وقال المفضل النكري:

تشق الأرض شائلة الذنابي ... وهاديها كأن جذع سحوق
وقال النمر:

جموم الشد شائلة الذنابي ... تحال بياض غرقها سراجا
وقال الحطيئة:

ولن تفعلوا حتى تشول عليهم ... بفرسائها شول المخاض اقمطرت
عوابس بالشعث الكماة إذا ابتغوا ... علائتها بالخصدات أضرت
الخصدات: السياط المفولة، والعلالة: الجري بعد الجري. وقال بشار:
والخيل شائلة تشق غبارها ... كعقارب قد رفعت أذناها
فشبه الخيل الرافعة أذناها بالعقارب الرافعة لأذناها. وقال المتنبي:
رمى الدرب بالجرود الجياد إلى العد ... وما علموا أن السهام خيول
شوائل تشوال العقارب بالقنا ... لها مرح من تحتها وصهيل
فقد استحق المتنبي بصنيعه بيت بشار حيث أخذ معناه وزاد عليه لأنه جعل الخيل شائلة بالقنا كما تشول العقارب
بأذناها وإن لها من الطعن ما للعقارب من اللسع، وقال الصفي الحلبي:
وكتيبة تذر الصهيل رواعدا ... والبيض برقاً والعجاج سحائباً
حتى إذا ربح الجلاد حدث لها ... مطرت فكان الوبل نبلاً صائباً
بنوائب ملد يخلن أرقاماً وشوائل جرد يخلن عقاربا
تطأ الصلور من الصلور كأنما ... تعتاض من وطء التراب ترائباً
وقال غني بن مالك:

دفعنا الخيل شائلة عليهم ... وقلنا بالضحي فيحي فياحي
وقال عدي بن خرشة الحظمي:

ويكشف نحوه الخنال عني ... جراز كالعقيقة إن لقيت
واقدر مشرف الصهوات شاط ... كميت لا احق ولا شيت
الشاطي: الذي يرفع ذنبه في عدوه والأحق الذي يضع حافر رجليه موضع يديه والشيت: الذي يقصر موقع حافر
رجليه عن موقع حافر يديه وهما عيب بخلاف الأقدر وهو الذي يفوت موقع حافر يديه وهو محمود والكرب الذي
يضرب بيده باستقامة ولا يفلتها نحو بطنه وهو عيب خلقي وأما أهل المغرب فيكروهون شيل أذناها الخيل ويعدونه
من عيوبها وأكره ما يكون عندهم شيل ذنب الأتني وجميع أجناس خيل الشام تشيل أذناها عند العدو إلا الجنس
المسمى عندهم بالجافة فإن أفرادها لا تشيله.

فائدة: إذا شق من جلد أصل ذنب القرس الذي يعزل ذنبه مقدار شبر وسلخ الجلد من الجانبين حتى يظهر العسيب،
ثم يقطع اللحم الذي على جانبي العسيب، ويحشى الجرح بالزبل اليابس ليحبس الدم، ثم يلقي بعض جلده إلى
بعض، ويربط ثلاثة أيام، ثم يطوى بالخل والعسل، ويدهن بالمرهم حتى يبرأ، فإنه لا يعزل بعد ذلك.
ومنها أن تكون ضامرة البطن. قال الصفي الحلبي:

لمن الشواذب كالنعام الجفل ... كسيت جلالاً من غبار القسطل
يرزق في حلال العجاج عوابساً ... يحملن كل مدرع ومسرئل
شبه العرائس تجتلى فكأنها ... في الخدر من ذيل العجاج المسبل
فعلت قوائمه عن طرادها ... فعل الصواالج في كرات الجندل
فتنزل ترقم في الصخور أهلة ... بسنا حوافرها وإن لم تنعل
يحملن من آل العريض فوارسا ... كالأسد في أجم الرماح الذبل

وقال أيضا:

وكتيبة ضرب العجاج رواقها ... من فوق أعمدة القنا المران
نسج الغبار على الجياد مدارعا ... موصولة بمدارح الفرسان
ودم بأذيال الدروع كأنه ... حول الغدير شقائق النعمان
حتى إذا استعر الوغى وتتبع ... بيض الصفاح مكامن الأضغان
وبرزت تلفظك الصفوف إليهم ... لفظ الزناد سواطع النيران
بأقب يعصي الكف ثم يطيعه ... فتراه بين تسرع و توان
قد أكسبته رياضة سواسه ... فتكاد تركضه بغير عنان
كالصقر في الطيران والطاووس في ال ... خطرات والخطاف في الروغان
يرنو إلى حبك السماء توها ... إن المجرة حلبة الميدان

لو قيل عج نحو السماء مبادرا ... وطئت يدها دوابر الدبران
أو قيل جز فوق الصراط مسارعا ... لمشى عليه مشية السرطان
وقال أبو العلاء المعري:

وتحتي الكر إدماجا وفوقي ... نظير الكر في ديم وهتن
وقبله:

كأنني لم أرد الخيل تردي ... إذا استقيتها علقا سقتني
ألاقي الدارين بغير درع ... وأدعو بالمدجج لا تفتني
كأن جيادهم أسراب وحش ... أصرعهن من ربد وأتن
وما أعجلت عن زرد حذارا ... ولاكن المفاضة أثقلتني
أكلت منكبي سمر العوالي ... وحمل الساربري أكل مني
وقد أعدو بها قضاء زغفا ... وتكفييني المهابة ما كفتني
وتحتي الكر إدماجا وفوقي ... نظير الكر في ديم وهتن
أعاذل طالما أتلفت مالي ... ولكن الحوادث أتلفتني

الرديان: ضرب من العدو والعلق: الدم والمدجج: شاكى السلاح والسرب: قطيع البقر والظباء وغيرها والربد:
النعام، والأتن: الإناث من الوحش، والزررد: الدرع، والمفاضة: الدرع الواسعة، والزرغف: الدرع اللينة الواسعة
الخطمة، والكر الأول: الخيل، والإدماج: إحكام القتل، والكر الثاني: الغدير، والديم: المطر الدائم، وهتن المطر:
هطل، وقال أبو تمام:

وحاذه بسيف طالما شهرت ... فأخلفت مترفا ما كان فسك رجا
وشرب مضمزلت طالما خرقت ... من القتام كان الوغى نسجا
وقال أيضا:

ألم يجلب الخيل من بابل ... شواذب مثل قدامح الساء؟
وقال ابن الصعق:

بمنجب مثل العقا ... ب تخاله للضمير قدحا

وقال آخر:

بالخيل عابسة زورا مناكبها ... تعدو شواذب بالشعث الصناديد
الشواذب: الضواير، وقال عنتره:

نأتي الصريخ على جياذٍ ضميرٍ ... خصص البطون كأنهن تعالي
من كل شهواء اليمين طمرة ... ومقلصٍ عبل الشوى ذيال
وقال المتنبي:

وشزبٌ أحمّت الشعرى شكائهما ... ووسمتها على آنافها الحكم
حتى وردن بسمنين بحيرتها ... تنش بالماء في أشداقها اللجم
وأصبحت بقري هنزيط جائلةً ... ترعى الطي في خصيب نبتة اللمم
الشعري: نجم يطلع في فصل الصيف، والشكيمة: رأس اللجام، والحكم: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه، والمعنى:
حميت حدائد لجمها بحرارة الهواء حتى وسمت أنوف الخيل، ثم وردت بحيرة سمين، فلما أصاب الماء سمع لها نشيش في
أضداقها كأنها محمأة على النار، وسقيها الماء باللجم لئلا يحصل لها ضرر، وقال امرؤ القيس:

وإن أمس مكروباً فيا رب غارةٍ ... شهدت على أقب رخو اللبان
على ريدٍ يزداد عفواً إذا جرى ... مسح حثيث الركض والزألان
ويحدي على صم صلابٍ ملاطس ... شديداً عقد لينات مثان
وغيثٍ من الوسمي حو نباته ... تبطنته بشيظم صلتان
مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كنيس طباء الحلب العدوان
إذا ما جنباه تأوّد متنه ... كعرق الرخامي اهتز في الهطلان

القب: الضامر، والرخو: اللين، يقال فرس رخوة، أي: سهلة مسترسلة، واللبان: - بالفتح - الصدر، أي: أنه لين
الأعطاف واسع الصدر، والربذ: الخفيف القوائم في الشبي، والعفوق: الجري بلا مشقة، والذئلان: المر الخفيف، ومنه
تسمية الذئب ذؤالة، والمعنى كلما زاد جريه زاد نشاطه ويحذى: أي يسرع على حوافر صلاب، والملطاس: المعول
والعقد: الرسغ، والمثاني: المفاصل التي تنثني، والوسمي: أول مطر يقع في الأرض، والحو: الخضر، والتلاع: ما ارتفع
من الأرض، والشيظم: الطويل، والصلتان: - محرّكة - النشيط. وقوله: (مكر الخ...) أي: أنه قد ضمير للجري
فنشاطه نشاط ذكر الطباء، والتأود: التثني: المتن: الظهر، وتجنيب الفرس: ركوب فارسه ناقة وقوده بجانبها لوقت
الحاجة: وقال عنتره:

وغداة صبحن الجفار عوابساً ... يهدي أوائلهن شعث مشزب
وقال المتنبي:

ورميك الليل بالجنود وقد ... رميت أجفانهم بتسهيد
فصبحتهم رعالها شزبا ... بين ثبات إلى عبايد

الضمير في رعالها للخيل، وقال أبو إسحاق ابن الحاج النميري الأندلسي:
أقول لجرد الخيل قبا بطونها ... معقدة منها لحرب سياسب
طوالع من تحت العجاج كأنها ... نعام بكثبان الصريم خواضب

محملة غراً كأن رعالها ... بحار جرت فيها والجنانب
من الاعوجيات الصوافن ترمي ... إذا رجعت يوم القراع مقانب
وقال الأشتر النخعي:

بقيت وفري وانحرفت عن العلا ... ولقيت أضيافي بوجه عبوس
إن لم أشن على ابن حرب غارة ... لم تخل يوماً من نهاب نفوس
خيلاً كأمثال التعالي شزباً ... تعدو بيض في الكريهة شوس
حمي الحديد عليهم فكأنه ... ومضان برق أو شعاع شوس
التعالي: الغيلان. وقال آخر:

وهل رد عنه باللقان وقوفه ... صلور المذاكي والمطهمة القبا
وقال المنخل بن الحارث اليشكري:

وعلى الجياد الضمرا ... ت فوارس مثل الصقور
يخرجن من خلل الغبا ... ر يجفن بالنعيم الكثير
أقررت عيني من أول ... نك والفواتح بالعبير
وقال زفر بن الحارث:

ولما لقينا عصبة تغلبية ... يقودون جردا للمنية ضمرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثله ... ولكنهم كانوا على الموت أصبرا
وهي من الشهادة لأعدائه بالصبر والشجاعة.

وقال أبو القاسم بن هاني يمدح جعفر بن علي من قصيدة:
القائدي الخيل العناق شوازباً ... خزرراً إلى لحظ السنان الأخرز
شعت النواصي حشرة آذاها ... قب الأياطل داميات الأنسر
تنبو سنايكهن عن عفر الشرى ... فيطآن في جد العزيز الأصفر
وقال النابغة الذبياني:

تأتي الجياد من الجولان قائضة ... من بين منعة ترجى ومجنوب
حتى استغاثت بأهل الملح ما طمعت ... في منزل طعم نوم غير تأويب
ينضحن نضح المراد الوفرة أتأفها ... شد الرواة بماء غير مشروب
قب الأياطل تردى في أعنتها ... كالحاضبات من الذعر الطنابيب
شعت عليها مساعير لحرهم ... شم العرائن من مرد ومن شيب
وقال:

وقد زحفوا لغسان بزحف ... رجيب السرب أرعن مر جحن
بكل مجرب كالليث يسمو ... على أوصال ذيال رفن
وضممر كالقداح مسومات ... عليها معشر أشباه جن
ومنها أن تكون بعيدة ما بين الكعبين حتى لا يضرب بعضها بعضاً، قال ابن دريد:
لا صكك يشينه ولا فجاً ... ولا دخيس واهن ولا شظي

لو اعتسفت الأرض فوق متنه ... تجوبها ما خفت أن يشكو الوجي

يجري فتكبو الريح في غاياته ... حسرى تلوذ بجراثيم السحا

تظنه وهو يرى محتجباً ... عن العيون إن دأى وإن ردى

الصكك: تقارب الكعبين وتدانيهما حتى يضرب بعضهما بعضاً، والصدف: خلافه، وهو تداني الفخذين وتباعد

الحافرين في التواء في الرسعين أو ميل في الحافر إلى الشق الوحشي، فإن مال إلى الأثنى فهو القفد، والكتف: الذي

انضمت كتفاه على وسط كاهله، والذي فيه انفراج أعالي الكتفين من عراضيفها مما يلي الكاهل، وكل هذه

عيوب، والشين: العيب، والقجج: القجج، وهو تباعد ما بين الكعبين بإفراط، والدخيس: موصل الوظيف في الرسغ،

والعظيم: الذي في جوف الحافر، والوهن: الضعف، والشطى: عظم لاصق بالذراع إذا تحرك قيل شطى الفرس، أو:

انتثار العصب وانشقاقه، والاعتساف: السير على غير هداية، والمتن: الظهر، وجوب الأرض: قطعها، والوجي:

بلوغ الوجل إلى باطن الرسغ، والكبو: السقوط، وحسرى: معيبة، وتلوذ: تدور، والذأى والردي: ضرب من

العدو، وهو التقريب. وقال النابغة الجعدي:

وقد أكون أمام القوم تحملني ... جرداء لا فجج فيها ولا صكك

وقال العجاج:

لا فجج يرى بها ولا فجا ... إذا حجاجا كل جلد محجا

وقال المتنبي:

خرجن من النقع في عارض ... ومن عرق الركض في وابل

فلما نشفن لقين السياط ... بمثل صفا البلد الماحل

شفن خمس إلى ما طلبن ... قبيل الشفون إلى نازل

فدانت مرافقهن الشرى ... على ثقة بالدم الغاسل

وما بين كاذاقي المستغير ... كما بين كاذاقي البائل

فلقين كل ردينية ... ومصبوحة لبن الشائل

فدانت مرافقهن: أي ساخت قوائمها في التراب إلى مرافقها، ثقة بأن الدم الذي يجريه ركاها يغسله ذلك التراب،

والكاذاة: لحم الفخذ، والمستغير: طالب الغارة، وشبه تفجج الفرس من شدة عدوه بفجج البائل؛ لنلا يصيبه

رشاشه، والردينية: الرماح، والسائلة: الناقة التي جف لبنها، فلا يصح به إلا الفرس الكريم.

ومنها: أن يكون جلد البطن قوياً شديداً، قال النابغة الجعدي:

كأن مقط شراسيفه ... إلى طرف القنب فالمنقب

لظمن بترسٍ شديد الصفا ... ق من خشب الجوز لم ينقب

الشرسوف: مقطع الصلع المشرف على البطن، والصفاق: جلد البطن، والقنب: وعاء القضيبي، والمنقب: وقد

أحذه ابن مقبل فقال:

كأما بين جنبيه ومنقبه ... من جوزه ومناط الليث ملطوم

بترس أعجم لم تنخر مناقبه ... مما تحير في آطامها الروم

وقال مرة بن محكان:

كالسيد لم ينقب البيطار سرته ... ولم يسمه ولم يلمس له عصبا

وقال آخر:

أقب لم يلمس البيطار سرته ... ولم يدجه ولم يغمز له عصبا
وذلك أن البيطار ينقب بطن الدابة في سرتها حتى يسيل منها ماء أصفر ومنها أن يكون الشعر الذي في الخاصرة قويا
صليبا قال الشاعر:

طويل الحدا سليم الشظى ... كريم المراح صليب الحرب
الحداء: سالفة القرس، وهو ما تقدم من عنقه، والحرب: الشعر المقشعر في الخاصرة، وقال الجعدي:
شديد فلاة الموقفين كأنما ... به نفس أو قد أراد ليزفرا
ومنها أن يكون الشعر المتدلي في مؤخر الرسغ طويلاً أسود ويسمونه الثنن، قال امرؤ القيس:

لها ثنن كخوافي العقاب ... ب سود يفين إذا تربتر
يفين: أي يكثرن، والازبترار: الانتفاش.

ومنها أن تكون حوافرها مدورة صلبة ليس فيها تقشر، وأن تكون سوداء أو خضراء؛ لأن البياض إن لم يكن عن
تحجيل لا يكون إلا عن رقة الحافر قال امرؤ القيس:
لها حافرٌ مثل قعب الولي ... دركب فيه وظيف عجر
القعب: القدح الصغير، والوليد: الصبي، أي: إن حافرها صغير كقدح الصبي، وذلك ممدوح لثباته، والوظيف:
مستدق الذراع والساق، والعجر: الصلب. وقال ابن المعتز:

وقد أعتدي بقارح ... مسوم يعبوب

ينفي الحصى بحافرٍ ... كالقدح المكبوب

قد ضحكت غرته ... في موضع التقطيب

ولقد أبدع البيغا عبد الواحد المخزومي بقوله:

وكأنما نقشت حوافر خيله ... للناظرين أهلة في الجلمد

وكأن طرف الشمس مطروف وقد ... جعل الغبار له مكان الإثمد
وقال حازم في مقصورته:

يلقى الصفا الصم بوقع سنبك ... لا يشتكى من وقع ولا حفا

تراه في الهيجاء محضوب فم ... من لوكه للججم، محضوب الشوى
وقال كعب:

سمر العجايات يتركن الحصى زيماً ... لم يقهن رؤوس الأكم تعجيل
زيماً: أي متفرقة. وقال آخر:

وحافرٍ صلب العجى مدملق ... وساق هيضواهما معرق

المدملق: الحجر الملور الأملس، وقال رؤبة:

بكل موقوف النسور أخلقا ... لثم يدق الحجر المدملقا

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

كأن حماتها أرنبان ... تقبضتنا خيفة الجندل

وقال خالد بن عبد الرحمن:

كأن حماقها كر دوس فحل ... مقلصة على ساقى ظليم

وقال أبو ذؤاد:

له بين حواميه ... نسور كنوى القسب

وقال ابن دريد:

يرضح بالبيد الحصى فإن رقى ... إلى الربا أورى بما نار الحبا

وضمنه الصفي الحلبي بقوله:

لأجعلن معقلي ... مطهماً صلب المطى

يرضح بالبيد الحصى ... وإن رقى إلى الربى

يكابر السمع اللحا ... ظ إثره إذا جرى

إذا اجتهدت نظراً ... في إثره قلت سنى

جاد به ابن الملك ال ... منصور منصور اللوا

الرضخ: - بالحاء المعجمة وبالحاء المهملة - التفسير، والبيد: القفار، والرقى: الارتفاع، والربا: ما ارتفع من

الأرض، وأراد بالحبا: الحباحب، وهي دويبة تترك بالليل كالنار التي تخرج من حوافر الخيل، قال الشاعر:

إذا افترشت حمساً أثارته بمتته ... عجاجاً والكدان نار الحباحب

وقال أبو العلاء المعري:

لقد جشمت طرفك مثقلاتٍ ... فجشمهن أربعة عجلا

أذال الجري منه زبرجدياً ... وما حق الزبرجد أن يذالا

وقد يلقي زبرجده عقيقاً ... إذا شهد الأمير به قتالا

أحف من الوجيه يداً ورجلاً ... وأكرم في الجياد أباً وخالا

وكل ذؤابة في رأس خودٍ ... تمنى أن تكون له شكالا

يود التبر لو أمسى حديداً ... إذا حذي الحديد له نعالا

التجشيم: التكليف، والطرف: الفرس الكريم، ولا يوصف به إلا الذكر خاصة، والمعنى: تسوم فرسك ما يهملك،

وهو يسوم قوائمه العجلة لتبلغ مرادك، وقال الصفي الحلبي:

وعادية إلى الغارات ضجاً ... تريك لقدح حافرها التهابا

كأن الصبح ألسها حجولاً ... وجنح الليل قمصها إهابا

جياد في الجبال تخال وعلاً ... وفي الفلوات تحسبها عقابا

إذا ما سابقتها الريح فرت ... وأبقت في يد الريح الترابا

وقال المتنبي:

وجرداً مددنا بين آذانها القنا ... فبتن خفافاً يتبعن العواليا

تماشى بأيد كلما وافت الصفا ... نقشن به صدر البزاة حوافيا

وقال امرؤ القيس:

ويخطو على صم صلاب كأنها ... حجارة غيل وراسات بطحلب

الوراسات المصفرات والطحلب ما على الماء من الخضرة. وقال آخر:

لا ربح فيها ولا اصطرار ... ولم يقلب أرضها البيطار
الريح: الحافر العريض والمصطر: المقبض، وقال الأعشى:
وكل كميت كجذع الخضا ... ب يردى على سلطان اللثم
الخضاب: النخلة والسلطات: الحوافر واللثم: الصلب، وقال آخر:
يترك حوار الصفا ركوبا ... بمكربات قعبت تقعيبا
المكرب الصلب والقعب قدح من خشب يشبه به الحافر بالاستدارة. وقال آخر:
بكل وأب للحصى رضاخ ... ليس بمصطر ولا فرشاخ
الوآب: الشديد القوي، والفرشاخ: المنبطح، وقال طرفة بن العبد:
من عناجيج ذكور وقح ... وهضبات إذا ابتل الغدر
الوقح: صلابة الحافر، والعناجيج: الجياد من الخيل، والهضب: العرق وقال أبو النجم:
لا تشتكي الحوافر الصموحا ... يلتحن وجهاً بالحصى الملوحا
الصموح الشديد، وقال الأحرر الباهلي:
تمشي بأوظفة شداد أسرها ... صم السنابك لا نهي بالجدجد
الوظائف: مستدق الذراع والساق، والأسر: شدة الخلق، والجدجد: الأرض الصلبة، وقال علقمة:
وقد أقود أمام الحي سلهية ... يهدى بما نسب بالحي معلوم
لا في شظاها ولا أرساغها عتب ... ولا السنابك أفناهن تقليم
سلاءة كعصي الهند غل لها ... ذو فيئة من نوى قران معجوم
تتبع جونا إذا ما هيجت زحلت ... كأن دفاً على علياء مهزوم
وقال امرؤ القيس:
كأنني لم أركب جواداً ولم أقل ... لخليبي كربي كرة بعد إجمال
ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحي ... على هيكل نهد الجزارة جوال
سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا ... له حجبات مشرفات على الفال
وصم صلاب ما يقين من الوجا ... كأن مكان الردف منه على رال
وقد أغتدي والطير في وكناتها ... كغيث من الوسمي رائده خال
تحاماه أطراف الرماح تحامياً ... وجاد عليه كل أسحم هطال
بعجلزة قد أترز الجري لحمها ... كميت كأنها هراوة منوال
ذعرت بما سرّاً نقياً جلوده ... وأكرعه وشي البرود من الخال
كأن الصوار إذ يجاهدن غلوة ... على جمده خيل تجول بأجلال
فجال الصوار واتقين بقرهه ... طويل القرى والرووق أخس ذبال
فعادى عداء بين ثور وبعجة ... وكان عداء الوحش مني على بال
كأنني بفتحاء الجناحين لقوة ... صيود من العقبان طأطأت شمالا
تخطف خزان الشرية بالضحي ... وقد حجرت منها ثعالب أورال
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

العجلزة: القوية الشديدة، وهو من الأوصاف المختصة بالأنثى فقط كالسرحوبة، والقيدود: بمعنى الطويلة، وقوله: (يتقين) أي: يتقين، والوجاء: الحفا، أو: شق حافر الفرس من الصدع، والردف: مقعد المردوف، تسمى القطاة، والرأل: فرخ النعامة، حذفت همزته للضرورة، وقال أبو تمام غالب بن رياح الحجام الأندلسي:

وتحتي ريح نسبق الريح إن جرت ... وما خلعت أن الريح ذات قوائم

لها في المدى سبق إلى كل غاية ... كأن لها سبقاً يفوق عزائمي
وهمة نفس نزهتها عن الوجى ... فيا عجباً حتى العلا في البهائم
فلقيه أبو حاتم الحجازي مع جماعة على فرس في غاية الضعف وشدة الوجى، فقال له: يا أبا تمام أنشدني قولك وتحتي ريح الأبيات ...، فلما أنشدها، قال أبو حاتم لجماعته: ناشدtkم الله أيجوز لحجام على فرس رمكة هزيلة عرجاء رذيلة أن يمدحها بهذه الأبيات؟ فضحك الجماعة عليه وانطلق أبو تمام يسب أبا حاتم من شدة الغيظ، وقال محمد بن الأنباري سمعت البحري يقول أنشدني أبو تمام نفسه:

وسابح هطل العداء هتان ... على الجراء أمين غير خوان

أظمى الفصوص ولم تظماً قوائمه ... فخل عينيك في ظمآن ريان
فلو تراه مشيحاً والحصى قلق ... بين السنايك من مثني ووحدان
ومنها أن يكون الرسغ قصيراً قال لبيد:

ولقد أغدو وما يعدمني ... صاحب غير طويل الخبيل

الخبيل: محل وضع الخبل، وهو الرسغ.

ومنها أن تكون اللحمة التي في باطن الحافر المسماة بالنسر صلبة يابسة، قال الشماخ:

مفج الحوامي عن نسور كأنها ... نوى القسب ترت عن جريم ملجلج

التر: السقوط، والجريم: المصروم، والملجلج: ما مضغ ثم قذف به لصلابته.

وقال ابن دريد:

ركبن في حواشب مكتنة ... إلى نسورٍ مثل ملفوظ النوى

وقال سلمة بن الخوشب:

عدوت بما تدافعي سوبح ... فراش نسورها عجم جريم

وقال العجاج: في رسغ لا يشتكى الخوشبا=مستبطناً من الصميم عصبا الخوشب: حشو الحافر، والذي يكون فيه

يسمى الجبة، وما بين اللحم والعصب يسمى: دخيساً، وقال علقمة بن عبدة:

سلاءة كهصي الهند غل لها ... ذو فيئة من نوى قران معجوم

أي لها في بطون حوافرها نسور صلاب كأنها نوى قران.

ومنها أن يكون شعر بدنها رقيقاً قصيراً، قال طقيل بن عوف الغنوي:

وبيت تهب الريح في حجراته ... بأرض عضاة بانه لم يحجب

سمادته أمثال برد مفوف ... وصهوته من التحمي مصعب

وأطنايه أرسان جرد كأنها ... صلور القنا من باديء ومعقب

يكف على قوم تدور رماحهم ... عروق الأعاذي من غرير وأشيب

وفينا ترى الطولى وكل سميدع ... مدرب حرب وابن كل مدرب

طويل نجاد السيف لم يرض خطة ... من الحسب خواض إلى الموت محرب
وفينا رباط الخيل كل مطهم ... وخيل كسرحان الغضا المتأوب
تباري تراخيها الزجاج كأنها ... ضراء أحست تبأة من مكلم
مغاور من آل الوجيه ولاحق ... عناجيج فيها لذة لمعقب
وكمتم مدممة كأن متونها ... جرى فوقها واستشعرت لون مذهب
وآذانها وحف كأن ذيوها ... تجر أشاء من سميحة مطرب
وهضن الحضا حتى كأن رضاضه ... ذرى برد من وابل متحلب
الحجرات: جمع حجرة، بضم الحاء المهملة وسكون الجيم، والعضاهة: الشجرة العظيمة، والوجيه واللاحق: اسمان
لفرسين مشهورين، والعناجيج: جياذ الخيل، والمدممة: شدة الحمرة المشابهة للدم، والمتن: الظهر، وقال امرؤ القيس:
وقد أعتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عل
وقال أيضاً:

وقد أعتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد عبل اليدين قبيض
وقال:

وقد أعتدي والطير في وكناتها ... وماء الندى يجري على كل مذنب
وقال الأسدي في مقصوده:

وقد أعتدي في سفور الصباح ... بأجرد كالسيل عبل الشوى
له كفل أيد مشرف ... وأعمدة لا تشكي الوجي
وأذن مؤللة حشرة ... وشدق رحاب وجوف هوا
ولحيان مدا إلى منخر ... رحيب وعوج طوال الخطا
له تسعة طلن من بعد أن ... قصرت له تسعة في الشوى
وسبع عرين وسبع كسين ... وخمس رداء وخمس ظما
وسبع قرين وسبع بعد ... ن منه فما فيه عيب يرى
وسبع غلاظ وسبع رقاق ... وصهوة غير ومتن خطا
حديد الثماني عريض الثماني ... شديد الصفاق شديد الظما
وفيه من الطير خمس فمن ... رأى مثله فرساً يقتنى
غرابان فوق قطة له ... ونسر ويعسوبه قد بدا

كأن بمنكبه إذ جرى ... جناحاً يقلبه في هوا

وقد استقصى في هذه الأبيات وصف الفرس أتم استقصاء؛ فالسيد: الذئب، ويوصف بالجردة لقلعة شعره، والعبل:
المتلى، والشوى: الأطراف، والكفل: أعلى الوركين، والأيد: القوي، والمشرف: العالي، وأراد بالأعمدة: القوائم
- على الاستعارة -، والوجي: وجع في حافر الفرس، إذ ارق من المشي حافياً، والمؤللة: المحددة، والحشرة: اللطيفة
الرقيقة، والحمود في أذن الفرس: أن تكون رقيقة الطرف إلى الطول منتصبه، والشدق: الفم، والرحاب: -
كالرحيب - الواسع والهواء والفرجة بين الشيين وقصره للضرورة، قال أبو داؤد:

أجوف الجوف فهو منه هواه ... مثل ما جاف أبن النجار

الأبن: فارسي معرب، وهو شيء مجوف يتخذ من الخشب للماء، واللحيان: عظاما اللهزمتين وهما اللتان تحت الأذن إلى طرف الفم، وأراد بالعوج رجليه، وبطول الخطى سعتها لاستنزامها طول الرجل المستلزم لعلو الفرس. والتسعة الطويلة الممدوحة: هي الذراعان والفخذان والخذان والذيل والعرف والعنق. والتسعة القصيرة: هي الأرساغ الأربعة والساقان والظهر والعسيب وشعر البدن. والسبعة العارية من اللحم: القوائم الأربع والخذان وما بينهما. والسبعة المكسوة: الفخذان الوركان والجنبان والصدر. وقوله: (وسبع قربن) أي: وسبعة أعضاء قربن من سبعة: وهي رؤوس الأربعة أوظفة من الحوافر وركبتي الرجلين من الرسغين والحارك من القطة ويلزمه قصر الظهر. والسبع التي بعدت عن مثلها: هي ركبتي اليدين من رسغها وركبتي الرجلين من الوركين وما بين الأضلاع وبين الرأس والكتف وهو الحارك وبين الناصية والجمحلة. والسبعة الغلاظ: الركب الأربع والفخذان والعنق. والسبعة الرقاق: الأذنان والجمحلتان والأسنان واللسان والشعر، والصهوة: موضع السرج، والعر: حمار الوحش، أي: وفي ظهره قليل انحطاط. والثمانية المحددة، أي رقيقة الأطراف: وهي العرقوبان والأذنان وأطراف اللحين وطرف العسيب والرأس. والثمانية العريضة: هي الفخذان والوركان والمنكبان واللحيان، وقوله: (شديد الصفاق) أي نواحي الجنبين، والمطأ: الظهر، أي: قوي الظهر والجوانب. وقوله: (وفيه من الطير خمس) فسرها بقوله غرابان إلخ... والغرابان: طرفا الوركين الأسفلين، والقطة: مقعد الردف، والنسر: بطن الحافر، واليعسوب: الغرة على قصبه الأنف، وقال آخر:

كأن قوادي والقيان هوت به ... من الحقب جرداء اليدين وثيق

الأجرد: الذي رق شعره وقصر، وقال آخر:

وجرد طار باطلها تسيلاً ... وأحدث قمؤها شعراً قصاراً

وقال عمرو بن كلثوم في معلقته:

وتحملنا غداة الروع جرداً ... عرفن لنا نقائد واقتلينا

وردن دووارعاً وخرجن شعناً ... كأمثال الرصائع قد بلينا

ورثناهن عن آباء صدق ... ونورثها إذا متنا بنينا

أي: وتحملنا في الحروب خيل رقيقات الشعر قصيراته عرفن بأنهن لنا، وفطمنا عندنا، ودروع الخيل: تجافيفها، أي:

وردت وعليها التجافيف، وهي آلة يلبسونها للفرس في الحرب، وخرجت شعناً قد بليت بعقد الأعنة لما نالها من

الكلال والمشاق، وقد ورثناها من آباء كرام صادقين في القول والفعل وترثها منا أبناءنا بعد موتنا، وقال المتنبي:

ومقانب بمقانب غادرتما ... أهوات وحش كن من أقواتما

أقبلتها غرر الجياد كأنما ... أيدي بني عمران في جبهاتما

الثابتين فروسة جلودها ... في ظهرها والطنن في لباتما

العارفين بما كما عرفتهم ... والراكبين جلودهم أماتما

فكأنما نتجت قياماً تحتهم ... وكأنهم ولدوا على صهواتما

إن الكرام بلا كرام منهم ... مثل القلوب بلا سويداواتما

المقنب: الجماعة من الثلاثين إلى الأربعين، والواو في قوله: (والطنن) للحال، أي: أن الطعن نرف الخيل، وهم يشبتون

في تلك الحال، وإذا خفضت فمعناه يشبتون في ظهورها ثبات الطعن، وقوله: (والعارفين) أي: أن هذه الخيل تعرفهم

كما يعرفونها لأنها تناسلت عندهم، وجدودهم كانوا يركبون أماتها - ويقال الأمات فيما لا يعقل، والأمهات تطلق على من يعقل، ويجوز العكس - ويشبهه قول الصفي الحلبي في السيد النقيب مجد الدين:
إذا افتخر الأقوام يوماً بمجلهم ... فإنك من قوم بهم يفخر الجند

تعود متن الصافنات صغيرهم ... إلى أن تساوي عنده السرج والمهد
وقوله في السلطان الصالح شمس الدين:

من القوم في متن الجياد ولادهم ... كأن متون الصافنات مهود
غيوث لهم يوم الجياد من الظبا ... بروق ومن وطء الجياد رعود
وقول أبي العلاء المعري:

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا ... إذا تعرف العرب زجر الشاء والعكر
والقائديها مع الأضياف تتبعها ... ألافها وألوف اللأم والبدر
جمال ذا العصر كانوا في الحياة وهم ... بعد الممات جمال الكتب والسير
وافقتهم في اختلاف من زمانكم ... والبدر في الوهن مثل البدر في السحر
الموقدون بنجد نار بادية ... لا يحضرون وفقد العز في الحضرة
إذا همى القطر شبتها عييدهم ... تحت الغمام للسايرين بالقطر
من كل أزهر لم تأثر ضمائرهم ... للشم خد ولا تقيل ذي أشر
لكن يقبل فوه سامعي فرس ... مقابل الخلق بين الشمس والقمر
كأن أذنيه أعطت قلبه خيراً ... عن السماء بما يلقي من الغبر
يخس وطء الرزايا وهي نازلة ... فينهب الجري فعل الحارث المكر
من الجياد التي قد كان عودها ... بنو الفصيصة لقاء الطعن بالثغر
تغني عن الورد أن سلوا صوارمهم ... أمامها لاشتباه البيض بالغير
وكانوا يزجرون الخيل بلفظة: هلا أو اجزم أو هيا أو أرحب. قال الكميت:
نعلمها هيا وهلا وأرحبا ... واجزم في أبياتنا ولنا قلم
وقال عدي بن الرقاع:

هن عجم وقد علمن من القو ... ل هيا واقدمي رآء وقومي
روي أن رجلاً عرض بليلى الأخيلية بقوله:

ألا حيبا ليلى وقولا لها هلا ... فقد ركبت طرفاً أغر محجلا
فأجابته:

تعبرني داءً بأملك مثله ... وأي جواد لا يقال له هلا
ومنها أن تكون كثيرة المنازعة للجام، قال ابن مقبل:

وأحلج فهاماً إذا الخيل أرعلت ... جرى بسلاح الكهل والكهل أجرد

الأخلاج: الطويل الذي يخلج العنان، أي: يجذبه، وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

تظل جيادنا متمطراتٍ ... يلطمهن بالخمير النساءُ

يناعن الأعنة مصعداتٍ ... على أكتادها أسدٌ ضراء

يلطمهن: أي يفضن الغبار عنهن بخمرهن، وقال الأفوه الأزدي:

وخيل عالكات اللجم فينا ... كأن كماثها أسد الضريب

وقال طرفة بن العبد:

وفحول هيكلات وقح ... أعوجيات على الشأو أزم

وقنا جرد وخيل ضمير ... شذب من طول تعلاك اللجم

وقال كعب بن مالك:

ونزائعاً مثل الجبال نأى بها ... علف الشعير وجودة الأقصاب

فتحوط سالمة النمار وتارة ... تردي العدا وتؤوب بالأسلاب

وقال آخر:

تغضب أحياناً على اللجام ... كغضب النار على الضرام

أي: تعض على اللجام من حرصها كالفضبانة. وقال آخر:

وترى الكميت أمامه ... وكأنه رجل مغاضب

وقال بشر:

إذا خرجت أوائلهن شعناً ... محجلة نواصيها قتام

ينازعن الأعنة مصغيات ... كما يفارط التمد الحيام

وقال خفاف بن ندبة:

وخيل تمادى لا هوادة بيننا ... شهدت بمدلوك المعاقم محق

المدلوك: المدكوك، والمعاقم: فقر بين الفريدة والعجب في مؤخر الصلب، والحنق: الغضب، وقال عنتر:

تقدم وهو مصطبر مصر ... بقارحة على فاس اللجام

وقال يزيد بن الحكم الثقفي:

واعلم بأن الحرب لا ... يستطيعها المرح السؤوم

والخيل أجودها المنا ... هب عند كتبها الأزوم

الأزوم: العضوض على اللجام، وقال أبو فراس الحمداني:

وسرنا بالخيل إلى نمير ... تجاذبنا أعنتها جذابا

وقال ابن عبد الصمد:

على سابع فرد يفوت بأربع ... له أربع منها الصبا والشمائيل

من الصبح خوان العنان كأنه ... مع البرق سار أو مع الليل سائل

وقال النصيب في مدح الفضل بن الربيع:

قاد الجياد إلى العداة كأنها ... رجل الجراد تسوقهن جنوب

وقنا تبارى في الأعنة شرباً ... تدع الحزون كأنهن سهوب

من كل مضطرب العنان كأنه ... ذيب يبادره الفريسة ذيب

تقوى بكل مغاور عاداته ... صدق اللقاء فما له تكذيب

وقال المعقر بن أوس:

وكل طموح في العنان كأنها ... إذا اغتمست في الماء فتحاء كاسر
لها ناهض في المهدي قد نهدت له ... كما نهدت للبعل حسناء عاقر

وقال النابغة الذبياني:

خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وأخرى تعلقك اللجما
يقال: صام الفرس إذا قام على غير اعتدال. وقال:

وأخرج من تحت العجاجة صدره ... وهز اللجام رأسه فتصلصلا
وأم هوانا لا ينادي وليده ... وشد ومر بالعنان ليرسلا

وقال أبو العلاء:

أليس الذي قاد الجياد مغذةً ... روافل في ثوب من النقع ذائل
يكاد يذيب اللجم تأثير حقلها ... فيمنعها من ذاك برد المناهل
وما وردتها من صدى غير أنها ... تريد بورد الماء حفظ المساحل
وعادت كأن الرثم بعد ورودها ... أعرن احمرار الأفق فوق الجحافل
وقال:

كماة إذا الأعراف كانت أعنةً ... فمغنيهم حسن الثبات عن الحزم
يطيلون أرواق الجياد وطالما ... ثنوهن عضبا غير روق ولا جم
إذا ملاءن القنا جبريه ... وغيظاً فأوقعن الحفيظة باللجم
ورفتن مجدول الشكيم كأنما ... أشرن إلى ذاو من النبت بالأزم
فوارس حرب يصبح للمسك مازجاً ... به الركض نقعاً في أنوفهم الشم
وقال فرقة بن قيس بن عاصم:

فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم ... فلم يجدوا إلا الأسننة مصدرا
على الجرد بعلكن الشكيم عوايساً ... إذا الماء من أعطافهن تحدرا
فلم يرها الراؤون إلا فجأةً ... يثرون عجاجاً بالسنايك أكدرا
وقال المتنبي:

تجاذب فرسان الصباح أعنةً ... كأن على الأعناق منها أفاعيا
بعزم يسير الجسم في السرج راكباً ... به ويسير القلب في الجسم ماشيا
قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا
ومنها: أن تصفن على أحد حوافر يديها يقال: (صفنت الفرس) إذا قامت على ثلاث وثنت يدها الرابعة، وأما نبي
الرجل فعام في العراب وغيرها بخلاف اليد فلا يكاد يوجد إلا في العراب الخالص، قال تعالى: "إذ عرض عليه
بالعشي الصافنات الجياد" ومدح ابن هاني أبا القاسم الشيباني بقوله:
وعرين من كل ليث هصور ... كالح الناب أسجر الحملاق
فوقه خيطة اللجين تمادى ... ييدي كل بهمة مصداق
من عداد البرهان موجودة ... للخلق فيها دلائل الخلاق

حسنت في العيون حتى حسبنا ... ها تردت محاسن الأخلاق
قد لبسن العجاج معتكرو اللون ... ن ولكن الحديد مر المذاق
فإذا ما توجست منه فكراً ... نصبت من مؤللاتٍ ذقاق
وتراها حمر السنابك لما ... وطئت في الجماجم الأفلاق
اللواتي مرقن من أضلع النص ... ر له أسهم على المراق
أنت أصفيتها حب سليما ... ن قديماً للصفانات العناق
لو رأى ما رأيت منها إلى أن ... تتوارى شمس بسجف العناق
لم يقل ردها علي ولا يط ... فق مسحاً بالسوق والأعناق
وقال أيضاً:

لك الخير قلدها أعنة أمرها ... فهن الصفون الملقحات العوالك
وقال الكمي:

نعلمهم بما كما علمتنا ... أبوتنا جوارى أو صفونا
وقال آخر:

وقام المها يقفلن كل مكبل ... كمارص إيقاً مذهب اللون صافن
وقال الصفي الحلبي:

وطرف أدهم الجلباب صافٍ ... خفيف الجري يوم السلم صافن
شديد البأس ذو أمر مطاعٍ ... مضارب كل قرم أو مطاعن
أحب إلي من تغريد شادٍ ... وكأس مدامة في كف شادن
وقال الهجاج:

ألف الصفون فلا يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيراً
وقال عمرو بن كلثوم:

وأيامٍ لنا غر طوالٍ ... عصينا الملك فيها أن ندينا
وسيد معشرٍ قد توجه ... بتاج الملك يحمي الخجربنا
تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعتتها صفونا

ومنها: أن لا تنخي سنبكها عند شرب الماء وقد مر ما اتفق لسليمان الباهلي مع عمرو بن معدى كرب، وروي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لعمرو بن معدى كرب: كيف معرفتك بعرا ب الخيل؟ قال: معرفة الإنسان
بنفسه وأهله وولده. فأمر بأفراس فعرضت عليه فقال: قدموا إليها الماء في التراس وهو وعاء متسع قصير الجدر
فمن شرب ولم يشن سنبكه فمن العرا ب ومن ثناه فليس منها.

ومنها: أن تكون كثيرة خفقان القلب ذكية حذرة. قال كعب بن مالك:

وكل طمرة خفق حشاها ... تدف دفيف صفراء الجراد

الدف: الجري. وقال آخر:

ومكفت فضل سابعة دلاص ... على خيفانة خفق حشاها

وقال آخر:

بشبحٍ موتر الأنساء ... جابي الضلوع طفق الأحشاء
وقال الأعشى:

كم فيهم من شطبة خفيق ... وسابح ذي ميعة ضامر
الشطبة: الفرس الطويلة، ولا يوصف به الذكر.

وقال امرؤ القيس:

على الزيل جيش كأن اهترامه ... إذا جاش فيه حميه غلي مرجل
وقال عنتره العبسي:

ولي فرس يحكي الرياح إذا جرى ... لأبعد شأواً من بعيد مرام
يجيب إشارات الضمير حساسة ... ويغيبك عن صوت له ولجام
وقال المتنبي:

وأدبها طول القتال فطرفه ... يشير إليها من بعيد فنفهم
تجاوبه فعلاً وما يعرف الوحي ... ويسمعها خطأً وما يتكلم
وكان للمتنبي في أنطاكية مهر يسمى الطخروور فعذر عليه المرعى لكثرة الثلج فقال:

ما للمروج الخضر والحدائق ... يشكو خلالها كثرة العواق

أقام فيها الثلج كالمراق ... يعقد فوق السن ريق الباصق

ثم مضى لا عاد من مفارق ... بقائد من ذوبه وساق

كأنما الطخروور باغة آبق ... يأكل من نبت قصير لاصق

كقشرك الخبر عن المهارق ... أروده منه بكالشوذاق

بمطلق اليمنى طويل الفائق ... عبل الشوى مقارب المرافق

رحب اللبان نائه الطرائق ... ذي منخر رحب وإطل لاحق

محجل نهد كميته زاهق ... شادخة غرته كالشارق

كأنها من لونه في بارق ... باق على البوغاء والشقائق

والأبردين والهجير الماحق ... للفارس الراكض منه الواثق

خوف الجبان في فؤاد العاشق ... كأنه في ريد طود شاهق

يشأى إلى المسمع صوت الناطق ... لو سابق الشمس من المشارق

جاء إلى الغرب مجيء السابق ... يترك في حجارة الأبارق

آثار قلع الحلي في المناطق ... مشياً وإن يعد فكاحنادق

لو أوردت غب سحب صادق ... لأحسبت خوامس الأيانق

إذا اللجام جاءه لطارق ... شحا له شحو الغراب الناقق

كأنما الجلد لعري الناهق ... منحدر عن سبتي جلاقق

بز المذاكي وهو في العقائق ... وزاد في الساق على النقاق

وزاد في الوقع على الصواعق ... وزاد في الأذن على الخراق

وزاد في الحذر على العقاقق ... يميز الهزل من الحقاقق

وينذر الـركب بكل سارقٍ ... يريك خرقاً وهو عين الحاذق
يحك أنى شاء حك الباشق ... قويل من آفقه وآفق
بين عتاق الخيل والعتائق ... فعنقه يربي على البواسق
وحلقه يمكن فتر الخائق ... أعدده للطعن في الفياق
والضرب في الأوجه والمفارق ... والسير في ظل اللواء الخافق
يحملني والنصل ذو السفاسق ... يقطر في كمي على البنايق
لا أخط الدنيا بعيني وامق ... ولا أبالي قلة الموافق
أي كبت كل حاسد منافق ... أنت لنا وكلنا للخالق

المروج: مرج، وهو الذي يرسل فيه الدواب، والخلاء: الكلاء الرطب، والعوائق: ما يعوق الشيء، والطرخور: اسم
مهرة، والمهرقة: الصحيفة، والشوذائق: الشاهين، والضمير في أورد للنبات، وأدخل الباء على الكاف لأنها بمعنى
مثل، والفائق: مفصل الرأس، فإذا طال طال العنق، وعبيل الشوى: غليظ الأطراف، وإذا تدانت مرافقه كان أمدح
له، واللبان: الصدر، والناتة: العالي، والطرائق: الأخلاق، والأطل: الخاصة، واللاحق: الضامر، والزهق: المتوسط
في السمن والهزال، والغرة: الشادخة التي ملأت الوجه، والشارق: ضوء الشمس، والبارق: السحاب، والبوعاء:
الترائب، والشقائق: جمع شقيقة، الأرض ذات الرمل والحصا، وقد شبه غرته بالبرق وجسده بالسحاب، وباق: أي
صور، والأبردين: الغداة والعشي، والهجير: شد الحر، وخوف مبتدأ خبره قوله للفارس فيما تقدم، وبز: سبق،
والمذاكي: جمع مذاك، الفرس الكبير، والعقائق: جمع عقيقة، الشعر الذي يخرج مع المولود، والنقاق: جمع نقق، ذكر
النعامن والخرائق: جمع خرنق، ولد الأرنب، والعقائق: طور بلق بسواد وبياض، والخرق: ضد الحدق، والآفق من
الشيء: فاضله وشريفه، والبواسق: النحل العالي، والفياق: الكتائب من الجيوش، والسفاسق: النصل، والمواق:
الحب، وأي: حرف نداء. ولما قتل المهرجين كبست أنطاكية قال:

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم
ستبكي شجوها فرسي ومهري ... صفائح دمعها ماء الجسم
قربن النار ثم نشأن فيها ... كما نشأ العذارى في النعيم
وفارقت الصياقل مخلصات ... وأيديها كثيرات الكلوم
يرى الجبناء أن العجز عقل ... وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغني ... ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه ... على قدر القرائح والعلوم
ومنها: أن تثبت في مشيها كمشي الكلاب في الهراس وهو شوك كأنه حسك. قال النابغة الجعدي:
وشعث يطابقن بالدارعين ... طباق الكلاب يطأن الهراسا
وقال ابن قعين:

إننا إذا الخيل عدت أكداسا ... مثل الكلاب تنقي الهراسا
ومنها: أن تثب ما يعرض أملها من حفرة وجدار عند الجري.

قال امرؤ القيس:

لها وثبات كوثب الأطباء ... فوادٍ خطاءً ووادٍ مطر
وقال أيضاً:

وأعددت للحرب وثابة ... جواد الحثّة والمروء
سبوحاً جموحاً وأحضرها ... كعمعة السعف الموقد
وقال القتيبي:

لها وثبات كصوب السحاب ... فوادٍ خطيطٌ ووادٍ مطر
وقال آخر: يملأ عينيك بالفناء ويرضيك عقاباً إن شئت أو نزقا يقال: نزق الفرس إذا وثب. وقال المتنبي:
في سرج ظامئة الفصوص طمرة ... يأبى تفردها بما التمثيلا
الطمرة: شديدة الوثب.

ومنها: أن تختال في مشيها، روى الأصمعي أن رجلاً معتموهاً جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو ولم
سميت الخيل خيلاً؟ فقال: لا أدري بل علمنا نتعلم. فقال: لاختيائها في المشي. فقال أبو عمرو اكتبوا هذه الحكمة
وارووها عن معتموه وأنشد الأصمعي:

قد أطرق الحي على سايح ... أسطع مثل الصدع الأجرد
لما أتيت الحي في ودقه ... كأن عرجونا بمثنى يدي
أقبل يختال في شأوه ... يضرب في الأقرب والأبعد
كأنه سكران أو عابس ... وابن رب حرث المورد
وقال ابن المعتز:

وقد يحضر الهيجاء في شنج النسا ... تكامل في أسنانه فهو فارح
له عنقٌ يغتال طول عنانه ... وصدراً إذا أعطيته الجري سايح
إذا مال عن أعطافه قلت شارب ... عتاه بتصريف المدامة طافح
وقال:

ولقد وطئت الغيث يحملي ... طرفٌ كلون الصبح حين وقد
يمشي ويعرض في العنان كما ... صدق المعشق بالدلال وصد
طارت به رجل مرصعةً ... رجامة بحصى الطريق ويد
وقال المراد:

شندف أشدق ما روعته ... وإذا طوطى طياً وطمر
الشندف: المختال في مشيه يميل من النشاط. وقال امرؤ القيس:
وإني زعيمٌ إن رجعت مملكاً ... بسيرٍ ترى منه الفرائق أزورا

على لاجب لا يهتدي بمناره ... إذا ساقه العود النباطي جرجرا
إذا قلت رَوْحنا أرن فرائقٌ ... على جلعدٍ واهي الأباجل أبترا
على مقصوص الذنابي معاودٍ ... بريد السر بالليل من خيلٍ بربرا
إذا زعته من جانبيه كليهما ... مشى الهيدبي في دفه ثم فرفرا

أقب كسرحان العضى متمطر... ترى الماء من أعطافه قد تحدرًا
أي: إذا عاطفته بالزجر من جانبيه كليهما تبختر واختال في مشيه ثم حرك بالجم عبتاً ونشاطاً، وقال:
ويخضد في الآري حتى كأنه... به عرة من طائف غير معقب
الخضد: شدة المضغ، والعره: الجنون، والطائف: الشيطان، والمعقب: الملازم.

الفصل الثاني في بيان اختلاف أوصافها باختلاف أقاليمها

فالحجازية حسنة الأحداق رقيقة الحجافل طويلة الآذان صلبة الحوافر جيدة الأرساغ. والنجدية طويلة الأعناق قليلة لحم الخد مدورة الرأس عريضة الكفل رحبة البطن رقيقة القوائم غليظة الأفخاذ. واليمينية: مدورة الأبدان خشنة غليظة القوائم محدبة الكفل خفيفة الأجناب قصيرة الرقاب. والشامية: حسنة اللون لينة الحافر صلعة الجبهة كبيرة الأحداق واسعة الأهداق. والمصرية: طويلة الأعناق حديدية الآذان رقيقة القوائم طويلة الأرساغ قليلة الشعر رديئة الحوافر. والمغربية عظيمة الأعناق غليظة القوائم مدورة الأوظفة ضيقة المناخر عابسة الوجوه طويلة السبب غزيرة شعره. والإفريقية: غليظة الأبدان عظيمة الصدر والرقبة ضيقة الكفل؛ روي: أن أشرفها الحجازية، وأعينها النجدية، وأصبرها اليمانية، وأكثرها هملجة المصرية، وأنسلها المغربية، وأفشلها الإفريقية، وألونها الشامية. والمشهور من الخيل الشامية والعراقية الآن خمسة: الصقلاوية وأم عرقوب والشويما وكحيله العجوز وعبية.

قيل: إن الخيل فرت لما وقع سيل العرم، ولحقت بالقفر مع الوحوش، ثم ظهر خمسة من كرائمها في بلاد نجد، فخرج في طلبها خمسة نفر فعثروا عليها، وترصلوا مواردها فإذا هي ترد عيناً في تلك الناحية فعمدوا إلى خشية وأقاموها بإزاء العين فأنحدرت الخيل لتشرب فلما رأت الخشبة نفرت ورجعت ولما أجهدتها الظماً اقتحمتها وشربت. ومن الغد جاؤوا بخشبة أخرى، وأقاموها بجانب الأولى وهكذا إلى أن تركوا فرجة لورودها وصدورها وهي تنفر وتقتحم إلى أن أنست بالأخشاب، فلما وردت سدوا الفرجة من ورائها وتركوها محبوسة إلى أن ضعف نشاطها وأنست بهم ركبوا وطلبوا منازلهم فنفتت أزوادهم وأجهلهم الجوع فتفادوا في ذبح واحدة ويجعلون لصاحبها حظاً في الأربعة الباقية ثم بدا لهم أن لا يفعلوا ذلك إلا بعد المسابقة، ويذبحون التي تتأخر فتسابقوا وأرادوا ذبح المتأخرة فأبى صاحبها إلا بعد إعادة المسابقة فتأخر غيرها، فأعادوا المسابقة حتى يرجع الأمر الأولى فلاح لهم قطع غزلان فظردوه فظفر كل واحد بغزال. وسموا التي سبقت في الأدوار كلها صقلاوية لصقاله شعرها واسم صاحبها جدران فنسبت إليه. والثانية أم عرقوب لالتواء عرقوبها واسم صاحبها شويه فنسبت إليه. والثالثة الشويما لشامات كانت بها واسم صاحبها ساخ فنسبت إليه. والرابعة كحيله لكحل في عينها واسم صاحبها العجوز فنسبت إليه. والخامسة عبيه لأن عباءة صاحبها وقعت على ذيلها حين السباق فحملته به إلى آخر الميدان واسم صاحبها شرك فنسبت إليه. ثم تفرع من الصقلاوية الجدرانية الوبيرية ونجمة الصبح والمريعية والقميصية وتفرع من أم عرقوب أشيكي وعن شويمة السباح الكيشا وعن كحيله العجوز رأس الفداوي والثامري والجنوب والمعارف والمنديل والمصني والمشهود والنعام والشريف والأخرس والمخلدية وهمدان السامري والطويسية وودنا الخريس والمعنقية والجدرجية والجريا وأم عامر ويتفرع من عبية الشرال أم جريص والخضر وهدبا البشير. ومن خيل الشام صنف يسمونه عدايه، وينقسم إلى خمسة أقسام: جلفي ومعنقية ودعجانية وجيشية وقريجة، ويتفرع من هذه الخمسة، فيتفرع من الجلفي سعد الطوقان والغصيني والعظيمي والعجمي، ومن المعنقية معنقية السبيني. وكافة هذه

الفروع ترجع إلى كحيلية العجوز وكرائم الكحيليات عند بني مدح والتجاريات. وفحول هذه الأصناف جميعها منها ما يصلح للتقفيز وما لا يصلح، ويسمى مظلوم الأم لأنه مجهول الأب، ولا يعتبرون حسن خلقه الفحل وإنما يعتبرون صحة نسبة أبيه وقد اشتهر عندهم أن الأنثى كالصندوق المقفول، فأبي فحل ادخر فيها استخرج منها؛ ولذا كانوا يقصدون الفحل من الأماكن البعيدة. قال الأصمعي في نسبة الحرون فرس مسلم بن عمر الباهلي أنه ابن الأثاني بن الحرز بن ذي الصوفة بن أعوج الأكبر وليس للعرب فحل أشهر ولا أكثر نسلاً منه، وهو فرس غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن غيلان وهو من نسل زاد الراكب الذي أعطاه سليمان عليه السلام لقوم من جرهم وفدوا عليه، فلما قضيت حوائجهم قالوا يا نبي الله إن أرضنا شاسعة فزودنا زاداً يبلغنا أهلنا فأعطاهم فرساً، وقال: إذا نزلتم منزلاً فاحملوا عليه غلاماً فإنكم لا تورون ناركم حتى يأتيكم بطعام. فكانوا لا ينزلون منزلاً إلا حملوا عليه لأمّاً ليقتنص فكان لا يغلبه شيء تقع عينه عليه من ظبي أو بقر أو حمار إلى أن قدموا بلادهم ولذا سموه زاد الراكب. وأم أعوج سبلة فرس غني. وأما أعوج الأصفر فهو فرس هلال بن عامر بن صعصعة وسمي الأعوج، لأنه ركب صغيراً قبل أن تشتد عظامه فاعوجت قوائمه وإليه تنسب الخيل الأعوجية، قال لبيد يمدح نباته:

معاقلنا التي نأوي إليها ... نبات الأعوجية والسيوف

وقال جرير:

إن الجياد بيتن حول قبابنا ... من نسل أعوج أو ذوي العقال

وقال المتنبي:

وإذا للكارم والصورم والقنا ... ونبات أعوج كل شيء يجمع

وقال أبو تمام:

والأعوجيات الجياد كأنها ... تهوى وقد رنت الرياح سماسم

وقال:

ولو أعتدي أعوج يعدو به المرطى ... أو لاحق لتمنى أنه وتد

قال الأصمعي: سئل ابن الهلالية فارس أعوج عن أعوج فقال: ضللت في بعض مفاوز بني تميم فرأيت قطاة تطير فقلت: والله ما تريد إلا الماء فاتبعها. ولم أزل أغض من عنان أعوج حتى وردت. وهذا أغرب ما يكون، لأن القطا شديد الطيران، وإذا قصد الماء كان أشد، ولم يكفه، حتى قال أغض من عنانه ولولا ذلك لسبق القطا. وروي أن أمه نتجته ببعض بيوت الحمي وكان عندهم أضياف فرأوه يضع طرف جحفلته على كازنهما أي أصل الفخذ مما يلي الحياء، فقالوا: أدركوا ذلك الفرس لا ينزي على فرسكم وذلك لعظمه وطول قوائمه فقاموا إليه فإذا هو بالمهر. ونسبوا الحنفا فرس حجر بن معاوية أمها أخت داحس لأبيه من ولد العقال والغبراء خالة داحس وأخته لأبيه وهما سبب الحرب بين بني عيس وذيان فمما روي أن قيس بن زهير سيد بني عيس اشترى من مكة درعاً تسمى ذات القصول وورد بها إلى قومه فرآها عمه الربيع بن زياد فأخذها منه فغضب قيس وانتقل بأهله ونزل على بني ذيان وسيلهم حمل بن بدر وأخوه حذيفة فأكرموه وأحسوا جواره. وكانت لقيس خيل كريمة من جملتها داحس وسمي بذلك، لأنه كان لقرواش اليربوعي فرس تسمى جلوى ولحوط اليربوعي فحل اسمه ذو العقال لا يطرقة، فتوجهها في نجعة والفحل مع ابنتين له يقودانه، فمرت به جلوى وكانت وديقاً؛ فلما استنشأها ودى، فضحك شباب منهم، فاستحبت الفتاتان فأرسلتا مقوده فوثب على جلوى؛ ثم جاء حوط فرأى عين فرسه فقال: ناز والله، فأخبر بالخبر، فنأدى بني يربوع فاجتمعوا وقالوا: والله ما أكرهناه. فقال: أريد ماء فرسي، فقالوا له: دونك. فأوثقها حوط،

وجعل في يده تراباً وأدخلها في فرج الفرس، وسطا عليها فاشتعل الرحم على ما بقي فيها، فأتتجت مهراً فسماه
داحساً لسطوة حوط عليه ودحسه إياه، وخرج داحس كأبيه، ثم إن قيساً أغار على بني يربوع فغنم وسبا ولم ينج
منهم غير فتيين من بني أريم وقطعا الخيل وكان فيها داحس فلما رآه قيس أعجب به وأخذ فداءً للسي وصار
لقيس، فتراهن رجلان من بني ذبيان عليه وعلى الغبرا فرس حذيفة ابن بدر على عشر قلائص، وأخبر حذيفة
بالرهان على فرسه وفرس قيس فرضي وأمضاه، ثم أخبر قيساً بذلك فقال: راها من شتتا وجنابي بني بدر، فإنهم
قوم يظلمون فقلاً: قد أوجبنا الرهان مع حذيفة، فقال: والله ليشتلن علينا شراً. ثم جاء قيس إلى حذيفة فقال: إنما
جنتك لأوضعك الرهان عن صاحبي، فقال: لا والله حتى تأتي بالعشر قلائص، فغضب قيس وتزايد حتى بلغا مئة
قلوص ووضع الرهان على يد رجل من بني ثعلبية، وجعلا الغاية مئة غلوة، والمضمار أربعين ليلة، ولما تمت المدة،
جعل حمل بن بدر فتيية في شعب هضب القليب على طريق الفرسين وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه
عن الغاية. فلما أحضر أخرجت الأنتى عن الفحل فقال حمل: سبقتك يا قيس، فقال قيس: رويداً يعدوان الجدد إلى
الوعث وترشح أعطاف الفحل، فلما أوغلا عن الجدد وخرجا إلى الوعث وترشح أعطاف الفحل، فلما أوغلا عن
الجدد وخرجا إلى الوعث برز داحس عن الغبرا، فقال قيس: جري المذكيات غلاء، فذهبت مثلاً. وقد ضمن هذا
المثل ابن هاني الشاعر في قصيدة بمدح المعز لدين الله:

والأعوجيات التي إن سوبقت ... سبقت وجري المذكيات غلاء

الطائرات السليحات السابقات ... الناجيات إذا استحث نجاء

والبانس في جمر الوغى لكماثما ... والكرياء هن والخيلاء

لا يصدرون نحرها يوم الوغى ... إلا كما صبغ الخلود حياء

والغلاء: جمع غلوة، وهو مدى الرمي، ويقال: جري المذكيات غلاب - بالباء الموحدة - أي: جري المسان من
الخيل مغالبة، وذلك أن المذكية وهي التي تمت قوتها تحمل على الخشن من الأرض، للثقة بقوتها وصلابتها، وأما
ليست كالجداع الصغار التي يطلب لها الرخاوة من الأرض لضعفها وصغرها. فإنها لا تثبت ثبات المذكيات، ولما
أشرف داحس على الغاية ودنا من الفتيية وثبوا في وجهه وردوه ففي ذلك يقول قيس:

وما لاقيت من حمل بن بدر ... وإخوته على ذات الأصاد

هم فخروا علي بغير فخر ... وردوا دون غايته جوادي

ثم قال قيس لحذيفة أعطني سبقي فأعطاه السبق، ثم إن جماعة من قوم حذيفة ندموه على ذلك، ونهاه آخرون وقالوا
إن قيساً لم يسبق إلى مكرمة، وإنما سبقت دابة دابة فأبي، وبعث ندبة ابن حذيفة إلى قيس يطلب منه السبق فقال
قيس: هذا سبقي فكيف أعطيكم إياه فتناول ابن حذيفة من عرض قيس، وأغلظ فطعنه قيس برمح فدق صلبه.
فاجتمع الحيان وأدوا دية المقول فأخذها حذيفة دفعاً للشر. ثم إن قومه ندموه، فعاد الشر بينهم فتحمل قيس بمن
معه من قومه ورحل، وقامت الحروب بين الحيين إلى أن قتل مالك أخو قيس، وكان الربيع بن زياد معتزل الحرب،
فلما بمقتل ابن أخيه شق ذلك عليه وقاتل بني ذبيان وأنشد:

من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه همار

يجد النساء حواسراً يندبهن ... يطلمن أو جههن بإحار

قد كئن يخبئن الوجوه تستراً ... فالآن حين بدون للنظار

يضرين حر وجوههن على فتى ... عف الشمائل طيب الأخبار

أبعد مقتل مالك بن زهير ... يرحو النساء عواقب الأظهار
ومن عادة العرب أن لا تدب القتب حتى يؤخذ بثأره، ثم توالى الحروب بينهم وكان أعظمها يوم الهباءة، وسمي
قيس من القتال، فذهب إلى أخواله بعد أن مات الربيع وأكل بعض القوم بعضاً، فقام في الصلح الحارث بن عوف
وهرم بن سنان المريان، وحملوا حملات واجتهدوا في إصلاح ذات البين، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى:
تداركتما عبساً وذيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
والعسجدي فرس لبني أسد من نتاج الديناري بن الهميسع بن زاد الراكب، وأما الآن، فإنهم ينسبون الفحل لأمه.
ومن الخيل المشهورة، خيل مشايخ بني ظافر، قبيلة بين بغداد والبصرة، والعرب يضمنون بيعها، لأن عادة العرب في
بيع إناث الخيل مختلفة. فمنهم نصف فرسه ويسقط حقه من الانتفاع بركوبها بتسليم رسنها إلى المشتري في مقابلة
علفها، ويكون للبائع في أولادها النصف، فإذا أنتجت أنثى ورضعت مئة يوم كان المشتري مخيراً في ربط إحداهما
وتفويض الأخرى على البائع. وإن أنتجت مهرأ، يكون الربع منه لرابطه في مقابلة علفه وتربيته. هذا إذا لم يكن
بينهما شرط، وإلا فالشرط هو المعتبر، ويسمون هذا البيع هجراً ومنهم من يبيع فرسه بشرط أن يكون له الأولى مما
تنتجه من الإناث، أو الثانية أو الأولى والثانية، فإذا ولدت أولاً أنثى أشهد المشتري عند نتاجها، بأن هذه المهرة
للبيع، ثم يرضعها مئة يوم ويسلمها له، إن علم محله وإلا فيبقيها عنده، فإن حضر البائع قبل بلوغها سن الركوب
يطلب منه ثمن علفها وأجرة تربيته من حين تمام مدة رضاعها ويسلمها له. وإن جاء بعد ركوبها كان للمشتري منها
الربع مقابلة علفها وتربيته، وكذا يعامل في الثانية والثالثة. هذا إذا لم يكن بينهما شرط، وإلا فالشرط أملك.
ويسمون البيع بيع الثاني، ومنهم من يبيع فرسه بيعاً باتاً، وهو نادر، ويسمون هذا البيع قلاطاً.
ومن الخيل المشهورة أيضاً خيل مجبل أوراس بين تونس وقسنطينة. وفي السقرابية أن الصحابة رضي الله عنهم، لما
فتحوا إفريقيا فضلوا تلك الخيل على خيل الشام.

الباب السادس في تقفيها وأطوارها وخدمتها والإفناق عليها وتأديتها وكيفية تضميرها

وعلاجها. وفيه ستة فصول

الفصل الأول في التقفي

ينبغي أن يكون في فصل الربيع لتكون ولادة الفرس فيه، لأن المولود في الشتاء لا ينجح، ويختلف وقته باختلاف
الأقاليم. ففي الإقليم الحار تقفز في شباط، وفي المتوسط في نيسان، وفي البارد في أيار، ليأكل الفلو القصيل، ويكون
قوي البنية صحيح البدن.
وفي دمشق يقفزون الخيل مرتين في السنة، أولاهما في الربيع والثانية في الخريف عند قطف الزيتون، ولذا يسمونه
الزيتوني، لإدراك نبات الفصة والبيقية عند نتاج الفلو فيتغذى منهما.
وينبغي أن تكون الفرس عند النزو في أرض منحدر، ليتمكن منها الفحل، وأن يجعل قبل وجهها غزال ليأتي الفلو
مشابهاً له في الخلقة، وأن يغسل ذكر الفحل وفرج الأنتى بعد النزو بماء بارد وتسير سيراً عنيماً كيلا تلقي ماء
الفحل من رحمها وتلتزم الراحة ولا تطعم الخضرة ولا تسمع صهيل فحل، إلى أحد وعشرين يوماً. فإن انكمش
الفرج وسال منه شبه المنى وفرت من الفحل فقد علقت، وإلا أنزي عليها الفحل مرة أخرى.

فإن نفضت مراراً وظهرت علامات الرطوبة كالسيلان مثلاً، يرغى الصابون على اليد ويغسل الرحم بلطف ثم يعاد النزو أو تؤخذ قطعة صغيرة من الرصاص وتجعل في شيء من صوف إبط الغنم ثم يدخل في فرج الفرس فإذا وجد فيها فتق يجمع طرفاه ويؤخذ من النمل الصغير واحدة وتضع فوقها فإذا عضتهما قطع رأس النملة وترك متعلقاً بهما. ثم تؤخذ ثمانية ويفعل بما كالأولى إلى أن يلتئم الفتق وينزى عليها الفحل.

وذكر داود أن الفرس إذا لم تحمل وسقيت من الراوند التركي مع دبس العنب وحملت صوفية من نشارة العاج ولبن الخيل تحمل وهو مجرب.

ومن علامات الحمل صغر طرف الفرج وانكماشه وحدة النظر. والفرس تطلب الفحل إذا بلغت ثلاث سنين. فإذا طلبته وحتت إليه، قيل لها مستأنفة، كما يقال للناقة متنافرة، وللبقرة منابتة، وللحمارة طالبة، ومدة الحمل أحد عشر شهراً. قال أرسطو: إن مدة الحمل في كل حيوان مضبوطة إلا في الإنسان فإن لم تضع قيل جرت، وكما جرت كان فلوها أقوى، وأكثر زمن الجر خمسة عشرة يوماً، فإن درت الحلمة اليمنى قبل اليسرى أو كانت الحلمتان سوداوين أو مضغ شيء من حليبها على الظفر فسأل كان الحمل ذكراً.

وينبغي بعد قطع السرة أن يمسح حذا الفلو، حين وضعه، وفمه، ويفتح منخراه، ويلين عسيبه، بحيث يرفعه إلى أعلاه برفق، ويقطع لحمه حافره المسماة بالنسر، ثم يحمل بلطف ويلقم ثدي أمه كي يعتاد، وأن لا يقطم إلا بعد سبعة أشهر، وأن يسقى بعد الفطام حليباً شهراً، ثم شهرين بعده مضافاً بدقيق الشعير، فإن أديم على ذلك سنة اشتد قوة، وعظم نجاحاً. وحليب الإبل أصلح للفلو من غيره وفيه خاصية للجري، ويزيد في المخ والعصب، وينقص اللحم، قال ابن خلدون: والمتغذى بلبن الإبل يؤثر في خلقه الصبر والاحتمال، والقدرة على حمل الأثقال إذ هي من أخلاق الإبل وتكون إمعاناً في الغلظ والصحة كما معانها لا يطرقها وهن ولا ضعف. والمطلوب أن يكون الفحل نجيباً صحيح النسبة، خالياً من العيوب لأن الفلو يأتي مشابهاً لأبيه في جميع حالاته، فإن لم يجد الرجل لفرسه فحلاً من نسبه أو ما يقاربه، يتركها بلا تفضيز إلى حين وجوده، ويطلبه وإن بعدت المسافة. ومنهم من يجعل على فرج الأنثى قفلاً لئلا ينزو عليها مجهول النسب ويسمونه الكتبة، يقال كتب على فرسه أو ناقته أي خزم حياءها بلقمة من حديد أو صفر، تضم شفري حياها لئلا ينزى عليها، قال الشاعر:

لا تأمنن فزارياً خلوت به ... على قلوصلك واكتبها بأسيار

ومن نزى على فرسه غير جواد غسل رحمها بأدوية مفسدة لماء الفحل، ولهم في غسله مهارة تامة، والحاصل أنهم يغارون على محافظة أنساب خيلهم كما يغارون على محافظة أنسابهم ويحضرون عند النزو شهوداً. قال صاحب إنسان العيون: "إن عروة بن زيد الخيل وفد على عبد الملك بن مروان وقاد إليه خمساً وعشرين فرساً، ونسب كل واحدة منهن إلى آبائها وأمهاتها وحلف على كل فرس يميناً غير اليمين التي حلف بها على غيرها، فقال عبد الملك: عجبني من اختلاف أيمانهم أشد من عجبني من معرفته بأنساب الخيل، وقد كانوا يعتنون بالمحافظة على أنساب جمالمهم حيث أنهم كانوا يرسلون في الإبل فحلاً يسمنونه سدوماً، ليهدر بينها، فإذا ضبعت أخرجوه عنها، لدناءة أصله، وأرسلوا فيها فحلاً كريماً فإذا كان هذا اعتناؤهم بجمالمهم فما بالك بمحافظتهم على أنساب خيلهم بل ما بالك بالمحافظة على أنسابهم من الخلل والطعن".

واعلم بأن العيوب التي يستحب أن يكون الفحل سالماً منها، أن لا يكون أخذى: أي أصول أذنيه مسترخية، ولا أمغر، أي ذهب شعر ناصيته، ولا أدغم: أي غطت ناصيته عينيه، ولا أسعف: أي في ناصيته بياض، ولا أحول: أي أبيض مؤخر عينيه وغار السواد إلى مآقيه، ولا أقتى: أي في أنفه احديداب، ولا مغرباً: أي ابيضت أشفار عينيه مع

زرقة العينين، ولا أدنى أي اطمأن عنقه من أصله، ولا أقصى: أي في عنقه قصر ويبس، ولا أكف: أي في أعالي كنفه انفراج، ولا أزور: أي يدخل إحدى فهدتيه ويخرج الأخرى، ولا مخطفاً: أي لحق ما خلف مخرمه من بطنه، ولا هضيماً: أي مستقيم الصلوع التي دخلت أعاليه. قال الأصمعي: "لا يسبق في الحلبة أهضم". وقال النابغة: خيط على زفرة فتم ولم ... يرجع إلى دقة ولا هضم

ولا قليعاً: أي طويل الظهر، ولا أصقل: أي طويل الصقلة وهي الخاصرة، ولا أنجل: أي خرجت خاصرته من ورق صفاقه، ولا أفرق: أي أشرفت إحدى وركيه على الأخرى، ولا أرسح أي قليل لحم الصلا، ولا أعزل: أي معوج عسيب الذنب، ولا أشعل: أي في ذنبه بياض ولا ملوحاً: أي إذا ضربته حرك ذنبه، وفي المثل (عيب في الراس ولا عيب في الذنب)، ولا أشرح: أي بيضة واحدة ويسمى أفرق، ولا أفجح: أي تباعد كعباه، ولا أيداً: أي تباعدت ساقاه، ولا أصك: أي يصك كعبيه إذا مشى، ولا أقعد: أي منتصب الرسغ مقبلاً على الحافر، ويكون في الرجل خاصة، ولا أصدف: أي تدانى ذراعه وتباعد حفره، ولا أقسط: أي انتصبت رجلاه غير منحيتين، ولا أمدس: أي مصطك بواطن الرسغين، ولا أحنف: أي ملتوي الحافرين بحيث يقبل كل منهما على الآخر، ولا كرداً: أي يجنط الأرض بيده باستقامة لا يقلبها لجهة بطنه، ولا رموحاً: أي يضرب الأرض بيده حين المشي، ولا أجسر: أي مضطرب اليد والرجل، ولا مكواحاً: أي سريع العطش، ولا صلوداً: أي بطيء العرق، ولا أكوش: أي إذا جرى نكس كالحمار، ولا طموحاً: أي يسمو ببصره إلى السماء، ولا فاكساً: أي يطأطي رأسه إذا جرى، ولا جموحاً: أي قوي الرأس، ولا قطوفاً: أي لا تصل رجله إلى مكان يده حين يرفعها، ولا حرونناً: أي يقف إذا أريد منه الجري أو السير أولاً لا يجري إلا بالضرب، ولا خماشاً: أي يستتب حضراً ثم يرجع القهقري، ولا رواغاً: أي يجيد في حضره يميناً وشمالاً، ولا شوباً: أي يقوم على رجله ويرفع يديه، ولا عاجناً: أي يعجن برجليه كقماص الحمار، ولا مفتلاً: أي يفرق بين قوائمه إذا رفعها كأنما ينزعها من وحل، ويجفق برأسه، ولا مجربداً: أي يقارب الخطوة بقرب سنابكه من الأرض، ولا يرفعها رفعاً شديداً، ولا مشاغراً: أي يطمح بقوائمه جميعاً، ولا مواكلاً: أي لا يسير إلا بسير غيره، ولا خروطاً: أي يخرط رسنه عن رأسه، ولا رموحاً: أي يضرب بإحدى رجله، ولا ضروحاً: أي يضرب بهما، ولا عضوياً.

وكثرة الضراب على الفحل تحدث فيه أمراضاً وتصير منيه دماً أحمر لاسيما إذا كان معداً للركوب، فغاية ما يسمح له في السنة من خمس مرات إلى ثمان، إلا إذا كانت الإناث قريبة عهد بالولادة نحو شهر مثلاً، زيد له في العدد السابق، لأن ضرابها يصلح الفحل، وأما إذا كان غير معد للركوب لعله منعت منه، فلا حد لعدد ضرابه ويكون كفحل بيت المال، وذلك أن عادة الملوك أن تجعل عند رئيس كل مقاطعة فحلاً ينتفع بضرابه لا يمنع منه أحد وليس على صاحب الأثني إلا إكرام القائم بخدمة الفحل.

والعرب تستقبح بيع عسيب الفحل، لأنه مناف للكرم، ولما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه اشتد استقباحاً. روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رجلاً من بني كلاب سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عسيب الفحل فنهاه فقال: إنا نطرق الفحل فكرم، فرخص له في الكرامة"، والعسيب ماء الفحل.

"نهي صلى الله عليه وسلم، عن نزو الحمير على الخيل، روي عن دحية بن خليفة الكلبي قال: قلت يا رسول الله ألا أهمل لك حماراً على فرس فتنتج لك بغلة؟ فقال: إنما يفعل ذلك الذين لا يعقلون". وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: "أهديت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بغلة فقلنا: يا رسول الله! لو أنزينا الحمير على خيلنا لجاءت بمثل هذه فقال: إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون". قال ابن حبان: "أي الذين لا يعلمون النهي". وقال

الخطابي: "إن الحمير إذا حملت على الخيل تعطلت منافع الخيل وقل عددها وانقطع نماؤها وهي محتاج إليها للغزو والركض والطلب، وعليها يجاهد العدو، وبها تحرز الغنائم، فأحب صلى الله عليه وسلم أن ينمو عدد الخيل، ويكثر نسلها لما فيها من النفع". وقال الكميت:
وما حملوا الحمير على عتاق ... مطهمة فيلقوا متلقينا

الفصل الثاني في الأطور وعلاماتها

اعلم أن الفرس إذا ولدت فأول ما يسمى مهراً وقلواً بضم الفاء وفتحها وكسرهما وجمعه أفلاء، والأنثى فلوة، فإن بلغ من العمر سنة ودخل في الثانية سمي حولياً، فإذا أتم الثانية ودخل في الثالثة سمي جذعاً وثنياً، فإذا أتم الثالثة ودخل في الرابعة سمي رباعاً، فإذا أتم الرابعة ودخل في الخامسة سمي قارحاً إلى بلوغه الثامنة، وهو نهاية القوى والشدة. ثم يأخذ في النقص إلى الرابعة عشرة فإن تجاوزها عجز عن الكر والفر، ولا يصلح حيثن إلا للتقفيز. ومن العلامات الدالة على سن الفرس نبات أسنانه وسقوطها، وذلك أن الفو تنبت ثنياه لمضي سبعة أيام من ولادته، فإذا بلغ الشهر إلى الشهرين تنبت رباعيته، فإذا بلغ سبعة أشهر إلى الثمانية، تنبت سوادسه، فإذا بلغ تسعة أشهر إلى العاشر تنبت أضراسه، وفي السنة الثالثة تبدل ثنياه إذا كان أبواه هرمين فإذا كانا شاينين يتأخر إلى الرابعة، وفي هذه السنة الرابعة، تسقط رباعيته وينبت بدلها، وفي السنة الخامسة تبدل أنيابه وهي المسماة بالقوارح، قال أبو دؤاد:

جاورته حين لا تمشى بعقوته ... إلا المقانيب والقب المقاريح

المقانيب من الخيل: القطع، والقب، الضمر، والمقاريح: المنتهية في السن إلى السنة الثامنة. وبعد ذلك ينظر في الشيات الحادثة تحت جفن العين الأسفل، فإن كانت ثنية واحدة تضم عليها ما مضى وهو ثمانية فتكون سنة تسعة أو اثنتين فتكون سنة عشرة وهكذا.

وعلامه تبديل السن أن التي لم تبدل تكون بيضاء ملساء، والمبدلة تضرب إلى الصفرة، ويكون فيها شقوق، وأكبر من التي لم تبدل. ولا يبدل من أضراسه شيء إلا لعله، وعدة الأسنان اثنا عشرة ونابان وباقيها أضراس. ونقل الشيخ الأكبر عن أبي حيان التوحيدي: أن أسنان البقر أربعة وعشرون، والشاة إحدى وعشرون، والمعز تسعة، ومن كان من الحيوان أسنانه قليلة فعمره قصير، ومن كانت أسنانه كثيرة فعمره طويل. وعلامة كبر الخيل استرخاء حجفتها وتربيلها واختفاء أنيابه واختفاء السواد الذي في وسط أسنانها من الفك الأسفل، وتسمى ماسحة، واغورار عينيها وتناثر شعر بدنها، وربما بلغت من العمر خمسين سنة، والذكر ينزو إلى الأربعين.

وإذا أردت أن تعرف مقدار ما تبلغه من الطول تكيل من الركبة إلى منتهى شعر الحافر، ثم من الركبة إلى أعلاها فإن كان ما كلته أولاً ثلث الثاني فقد تنهى طولها، وإلا فبمقدار ما تقص عن الثلث يكون الطول. ومما يعرف به أيضاً أن تكيل من مفصل ركبته إلى منتهى شعر حافره، فإن بلغ طوله ٣٧ سنتيماً فيكون غاية ارتفاعه من ١٤٥ إلى ١٤٨ سنتيماً، ومنتهى طول الربع ٤٣ سنتيماً فيكون غاية ارتفاعه من ١٥٧ إلى ١٦٠ سنتيماً وهو الأغلب، والنادر من ذلك لا حكم له.

وإذا أردت أن تعرف ما يؤول إليه لون شعر الفلو فانظر إلى أشفار عينه فإن شعره يكون مثله في كبره لا يتغير. ومما يتشام منه إذا نزل الفلو من بطن أمه وله أسنان أو كانت خصيتاه ظاهرتين. واعلم أن البعير إذا طعن في السنة

الخامسة سمي جذعاً، وفي السادسة ثنياً، وفي السابعة رباعاً والأثني رباعية، وفي الثامنة سدساً وسديساً، وفي التاسعة بازلاً. وتجذع الشاة لسنة، وتثني لتمام سنتين ولتمام الثلاث رباعية، ولتمام الأربع سدس وصالغ لتمام خمس. وولد البقرة لأول سنة يبيعاً ثم جذعاً ثم ثنياً ثم رباعاً ثم سدساً ثم صالغاً وهو أقصى أسنانه.

ويقال، لولد البقرة: عجل، ولولد الناقة: حوار، ولولد الحمار: جحش، ولولد الضأن: حمل، والأثني: رخله، ولولد المعز: جدي، والأثني: عناق، ولولد الطيبي: خشف، ولولد الأرنب: الخرتق، ولولد الثعلب: النعل، ولولد الخنزير: الخنوص، ولولد القرد: النشة، ولولد الأسد: الشيل والحفص، ولولد الضبع: الفرغل، ولولد الذئب من الكلبة: العسبار والديسم، ولولد الضبع من الذئب: السمع، ولولد القار: الدرر، ولولد الضب: الحسل، ولولد النعام: الرال، ولولد الحبارى: النهار.

الفصل الثالث في خدمتها والإفناق عليها

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قوله تعالى: "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية" نزل في علف الدواب. وعن شريحيل بن سلمة: "أن روح بن زبناع زار تيمماً الداري فوجده يتقي لفرسه شعيراً ثم يعلفه عليه، وحواله أهله، فقال له روح: أما كان من هؤلاء من يكفيك؟ قال: بلى ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من امرئ مسلم يتقي لفرسه شعيراً ثم يعلفه عليه إلا كتب له بكل حبة حسنة". وعلف الخيل لم يرد في تقديره شيء عن العرب، وإنما هو بحسب العادة لاختلافها باختلاف البلاد، ولا يجوز زيادتها عما اعتادته أو نقصها عنه، وكانوا يمرنونها على أكل قديد اللحم، فإذا أجدبوا وقل الحليب أطعموها منه: قال النمر بن تولب حين وفد على النبي صلى الله عليه وسلم:

إنا أتيناك قد طال السفر ... نقود خيلاً ضمراً فيها عسر

نطعمها اللحم إذا عز الشجر ... والخيل في إطعامها الشحم ضرر
ويسقونها قبل العلف وبعده، قال الحطيئة:

وكل أجرد كالسرحان أترزه ... مسح الأكف وسقي بعد إطعام

أترزه: أس شددته وصلبه، ويسقونها كبريت الغنم الخلول بالماء في أيام الصيف والماء الحار أيام الشتاء، ولا يعدون على الذكر إلا إذا كان بين الممتلى والطوي لأنه إذا خلا بطنه ذهب نشاطه بخلاف الأثني، وللشعير نفع كبير لكل ذي ظلف.

وينبغي تنقيته ونقعه في الماء حتى يلين ووضع قليل من الملح عليه، وأن تعلق صباحاً نصف ما تعلقه مساءً. وأن لا تعلق حال التعب بل لا تسقى إلا أن تكون ملجمة، وأن يقلل لها من التبن، وتسقى وسط النهار مرة، فإن ذلك يوسع كفلها ويقوي لحمها ويرطب بلنّها، وفي المثل: لأضربنك غب الحمار وظاهرة الفرس، فغب الحمار أن يرعى يوماً ويشرب يوماً، وظاهرة الفرس أن يشرب كل يوم مرة نصف النهار، وأن يكون الإصطبل مفروشاً بالخشب أو الرمل الناعم، لأن الرطوبة تلين الحوافر فإن لم يكن مفروشاً ينشف تحتها بالروث الجاف كل يوم، وأن يحافظ عليه من دخول الدجاج لئلا يقع شيء من فضلاته فيمغلها، وأن يجعل فيه خنزيراً برياً لأن رائحته تزيدها صحة، وإذا كانت الخيل متعددة فيه، ينبغي أن تعطى علفها في آن واحد لأن التي يتأخر علفها عن الثانية ربما تحصل لها المغلة.

وأن يكون المعلق عالياً، وأسفله كهيئة الغربال، لأن الغبار إذا دخل في متآخرها أضرها، والأحسن غريلة التبن قبل

وضعه في المعلق، وأن تمسح أبدأها صباحاً في كل يوم. ويضعون على وجهها سيوراً أيام الصيف حالة الركوب وعلى بطنها بطناً لثلاً يؤذيها البعوض والذباب، وإذا كانت في الإصطبل يضعون على وجهها براقع واسعة الأعين كيلا يدخل طرف البرقع في عينها، وينبغي أن تكون المراغة واسعة خالية من التراب والرطوبة، وأن لا تكثر اللعب فيها لثلاً تنقلب أمتعاًها.

وأجود الربيع لها: البرسيم، لأنه يغسل بطونها، وهو ربيع خيل مصر. وفي الشام: القصيل والقصة والبيقية. وأجود القصيل: الطويل الذي لم يبد ثمره، لأن الثمر يخشن الحلق ويورثها السعال، وأقل ما يكون الربيع أسبوعين، وأكثره أربعون يوماً، فإن حصل لها إسهال يتحفظ من البرد، أو جفاف يخفف غطاؤها ويرش على القصيل شيء من الحناء، وروث للسهلة يبريء الحكمة والجرب طلاء. وينبغي أن لا تترك مدة أكلها الربيع وبعد انتهاء مدة الربيع تعلق الشعر المنقوع أسبوعاً.

الفصل الرابع في تأديبها وتدريبها

اعلم أن الخيل أصح الحيوانات مزاجاً، ولذا تؤثر فيها الرياضة، ويؤيده ما روي عن جابر بن زيد أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرموا واركبوا الخيل، وإن ترموا أحب إلي من كل هو لها به المؤمن، فهو باطل إلا ثلاث خلال: رميك عن قوسك وتأديبك فرسك وملاعبتك أهلكت فإنهن من الحق". وعن أبي أمامة: "عاتبوا الخيل فإنها تعتب"، أي أدبوها، ف، أي أدبوها، فإن فيها قوة تدرك بها العتاب فتفعل ما تؤمر به، وتنهى عما تنهى عنه قال زهير:

وخرجها صوارخ كل يوم ... فقد جعلت عرائكها تلين
أي: خرجها، كما يخرج المعلم تلميذه.

وقال الأفره:

وأفراسٍ مذللة وبيض ... كأن متونها فيها الوهاج
أي مؤدبة ومتونها ملساء صافية.

سمعت سيدي الوالد يقول: أخبرني ثقة من أشراف وادي أشلف بالجزائر، أنه كان عنده فرس أنثى من الجياد، أراد الذهاب عليها إلى مكة المكرمة، فلما خرج من بيته ركبها والناس يشعونه فعترت، فضربها بسوط فتحركت وقفزت، ولما رجع تلقته الناس لاستقباله، وساروا إلى أن وصل إلى المكان الذي ضربها فيه فقفزت، فعجب الناس من ذلك. وعن عطاء بن رباح قال: "رأيت جابر بن عبد الله وصابر بن عمير الأنصاري يرميان فملاً أحدهما فجلس فقال الآخر: كسلت؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل شيء ليس من ذكر الله فهو لغو وسهو، إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله وتعلم السباحة". وعن عقبة بن عامر أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه يحسب في صنعه الخير، والرامي به والممد به"، وقال يزيد بن مسلمة بن عبد الملك:

عودته فيما أזור حباتي ... إهماله وكذاك كل مخاطر

وإذا احتبى قريوسه بعنانه ... علك الشكيم إلى انصراف الزائر

أي: أدبته حتى إذا نزلت عنه وألقيت عنانه في قريوس سرجه وقف مكانه إلى أن أعود إليه. والقريوس: - بفتح

الراء - أحد حنوي السرج، والعنان: - بكسر العين - سير اللجام، والشكيمة: الحديدية في فم الفرس وفيها الفاس.

وينبغي أن لا يؤدبها ويدربها إلا عارف بما يحتاج إليه، ذو رفق، حاضر الذهن، ثابت في السرج، يركب بفخذه مائلاً إلى يساره، متوسطاً في قبض العنان، يحثها بالتدريج بدون ضرب ولا همز عنيف، ويعودها رؤية الشيء الهائل، ووثوب السواقى، والحفر و الجدر القصيرة، والنزول حضراً من الجبال الخالية عن الصخر الأملس، وأن تحنى يديها على الأرض إذا غمزها في إبطها.

وأحسن ما يكون التعليم في الصباح والمساء، وأن لا يقف مع الناس وهو راكبها، كيلا تعتاد الوقوف إذا رأت أحداً، ولا يركضها أول ركوبها ولا يجذبها باللجام فإن يعلمها الطموح واللوص، أي خروج اللسان وعضه، فإن حصل ذلك معه، يعالج بتبديل اللجام ويوقفها تدريجاً إذا أراد وقوفها. حكى عن بعض الفرسان: كان إذا ركب الفرس بالسرج العربي يضع في ركابه تحت رجله درهمن ثم يعدو وعند نزوله عنها يأخذها من حيث وضعهما. ومنهم من يأخذ الحجر من الأرض والفرس في شدة العدو ويضرب فيه غريمه، وإذا وقع منه شيء تناوله بنفسه وهو راكب. ويعلمون بالكرة والصولجان على ظهورها، والصولجان: فارسي معرب، وهو عصا طويلة تنتهي بكف المستدير يضرب بها الكرم، وأول خليفة لعب بها هارون الرشيد. وينبغي أن لا يبدل اللجام الذي وافقها ولا يركبها جاهل بالركوب لئلا يسيء أخلاقها. ومن الأمتال المغربية (احفظني من برد الصيف وركب أبي طريف، أحفظك يوم السيف) والمراد بأبي طريف: الولد الصغير الذي لا يحسن الركوب.

الفصل الخامس في كيفية التضمير

عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضم الخيل ليسابق عليها". وذكر ابن بنين: "أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بتضمير خيله بالحشيش اليابس شيئاً بعد شيء، وطياً بعد طي. ويقول: ارووها من الماء واسقوها غدوة وعشياً، والزموها الجلال فإنما تلقي الماء عرقاً تحت الجلال، فنصفو ألوانها وتتسع جلودها". و"كان صلى الله عليه وسلم يأمر بأن تقاد كل يوم مرتين، ويؤخذ منها بالجري الشوط والشوطين". ومدة التضمير أربعون يوماً ومنتهاه ستون. وشرطه أن تكون الخيل حائزة الأوصاف المحمودة، سالمة من العيوب رباعية أو خماسية غير مهزولة ولا قادمة من سفر، ولا قريبة العهد من الولادة. وزمانه فصل الربيع أو الخريف. وكيفيته أن تجعل في محل خال واسع مفروش بالرمال نظيف دائماً، مجللة بخمسة أو ستة لعرق تحتها ويذهب شحمها، لئلا تتنفس تنفساً شديداً إذا جرت ويسمونها: (الحناذ)، وإذا تم تعريقها وذهب شحمها، أجلتها كل يوم واحداً على التدريب، فإن لم تعرق تحتها يقال كبت، وتعلف في أول التضمير الشعير والتبن المغربل نحو أسوع، ثم يزداد لها الشعير وينقص التبن قليلاً قليلاً، إلى أن يصير علفها الشعير لا غير، وتمنع من شرب الحليب والمديد أي دقيق الشعير الممزوج بالماء. قال النابغة:

فلما أبي أن ينقص الفود لحمه ... نزعنا المديد والمديد ليضمرا

المديد: الخبز الممروت، والمديد: دقيق الشعير الممزوج بالماء، وتمرغ بعد العلف على الرمل أو التراب الناعم، وتسير شوطاً أو شوطين بالغدو والعشي إلى أن تعرق آذانها، ويسمون عرق الخيل صراحاً، وهذا الاسم مخصوص بعرق

الخيـل. قال أبو النجم:

نطويه والطـي الرفيق يجـدله ... نظـمى الشحم ولسنا نـزله

أي: نـعصر ماء بدنه بالـتعريق حتى يذهب رهله ويكتنـز لحمه. قال عدي بن زيـد:

فرلقتـه حتى ترفع لحمه ... أدويه مكتوباً وأركب وادعا

سئل بعض أرباب الخيل متى بتلغ الخيل الغاية من التضمير فقال: إذا ذبل فريدها، وتفلفت غرورها، وبدا حصرها، واسترخت شاكلتها.

الفريد: موضع محسة أعراف الخيل، والغرور: الغضون في جلدتها، وتفلفت: انفتحت، والحصير: العصبية التي على أضلاع الجنب مما يلي الصلب، والشاكلة: الطفطقة، فإذا تمت مدة التضمير وقرب وقت الرهان ترسل من غاية نظير الغاية التي وقع الرهان عليها، فإن قطعها ولم يضطرب منخرها وخاصرهما فقد تم تضميرها، وإلا ترداد منه حتى تقطعها بدون اضطراب، فإذا تعب ونزل عنه يمسخ وجهه ودخل منخره وتحت عسيبه ومراق بطنه بخرقه مبلولة بماء، ثم يقاد برفق كثير، ويترك قدر ساعة، ويقاد ثانياً إلى أن يبول، وعلامة جودة جريه أن يسمو بعنقه ويثبت رأسه، فلا يستعين به في حضره، وأن يجمع قوائمه فلا يفرقها، ويبسط يديه جميعاً ويقبض برجليه، كأنه يرفع قائمة واحدة وحافراً واحداً، ويمتد في الجري ولا يختلط. وأن يكون حضر الإناث وثباً باجتماع القوائم، ويجب أن يكون السرج واللجام خفيفين، والركب قصيرة، والحزم غير مشدودة قوياً، والراكب خفيفاً مدرباً، لا يضطرب على ظهرها، ولا يضر بها ولا يلح عليها بالمهماز، ولا ينتصب بقامته، بل منحياً على القربوس الأول قليلاً، لأن شد الحزام ينبغي أن يكون بحذاقة تامة، ولذا كانوا يخاطرون عليه.

وعن الأصمعي: أن مدى الغاية للجدعان أربعون غلوة، وللثيان ستون وللربعان ثمانون، وللقرح مئة، وهي اثنا عشر ميلاً ولا يجري من أكثر من ذلك.

الفصل السادس في معالجة بعض أمراضها، وإن كانت مذكورة في كتب البيطرة

(الجرب): ينفعه ساق الحمام والقلبي والعنص وجوز السرو ودخان القرن وبعر المعز مفردة ومجموعة كبوسات، وكذا الرماد مع الملح وورق الدفل.

(الجنون): وتحريك الرأس وتقل الحركة.

(والمغلة): ينفعها فصد الودجين: أو البارذنين وهما عرقان من جانبي الدماغ مما يلي الأذن. وينفع المغلة - وسببها: أكل التراب مع البقل، أو: أكل فضلات الدجاج - احتمال فئائل من الحنيت والحنظل، ونفخ شيء من الفلفل في إحليل الذكر وفرج الأنثى في ماسورة، وسقي ماء الحلبة، أو تكوى ثلاث لدغات بالميسم خلف السرة. (اليرقان): ينفع فيه فصد عرق الرأس إن اشتدت صفرة العين وإلا يعرف الذنب، وينفع فيه أيضاً: طبخ بزر الهندبا والراوند الصيني بالخمير شرباً أو سعوطاً.

(الكوكب): ما يجتمع من البخار عند الكتف ويرز، وعلاجه التليين بالسمن إن كان صلباً ثم البضع.

(الصفدع): وهو تكون عروق خضر كصورة الصفدع تحت اللسان، وعلاجها القصد فيها، وتكسب بالخبز المطبوخ بمرق الصفدع أو أكله.

(الخالد): يفعل في جلد الفرس ما يفعل الحيون المعروف في الأرض، وأكثر ما يعثر بها في اللبات والمراق من علبة السوداء والمشى في الحر، وعلاجه الشق واستخراجه، والكي بعد القطع؛ لئلا يعود، أو: التعفين بالسلق والسمن،

أو: القصد في الأذرعان، ويحشى بالأشق والسمن والجير، أو شرب الدبس بيزر الريحان والهندبا والقطونا أياماً.
(اللز): انضغاط تشنج مع الأضلاع يعسر معه النفس، وعلاجه: كي الحواصر والبطن برجل غراب والرأس واللية كيف اتفق.

(تثبت القصوص): وهو ارتحاء العظام التي تحت الرمانة من البرد أو المشي في الثلج، وعلاجه: لصق الزفت مع جوز السرو والفلقل.

(الحميات): ينفع فيها فصد الودجين وشرب رماد قصب السكر والاحتقان بالزيت والكمون واللبن والسيرج والأهمل والخمر.

(ضعف الكلى) وعلامته حمرة البول وذبول الجلد والشعر، وينفعه: الكي مما يلي الذكر إلى ملتقى الأضلاع ستة من كل جانب بين كل اثنين نحو إصبعين. وشرب أصل السوس بالسكر وجعل الكسفرة بعد العلف.
(الخفقان ووجع القلب): هما كالمغلة، وينفع منهما رماد قصب السكر بالزعفران.

(المفاصل والنقرس): وهو ما يحصل في قائمة واحدة، وعلامته الورم أو ضعف الحركة، وعلاجه: فصد بطون القوائم وكي القناة، أي: قصبة الرجل، والضما: بكل حار محلل، كالإكليل والبايونج والحلبة والخطمي.
(اللكون): ويكون في المفاصل خصوصاً فوق الركبة من كثرة السير أو ثقل الحمل، وعلاجه: لصق كل ملين كالزبيب وعنب الذيب والزعفران والتين والطلب بالشونيز والعسل.

(الرقاق): وهو أن تضلع الدابة من إحدى يديها، ويحشى من الصحيحة أن تحمل الضالعة ثقل المشي، وبذلك يصير الضلع كبيراً فيحز عضد اليد الصحيحة لتضعف، ويكون شدة وطئهما واحداً.
(عظم السبق): خراج في الحافر، وعلاجه: لصق الصمغ، أو: الحنظل الرطب والمقل والثوم والعدرة الرطبة لصوقاً على الصوف والميعة بالزيت وقد يضع.

(الطباق): ورم فيما يلي السنيك، يصحبه تشقق وخشونة من مادة رطبة، وعلاجه: التسف والكي، ثم يخرق بمسبر محمي حتى يخرج منه كيزر التين، أو: ماء أصفر، ويعالج بالمرهم والقطران وحشو الزرنينخ والجير والبول.
(الوقرة): قرح خفي في الحافر من نحو قصف مسمار أو انصباب مادة آكلة، وعلاجها بكشفها وتحية العسل، وتنظيف المادة وملازمة الذنب والقطران.

(الشقاق): مرض علامته حركة الرأس وقلة الأكل وسيلان الأنف، ثم يظهر عرض مستطيل خلف الأذن، وعلاجه: بزر الكتان ودقيق برر قطونة بالصابون طلاء، فإن انفجر عولج كالخراج.
(العنكبوتية): ورم في الأنف يضيق النفس وينسج كالشبكة، وعلاجه: القطع إن أمكن، وإلا نفخ الزاج والزرنينخ في أنفه بلطف أو مرهم الزنجار.

(تحرك الأسنان): علاجه كذلك بالزفت والحنثيت مطبوخاً بالزيت، والكبس بالشب والشونيز.

(السعال): إن كان برودة فعلاجه مطبوخ الثوم والزبيب والكمون والناخوة والأهمل، وينبغي أن يحلى في العسل، وإن كان عن حرارة فالبيض المقوع بالخل حتى يلين، والديق بالزيت والماء الحار وفصد الودجان إن عظمت.

(القصر): بالتحريك مرض يعترىها إذا عرقت، ورفع عنها السرج أو مسها البرد، وهو كالتشنج، والفرق بينهما أن هذا يكون في الظهر والعنق، والقصر في مطلق الأعصاب، وعلاجه: التدشير في مكان حار محفوظ من الهواء، والبخور بالشيخ والكندر، والسعوط بالنطرون ودهن الورد، فإن لم يبرأ فالكي في مفصل العنق والرأس وأصل الذنب.

(الجرد): ويكون في القوائم، يشبه داء الثعلب في الإنسان، وعلاجه: الشرط حتى يخرج الدم، ويذاب من دهن النعام والغار والشونيز وماء السلق مفردة أو مجموعة، ويطلّى بها، وكذا بصل العنصل.
(الشانكاه): خراج يبرز لاحتقان الريح ونحوه في كتف أو مرق، علاجه: بلزقات الكسر.
(الحمر): وهو عرض سببه كثرة أكل الشعير، وعلامته نتن فيه، وتقل المشي والصدر، ويس الأعضاء ونفاخ، وعلاجه: فصد اليبدين من الحافر مما يلي الشعر، وسعوط الورد والكافور والبنفسج والبابونج.
(الخطل): انحلال العصب بحيث يفارق المفصل مركزه، وسببه: شرب على تعب، وعلاجه: الكي في محله، والضمد بالقوايض، كالغص يجعل عليه نسجاً من الصوف المبروم، ويكون كالشبكة، ويبقى عليه إلى أن يبرأ.
(ريح الجمال): ورم من أصل الفخذ إلى آخر الفخذ إلى آخر الرجل من بخار أو ريح ينضغط بين الأعشية، وعلاجه: الكماد بالنخالة مع العذرة.
(القروح والدبرات): الحاصلة من ميل السرج أو الراكب، علاجها: التنقية والذرورات القابضة كالغص وقشر الرمان والشب والحناء وهو أنفعها، وأنفع من ذلك كله ما يستعمل الآن، وهو التنقية بالماء الحار والصابون ودهنه بزيت الغاز، وينفع أيضاً من الحكمة والجرب، وأكحالها: ملح أندراي نظرون لؤلؤ سكر نبات زنجار حجر مسن محرق دار فلفل نوشادر زعفران كافور توتية، وينفع الاكحجال بما من المغلة والبياض والظفرة.
(طرفة العين): سمن دهن ورد صفار البيض زعفران السموم.
(الدفلى): علاجها: حليب بتمر وشعير، زبل الدجاج السعوط به وشرب سويق النبق والتفاح والكرنب وعصارة الكراث بخل والبستاني منه بنطرون.
(العنكبوت): فصد الحلق وشرب الترياقات، وعلاج شرب حليب العشار يشرب لبن الحمير إلى نصف رطل بقليل من الفلفل الأبيض.

(لحفظ الصحة): تطعم شحم الخطل بالعجين في كل شهر مرة، والملح مع العلف يزيل ضررها ويقوي معلتها وكذا الكسفرة؛ ومما يسمنها إذا كانت هزيلة أن تأخذ ورق الخطمي وتقطعه ناعماً، وتغمره بالماء ثم تنقع فيه الشعير المدشش وتعلقها به إلى أن تسمن، وبعد ذلك تعطى من الشعير الصحيح بعد رشه بماء الخطمي أو الحلبة، وإن وضعت في بيت مظلم أربعين يوماً بشرط أن لا تخرج منه، ولا تمسح ولا تتمرغ، وتعلف من الشعير المطحون ضعف ما كانت تأكله من الصحيح صباحاً ومساءً، وتشرب من الماء ضعف ما كانت تشربه أولاً، سمنت وتفقات شحماً.

تنمة

روى الطبراني في (الأوسط) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من ساء خلقه من الرقيق والصبيان والدواب فاقرؤوا في أذنه: "أغفر الله تبغون. وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً، وإليه ترجعون"، وورد أيضاً أنه يقرأ في أذنها سورة الفلق.
وروي: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه - من وصيته -: يا علي إذا ركبت دابة فقل: بسم الله، الحمد لله الذي أكرمنا وهدانا للإسلام، ومن علينا بمحمد عليه السلام، الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون".

خاتمة في المسابقة وما يتعلق بها وفيها خمسة مطالب

المطلب الأول فيما يدل على فضلها وحسن نيتها في الشرع والسياسة

روي عن أبي أيوب زيد بن خالد الأنصاري رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تحضر الملائكة من اللهو شيئاً إلا ثلاثة: هو الرجل مع امرأته، وإجراء الخيل، والنضال". وعنه صلى الله عليه وسلم: "أحب اللهو إلي إجراء الخيل". وعن مكحول عن وائلة بن الأسقع قال: "أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه الأدهم في خيول المسلمين في الحصب بمكة، فجاء فرسه سابقاً، فجنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبته حتى إذا مر قال: إنه لبحر، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كذب الحطيئة في قوله:

وإن جياد الخيل لا تستفزي ... ولا جاعلات العاج فوق المعاصم

فلو كان أحد صابراً عن الخيل، لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بذلك". وعن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال: "أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل فسبقت على فرس رسول الله (الظرب) فكساني برداً يمانياً، قال: وقد أدركت بعضه عندنا". وعن الزبير بن المنذر عن أبي سعد قال: "سابق أبو أسيد الساعدي على فرس رسول الله اللزاز فأعطاه حلة يمانية". وعن إبراهيم بن الفضل عن أبي العلاء عن مكحول قال: "طلعت الخيل وقد تقدمها فرس النبي صلى الله عليه وسلم، برك على ركبته وأطلع رأسه من الصف وقال: كأنه بحر". وعن مكحول "أنه صلى الله عليه وسلم أجرى الخيل يوماً فجاء فرس له أدهم سابقاً وأشرف على الناس، فقالوا الأدهم الأدهم، وجنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبته ومر به وقد انتشر ذنبه وكان معقوداً، فقال صلى الله عليه وسلم: إنه لبحر". وعن قتادة "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أجرى فرسه مع أبي أيوب رضي الله عنه فسبقه فرس المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: أنا ابن العواتك، إنه هو الجواد البحر" يعني: فرسه.

وذكر ابن بنين (البحر) في خيله صلى الله عليه وسلم، وقال: "كان فرس اشتراه من تجر قدموا من اليمن فسابق عليه مرات، وجنا صلى الله عليه وسلم على ركبته ومسح وجهه، وقال: ما أنت إلا بحر". وقال ابن الأثير كان كميئاً، وإذا كان الفرس لا ينقطع جريه فهو بحر تشبيهاً له بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه. وروي عن أنس بن مالك قال: "كان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس وجهاً وأجود الناس كفاً وأشجع الناس قلباً. خرج وقد فرع أهل المدينة، فركب فرساً لأبي طلحة عرياً، - وكان فرساً بطيئاً - فرجع وهو يقول: لن تراعوا لن تراعوا. ثم قال: إني وجدته بحراً". فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من وصف الفرس بالبحر.

المطلب الثاني فيما اتفق الأئمة على جوازه من أنواعها وما اختلفوا فيه

ذكر الختلي في كتاب (القروسية) من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل وجعل بينهما مجالاً، وقال: لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل" زاد أبو البخري - بالخاء المعجمة - قاضي المدينة المنورة في الحديث كلمة (أو جناح) كذباً. فلما بلغ هارون الرشيد ذلك أمر بدبح الحمام فقبل له: ما ذنبها؟ قال: زيادة (أو جناح) في الحديث كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر أيضاً حديث عبد الله بن نافع عن عمر رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل وراهن". وحديث واصل مولى أبي عيينة عن موسى بن عبيدة قال: "قلت لابن عمر: أكتنم تراهنون على عهد النبي صلى الله عليه

وسلم؟ فقال: لقد راهن على فرس له". وعن أبي لييد قال: "قلت لأتس بن مالك: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراهن على الخيل؟ قال أي: والله لقد راهن على فرس له يقال لها سبحة فسبقت فهش لذلك وأعجبه. وهي فرس شقراء ابتاعها من أعرابي من جهينة بعشر من الإبل؛ وسابق عليها يوم خميس ومد الجمل بيده ثم خلى عنها ومسح عليها، فأقبلت الشقراء حتى أخذ صاحبها العلم، وهي تفر في وجوه الخيل فسميت سبحة الرهان" الجمل: الذي يقع عليه السباق، ويقال لما يوضع في الرهان، والنضال: الخطر، والسبق: - يأسكان الباء - والنرب والقرع والوجب، قال الخطابي: والرواية الصحيحة - بفتح الباء - أي: أن الجمل والعطاء لا يستحق إلا في سباق الخف، أي: ذي الخف، وهي: الإبل أو الحافر، وهي الخيل، أو النصل أي: الرمي بالسهم. وقال أبو الفضل عياض: "لا تجوز المراهنة في غيرهم عند الأئمة الأربعة، وأما الرهان بغيرها فلا يجوز الأكثر". والمسابقة على الأقدام جائزة؛ لمسابقة النبي صلى الله عليه وسلم عائشة، وقد تكون من باب المسابقة المرغب فيها لما فيها من التدريب والتجربة للحاجة إلى السباق على قدميه، كما يحتاج إلى السباق على الخيل، وروي عن عطاء: "السبق في كل شيء جائزة" أي: بغير رهان، وإلا كان من باب الميسر المنهي عنه. وعن سعيد بن المسيب "ليس في رهان الخيل بأس، إذا أدخلوا فيها محملاً، ليس دونها إن سبق أخذ السبق، وإن سبق لم يكن عليه شيء". وعن أبي هريرة: "عن النبي صلى الله عليه وسلم: من أدخل فرساً بين فرسين وهو لا يؤمن أن يسبق فليس بقمار، ومن أدخل فرساً بين فرسين، وقد أمن أن يسبق فهو قمار"، فالخلل: أي الفرس للدخل بين المتسابقين إن كان كفواً يخاف أن يسبقهما فيحز السبق جاز، وإلا فلا، وكان إدخاله بينهما لغواً. وقال القاضي: "لا خلاف في جواز المراهنة في المسابقة إن أخرج الأمير سباقاً يكون للسابق، ولا فرس له بينهما، أو يخرج أسباقاً أحدها للسابق، والثاني للمصلي، والثالث للتالي وهكذا". ويأخذون السبق على ما اشترط، أو أخرج أحد الناس السبق تطوعاً ولا فرس له في الحلبة؛ لأن ذلك من باب التفضل على السابق وإكرامه به. والمتفق على عدم جوازه: أن يخرج كل من المتسابقين سباقاً ويضعاهما عند مؤتمن والسابق منهما يأخذهما فهذا قمار عند مالك والشافعي وسفيان، وأما إذا كان بينهما محلل إن سبق أحرز السبق وإلا فلا شيء عليه فقد أجازته ابن المسيب، وقال بجوازه مالك مرة، والمشهور عنه عدم جوازه وقال الشافعي: إن سبق الخلل أحرز السبق كله وإن سبق أحد المتسابقين أحزره وإن تساويا في السبق كان لكل واحد منهما ما أخرجه، وإن سبق أحدهما الخلل، وتأخر الآخر أحرز السابق سبق التأخر. واختلفوا فيمن أخرج سباقاً وله فرس في الحلبة، واشترط إن سبق حبس سبقه وإن سبق يكون للسابق. فأكثر العلماء أجازته، وهو أحد قولي مالك والشافعي وأبي حنيفة. وقالوا: الأسباق على ملك أربابها وهم فيها على شروطهم، ومنعه مالك في رواية أخرى، وقال: إنما يأخذه من حضر. إن سبق مخرجه، ويجوز السبق على المصارعة. وقد "صارع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركانة بن عبيد بن زيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف حين لقيه بطحاء مكة ومعه غنم له، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم على سبق، ثم سأله العود فصرعه ثانية فأسلم، فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليه غنمه. وأول من حرم القمار في الجاهلية الأقرع بن حابس رضي الله عنه - وهو أحد حكام العرب في الجاهلية، وكان يحكم في كل موسم - واشترط لوضع الرهان في المسابقة: أن

تكون الخيل متساوية في الجنس والعدو، فإن كان أحدهما محقق السبق كان الرهن قماراً. وإدخال الخلل لغو، وذلك كمسابقة العراب غيرها، والمضمرة منها غير المضمرة، وقد ميز النبي صلى الله عليه وسلم ما ضمير في السباق منفرداً عن ما لم يضمير، وتجوز المسابقة فيهما بغير رهان.

روي عن جعفر بن محمد قال: حدثني أبي: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل والإبل". وفي سنة

ست من الهجرة: "سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين الرواحل فسبق فعود لأعرابي ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم تكن تسبق قبلها، فشق ذلك على المسلمين. فقال صلى الله عليه وسلم: "حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه". وفي هذه السنة: "سابق بين الخيل فسبق فرس لأبي بكر رضي الله عنه". وهما أول مسابقة كانت في الإسلام. ذكره غير واحد من العلماء وروى أبو داود بإسناده: "أن النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل، وفضل القرع في الغاية" ويشترط في السباق الأمد.

روي عن موسى بن عقبة عن نافع عن عمر رضي الله عنهما قال: "سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي ضمرت، فأرسلها من الحفيا، - وكان أمدھا ثنية الوداع -؛ فقلت لموسى: وكم بين ذلك؟ قال: ستة أميال أو سبعة. - وسابق بين الخيل التي لم تضمّر فأرسلها من ثنية الوداع، وكان أمدھا مسجد بني زريق - قلت: فكم بين ذلك؟ قال: ميل أو نحوه - . وكان ابن عمر ممن سابق فيها، قال ابن عمر: فجئت سابقاً فطفف بي الفرس أي وثب جدار المسجد وكان جداره قصيراً". الحفيا: - بالمد والقصر - موضع بالمدينة، وثنية الوداع: كذلك، وسميت بذلك لأن الخارج منها يودع مشيعه، والميل: أربعة آلاف ذراع، والفرسخ: ثلاثة أميال، والبريد: ثلاثة فراسخ. ويشترط هذا في مسابقة الإبل أيضاً، ووضع الرهان في الرمي لمن سبق، أو أصاب الغرض جائز. ومسابقة الخيل كانت في الجاهلية وأقرها الإسلام، وهي من باب التدريب لا التعذيب، للاحتياج إليها في الكر والفر، واختلف في التدريب بين الندب والإباحة.

فائدة

روى عبد الله بن المبارك عن سفيان قال: "إذا سبق الفرس بأذنه فهو سابق" وهذا محمول على تساوي أعناقها في الطول والقصر، فإن اختلفت كان السبق بالكاهل.

المطلب الثالث في ترتيب خيل الحلبة وذكر أسمائها

الحلبة - بالتسكين - خيل تجمع للسباق من كل أوب، لا تخرج من موضع واحد، وتجمع على حلائب وحلبات. قال الشاعر:

نحن سبقنا الحلبات الأربعا... الفحل والقرح في شوطٍ معا

وقال سويد بن شداد العسبي يخاطب فرسه:

أناصح أبرز للسباق فإنها... غداة رهان جمعته الحلائب

فإنك مجلوب علي ضحى غد... ومالك إن لم يجلب الله جالب

وقال عتاب بن الأصم:

يا حزم قد جد الرهان بالقدم... ليس عليك اليوم في جري لوم

إن أنت جليت الوجوه ذي اليوم

وموضع المسابقة، يسمى: الميطان، أي: موضع الذي يوطن لترسل منه الخيل، ويسمى: المضمار، قال أبو عبيد الله بن الخطيب:

ما ضربني إن لم أكن متقدماً... فالسبق يعرف آخر المضمار

ولأن غدا ربع البلاغة بلقعا... فلرب كنز في أساس جدار

والمبنى والمبدأ: هي غاية مدى السبق المتفق عليه، ويقدرونه بالغوات قال غيلان الربع:

أمسوا فغادرهن حول المطاء ... بميتين بغلا الغلاء

والغلاة: منتهى غاية المريح، وهو سهم خفيف يوضع في القوس ويرمى به، بشرط أن يرفع راميه يديه بقدر ما أمكنه، ويضعون السبق على رؤوس قصب الرماح عند منتهى الغاية.

روي أن سعيد بن العاص سابق بين الخيل في الكوفة فجعلها مئة قصبه، وجعل لأخيرها قصبه ألف درهم. ومنه قولهم: (حاز فلان قصب السبق) أو: يبنون في منتهى الغاية بناء يشبه المارة، ويضعون السبق عليه ويسمونه: (الطربال)، قال دكين:

حتى إذا كان دوين الطربال ... رجعن منه بصهيل صلصال

مطهم الصورة كالتمثال

وينصبون قبل إرسال الخيل حبلاً يسمونه: (المقوس) يجعل في صلورها لتكون متساوية عند الإرسال، قال الشاعر:

إن البلاء لدى المقوس مخرج ... ما كان من عيب ورجم ظنون

وقال المتنبى:

وما الخيل إلا كالصديق قليلة ... وإن كثرت في عين من لا يجرب

إذا لم تشاهد غير حسن شيأها ... وأعضائها فالحسن عنك مغيب

أي: أن منزلة الخيل من الإنسان كمنزلة الصديق، فالجواد منهل قليلة وإن كثرت في العدد عند من لم يجربها، وعند الامتحان يكرم الشيء أو يهان. وفي الحديث: "الخيال تجري بأعراقها وعنقها، فإذا وضعت على المقوس جرت مجدود أربابها"، وفي الطلب: على إقبال فرسانها، وفي الهزيمة: على آجالهم، ومن الأمثال: (عند الرهان تعرف السوابق). وقال الشاعر:

ولا يسبق المضمار في كل موطن ... من الخيل عند الجد إلا عرابها

وقد "هى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلب والجنب في المسابقة"، والجلب: أن يتبع الرجل فرسه، فغن قرب من الغاية زجره و جلب عليه، وهذا مما يعين الفرس على الجري. والجنب: أن يجنب مع الفرس الذي سابق عليه فرساً

آخر، فيرسل حتى إذا دنوا تحول راكبه على الفرس المجتوب، فأحرز السبق. والأول: من نوع الخديعة وكانوا يرسلون خيل الحلبة عشرة عشرة ولكل واحد منها اسم، فالأول: المجلس ثم المصلي ثم المسلمي ثم التالي ثم المرتاح ثم

العاطف ثم المؤمل ثم الخطي ثم اللطيم ثم السكيت - بتشديد الكاف، وقد تحفف - وقال الجاحظ: كانت العرب تعد السوابق ثمانية ولا تجعل لما وراءها حظاً. فأولها: السابق، ويسمى: متجرداً؛ لأنه انجرد من الحلبة وتقدمها، ثم

المصلي، ثم المقفي، ثم التالي، ثم العاطف، ثم المزمر، ثم البارع، ثم اللطيم، وما جاء بعد ذلك لا يعتد به. وكانت

العرب تلتطم وجه التاسع وإن كان له حظ. وقال أبو عبيدة: لم نسمع في سوابق الخيل ممن يوتق بعلمه أسماء لشيء منها، إلا المصلي للثاني، والسكيت للعاشر، وما سوى ذلك يقال له: الثالث والرابع وهكذا إلى التاسع، وحكى

المسعودي قال: جاء غلام الرقي إلى المقيي بالله العباسي فتحدثا واتصل الحديث بأخبار الخلاب ومراتب الخيل فيها فقال الغلام: يا أمير المؤمنين أذكر لك قولاً جامعاً أخبرني به كلاب بن حمزة العقيلي قال: كانت العرب ترسل خيلها

عشرة عشرة أو أسفل، والقصب تسعة، ولا يدخل الحجر المحجر إلا ثمانية، وهذه أسماءها: الأول السابق: وهو

الجلبي؛ لأنه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة، والثاني: المصلي؛ لأنه وضع جحفة على قطة الجلبي،

وهي صلاته، والصلاة: عجب الذنب، والثالث: المسلمي؛ لأنه سلى عن صاحبه بعض همه، والرابع: لأنه تلى المسلمي،

والخامس: المراتح مأخوذ من راحة الكف؛ لأن فيها خمس أصابع والعربي إذا أوماً إلى خمسة من العدد فتح يده وفتح أصابعه، فالخامس: مثل خامسة الأصابع. والسادس: حظياً، فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم السادس قصبة. ذكر ابن بنين: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل على حبل أثنه من اليمن، فأعطى السابق ثلاث حلل، والمصلي حلتين، والثالث حلة، والرابع ديناراً، والخامس درهماً، والسادس قصبة. وقال: بارك الله فيك وفي كلكم وفي السابق". ويسمون السابغ: العاطف؛ لأنه قد عطف بشيء وإن قل ودخل المحجرة، أي: الخطيرة التي اتخذوها لدخول السابق منها، والثامن: المؤمل تفاقلاً، كما يسمون القلاة: مفازة، والديع: سليماً، لأنه يؤمل سبقه حيث قرب من بعض ذوات الحظوظ، والتاسع: اللطيم؛ لأنه لو رام الحجرة للطم دونها. والعاشر: السكيت؛ لأن صاحبه يسكت حزناً وحياءً، وكانوا يجعلون في عنق السكيت حبالاً، ويجعلون عليه قرداً، ويعطون للقرود سوطاً، فيركضه تعبيراً لصاحبه، قال الوليد بن حصين الكلبي:

إذا أنت لم تسبق وكنت مخلفاً ... سبقت إذا لم تدع بالقرود والحبل

وإن تك حقاً بالسكيت مخلفاً ... فتورث مولاك المذلة بالنبل

وأشر بقوله: (فتورث مولاك المذلة بالنبل) إلى ما يفعله البعض من رمي السكيت بالنبل حتى ينجعف، كما يفعل النعمان بن المنذر بفروسه النهب، وكانوا يمسخون وجه السابق. قال ابن عبد ربه:

وإذا جياذ الخيل ما طلها للمدا ... وتقطعت في شأوها المبهور

فالووا عناني في الحلائب وامسحوا ... مني بغرة أشقر مشهور

وقال جرير:

إذا شئتم أن تمسحوا وجه سابق ... جواد فمدوا في الرهان عنانيا

وقال كلاب بن حمزة: لم نعلم أحداً من العرب في الجاهلية والإسلام وصف خيل الحلبة العشرة بأسمائها وصفاتها ومراتبها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بقوله:

شهدنا الرهان غداة الرهان ... بجمعية ضمها الموسم

نقود إليها مقاد الجميع ... ونحن بصنعتها أقوم

غدونا بمقوورة كالمقداح ... غدت بالسعود لها الأنجم

مقابلة نسبة في الصريح ... فها هي للأكرم الأكرم

فمنهن أحوى طمر أعر ... يفوت الخطوط إذا يلجم

تلاً في وجهه قرحة ... كأن تالؤها المرزم

ومنها كميته بمي الصفات ... وأشقر ذو غرة أرثم

وأدهم ليس له غرة ... لقد حاز من فضلها الأدهم

فقيدت لمدخور ما عندها ... لمنتظري أهما تنجم

عليهم سحم صغار الشخوص ... وكالأسد صوتاً إذا تنجم

كأهم فوق أثابجها ... زراير في نعف حوم

فصفت على الحبل في محضر ... يلي أمره ثقة مسلم

تراضوا به حكماً بينهم ... فباحق بينهم بحكم

وربك بالسبق عن ساعة ... من الناس كلهم أعلم

فقللت ونحن على جدة ... من الأرض نيرها مظلم
لقد فرغ الله مما يكون ... ومهما يكن فهو لا يكتم
فأقبل في إثرنا نافر ... كما يقبل الوابل المنجم
وأتبع فوضي مرفضة ... كما أرفض من سلكه المنظم
أو السرب سرب القطا راعه ... من الجو شواذنق أظلم
فواصل من كل سقط له ... كأن عنايبها العنم
وللمرء من قدح ما تستثير ... سنا بكهن سنا يحزم
فجلى الأغر وصلّى الكميت ... وسلى فلم يذمم الأدهم
وأردفها رابع تاليا ... وأين من المنجد المتهم
وما ذم مرتاحها خامساً ... وقد جاء يقدم ما يقدم
وجاء الحظي لها سادساً ... فأسهم حصته المسهم
وسابعها العاطف المستحير ... يكاد لخيرته يحرم
وجاء المؤمل فيما نجيب ... وغنى له الطائر الأشيم
حذى سبعة وأتى ثامناً ... وثامنه الخيل لا تسهم
وجاء اللطيم لها تاسعاً ... فمن كل ناحية يلطم
يخبب السكيت على إثره ... حياؤه من خزيه أعظم
كأن جوانبه بين ذي ... جهانة نيط بها قمقم
على ساقه الخيل يعدو به ... مليماً وسائسه ألوم
إذا قيل من رب ذا لم يجب ... من الخزي بالصمت مستعصم
ومن لا يقدر للحلاب الحياض ... وشيكاً لعمرك إن ينلم
وما ذو اقتضاب لخمولها ... كمن ينتميتها ويستلزم
فرحنا بسبق شهرنا به ... ونيل به الفخر والمغنم
وأحرزنا عن قصبات الرهان ... رغائب أمتالها تقسم
بروداً من القصب موشية ... وأكيسة الخز والملمم
فراحت عليهن منشورة ... كأن حواشيهن الدم
ومن ورق صامت بدرة ... ينوء بها الأغلب الأعصم
ففضت لهن خواتيمها ... وبدرتنا الدهر لا تخم
نوزعها بين خدامها ... ونحن لها منهم أخلم
وإنا لنرتبط المعربا ... ت في اللدنات فلا ترزم
نعدها اخض بعد التليث ... كما يصلح الصبية المطعم
ونخلطها بصميم العيال ... بمن لم يخب وهو الحرم
مشاربها الصافيات العذاب ... ومطعمهن هو المطعم
فهن بأكناف أبياتنا ... صوافهن يصلهن أو حزم

ونظمها الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي بقوله:
قالوا الجلي أول ثم المصلي بعده ... ثم للمصلي ثالث والتالي طرف رابع
والخامس المرتاح ثم عاطف سادسهم ... ثم الحظي بعده وهو الجواد السابق
والثامن مؤمل ثم اللطيم تاسع ... سكتيهم عاشرهم أهلة طوالع
فكلهم آخريهم فلا يعد فيهم=إن الجلي أول وتسعة توابع ثم قال: انحفظ عن العرب السابق ثم المصلي والسكيت
الذي هو العاشر، والسابق هو الأول وهو الجلي والمبرز، وسائر ما ذكر من الأسماء؛ فإن بعض الحفاظ من أهل اللغة
قال: أراها محدثة، والله أعلم.

المطلب الرابع فيما ورد فيها عن الملوك والأمراء

اعلم أن أكثر ما يتفاخرون باقتنائه ويتباهون بالاعتناء به، ارتباط كرائم الخيل يجلبونها من الآفاق، ويسبرون عناقها
بحسن السباق، ويتخذون طراد الحلبة ميدان مراحلهم ومضمار انشراحهم، ويحتفلون ليومه، ويستدعون لشهوده
الأعيان، ويستحضرون لمشاهدته ذوي الخبرة والفرسان. ولا ريب في أن الملوك بهذه الوسيلة يتوصلون إلى حماية
ملكهم إذ لا يحامي عنه إلا كل شجاع جواد على متون الصافنات العناق فيها يملؤون قلوب الأعداء رعباً،
ويذيقونهم نكال الحرب طعنًا وضرباً.

ذكر أبو الفرج الأصبهاني أن المهدي العباسي أجرى الخيل فسبقها فرسه الغضبان، فطلب الشعراء فلم يجد منهم
أحداً غير أبي دلالة، فقال له: قلده يا يزيد، فقلده عمامته ليضحكه بذلك، فقال له المهدي: يا ابن الخنا أنا أكثر
منك عمام، إنما أردت أن تقلده شعراً، ثم قال: يا فلفي على العماني، فأحضره فقال له: قلده فرسي هذا فقال:
قد غضب الغضبان إذ جد الغضب ... وجاء يحمي حسياً فوق الحسب
من إرث عباس بن عبد المطلب ... وجاءت الخيل به تشكو النصب
له عليها ما لكم على العرب

فقال المهدي: أحسنت والله! وأمر له بعشرة آلاف درهم. وقال ابن الأعرابي: أجرى هارون الرشيد خيله فجاء
فرسه المشمر سابقاً، وكان معجباً به، فأمر الشعراء أن يصفوه فقال أبو العتاهية:

جاء المشمر والأفراس يقدمها ... هوناً على رسله منها وما انبهر
وجاء الريح حسرى وهي جاهدة ... ومر يحتطف الأبصار والنظرا

وذكر المسعودي: أن الرشيد أجرى الخيل، فلما أرسلت صار إلى مجلسه في صدر الميدان حيث توافى إليه الخيل،
فكان في أوائلها سوابق من خيله، يقدمها فرسان في عنان واحد، لا يتقدم أحدهما على صاحبه فتأمل أحدهما فقال:
فرسي والله، ثم تأمل الآخر فقال: فرس ابني المأمون. فكان فرسه السابق وفرس المأمون ثانياً فسر بذلك. فلما
انقضى المجلس وهم بالانصراف، قال الأصمعي: - وكان الفضل بن الربيع حاضراً - فقلت: يا أبا العباس! هذا
يوم من الأيام، فأحب أن توصلني إلى أمير المؤمنين. فقام الفضل وقال: يا أمير المؤمنين هذا الأصمعي يذكر شيئاً من
الفرسين يزيد الله بن أمير المؤمنين سروراً، فقال: هاته فلما دنا قال: ما عندك يا أصمعي؟ قال: يا أمير المؤمنين كنت
وابنك اليوم والفرسين كما قالت الخنساء:

جارى أباه فأقبلا وهما ... يتعاوران ملاءة الحضر

حتى إذا بدت القلوب وقد ... لزت هناك القدر بالقدر

وهما كأنهما وقد برزا ... صقران قد حطا على وكر
برزت صحيفة وجه والده ... ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه ... لولا جلال السن والكبر
وذكر المقرئ: أن العزيز بالله سابق بين الطيور، فسبق طائر الوزير يعقوب طائر العزيز، فشق ذلك على العزيز،
ووجد أعداء الوزير سبيلاً إلى الطعن فيه، فكتبوا إلى العزيز أنه قد اختار من كل صنف أعلاه، ولم يترك لأمر
المؤمنين إلا أدناه حتى الحمام فبلغ ذلك الوزير فكتب إلى العزيز:
قل لأمر المؤمنين الذي ... له العلا والمثل الثاقب
طائر السابك لكنه ... لم يأت إلا وله حاجب
فأعجب العزيز ذلك، ولم يلتفت للواشي. وقال ابن ظافر: ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للنزهة بظاهر
إشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه: فلما أبعده أخذ في المسابقة فجاء فرسه بين البساتين سابقاً فرأى شجرة
تين قد أينعت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت، فسدد إليها عصا كانت بيده فأصابها وثبتت على أعلاها، فأطربه
ما رأى من حسننها وثباتها، ثم التفت إلى ابن جامع الصباغ فقال له أجز:
كأنها فوق العصا فقال ... هامة زنجي عصى
فزاد سروره بحسن ارتجاله وأجزل جائرته. وقال الوزير عبد الغفور الكاتب يصف فرساً أشهب للأمر يحيى بن سير
جاء سابقاً:

يا ملكاً لم يزل قديماً ... بكل علياء جد وابق
وسابقاً في الندى أتتنا ... جياده في المدى سواقي
لله منها أسيل خد ... أهريت شدقيه كالجواقي
حديد قلب حديد طرف ... ذو منكب يشبه البواسق
ذو جشة في الصهيل دلت ... منه على أكرم الخلاق
أشهب كالرجع مسطير ... كأنه الشيب في المفارق

خب غداة الرهان حتى ... أجهد في إثره البوارق
ما أنس لا أنس إذ شالها ... مشربات مثل البواشق
وبدها شرباً عتاقاً ... لم ترض عن خصرها العواتق
فقمم يمسحن منه رشحاً ... مطيبات به المخاقق
أفديه من شافع لبيض ... قد كن عن بغي عواتق
أنضع منه لرأي عيني ... سود عذار الفتى العراقق

وحكي أن الحجاج كتب إلى قتيبة بن مسلم، أنه قد اجتمعت جياد خيل العرب بخراسان فكتب إلى أهل الكور
وأمرهم بإجراء الخيل وابعث إلي بسوابقها. فبعث إليه بفرسه الأشقر والرؤاسي وهما أبناء الحميراء، فجاءت بهما
رسله، فعرض لهما لص يسمى أشكاب، فسرق الأشقر وجاؤوا بالرؤاسي إلى عبد الملك بن مروان فاستوهبه منه
أخوه بشر فوهبه إياه. فكانت خيل بشر من بناء الرؤاسي، وهي سوابق الخيل في العراق. وحكي أن بشراً سابق
بفرسه من بنات الرؤاسي خيل يوسف بن عمر فسبقها فشق عليه ذلك. وبعد مدة قيل ليوسف بن عمر ألا تجري
الخيل؟ فقال: الآن ابعثني وابعث بالسبق إلى عبد الملك، لأن بشراً حمل بعض الرؤاسي على بعض، فرققن وضعفن،

والزائدية أغلظ منها وأقوى، وسمي الرؤاسي لأن رجلاً من سليم يسمى عبد الملك رأس استوهب ما في بطن الحميراء من معقل بن عروة فوهبه إياه. فلما وضعته أعجب معقل، فقال لعبد الملك: دعه وأهب لك ما شئت، فأبي فقال معقل: إذن لا ألبؤه لك فقال: هاته. فأخذه واشترى له برزونة، حين وضعت فألبأه منها ثم خدمه حتى أجدع، فأرسله في الحلبة فلم يصنع شيئاً ثم أثنى فأرسله في الحلبة فلم يصنع شيئاً. فأعاره إلى رجل من دهاقين خراسان، فابتذله فانسب أي رجع إلى نسبه ونزع إلى عرقه بعد ما أربع، فكان سابقاً لا يجارى، وكان معقل خبيراً بالخيل، فإذا أجريت استدبرها فأبها كان أدنى سنيكاً من الأرض سابق عليه، فالزائدية سوابق خيل الشام، والرؤاسية سوابق خيل العراق. وحكى المسعودي: أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان مغرمًا بالخيل وجمعها للحلبة؛ وكان فرسه السندي جواداً سابقاً إلا أنه يقصره في الحلبة عن فرس هشام المعروف بالزائد. وربما جاء معه مصلياً، فأجرى الوليد الخيل يوماً بالرصافة، وكانت الحلبة ألف قارح، فوقف بها ينتظر الزائد ومعه سعيد بن العاص، وكان جواده المصباح فيها فلما طلعت الخيل قال الوليد:

خيلى ورب الكعبة الخرمة ... سبقن أفراس الرجال اللومة

كما سبقناهم وحزنا المكرمه

فأقبل فرس يسمى الوضاح أمام الخيل فلما دنا صرع فارسه وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه فقال سعيد:

نحن سبقنا اليوم خيل اللومه ... وصرف الله إلينا المكرمه

كذاك كنا في الدهور المقدمه ... أهل العلا والرتب المعظمه

فضحك الوليد لما سمعه، وخشي أن يسبق فرس سعيد فركض فرسه حتى ساوى الوضاح، فقذف بنفسه عليه ودخل سابقاً. ثم عرضت على الوليد الخيل في الحلبة الثانية، فمر به فرس لسعيد فقال: لا نسايقك أبا عنيسه وأنت القائل: (نحن سبقنا اليوم خيل اللومه) فقال سعيد: ليس كذا يا أمير المؤمنين، وإنما قلت (نحن سبقنا اليوم خيلاً لومه) فضحك الوليد وضمه إلى نفسه وقال: لا علمت قريش أحاً مثلك. وقال الأصمعي: حدثني ابن قتب قال: قدم أعرابي من أهل نجد على الوليد بن عبد الملك وقد ضمير الخيل للمسابقة، فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين أريد أن أرسل خيلى مع خيلك، فقال: كيف تراها فقال: حجازية لو ضمها مضمارك ذهبت. فقال له الوليد: ما اسمك؟ قال: أسيلم بن الأحف، فقال له: إنك لمنقوص الاسم أعوج اسم الأب. ثم أرسلت الخيل فسبق الأعرابي على فرسه حزمة. فقال له الوليد: أواهبها أنت لي؟ قال: إنها قديمة الصحبة ولها حق، ولكني أحملك على مهر لها قد سبق عاماً أول، وهو في بطنها له تسعة أشهر والمهر إذا أتت عليه عشرة أشهر في بطن أمه ربض، أي: تحرك. وقال أيضاً: كان ابن هشام بن عبد الملك يعتني بشأن الخيل حتى أن خيله لا تكاد تسبق فسبقت له فرس وصلت أختها ففرح بذلك، وقال: علي بالشعراء، قال أبو النجم فدعينا له فقال: قولوا في هذه الفرس وأختها. فطلب الشعراء منه المهلة، وقلت مرتجلاً:

أشاع للغراء فينا ذكرها ... قوائم عوج أطعن أمرها

وما نسينا بالطريق مهرها ... حين تقيس قدره وقدرها

وصبره إذا عدا وصبرها ... والماء يعلو نحره ونحرها

مملومة شد المليك أسرها ... أسفلها وبطنها وظهرها

قد كان هاديتها يكون شطرها

قال أبو النجم: فأمر لي بجائزة وانصرف القوم. وقال أيضاً:
ثم سمعنا برهان نأمله ... قيد له من كل أفق جحفه
فقلت للسائس قد أعجله ... علواً ولعناً في الرهان نرسله
نعلو به الحزن ولا نسهله ... إذا علا الأخشب صاح جند له
ترنم النوح يبكي مثكله ... كان في الصوت الذي يفصله
زمار دف يتغنى جلجله ... حتى وردنا للمصر يطوي قبيله
طي التجار العصب إذ تنخله ... وقد رأينا فعلهم فنفعله
وأبع الأيدي منه أرجله ... قمنا على هول شديد وجله
نمد جبلاً فوق خط نعد له ... نقول قدم ذا وهذا أدخله
وقام مشقوق القميص يعقله ... فوق الحماسي قليلاً يفصله
أدرك عقلاً والرهان عمله ... حتى إذا أدرك خيلاً مرسله
ثار عجاج مستطير قسطله ... تنفش منه الخيل ما لا تغزله
مرا يغطيها ومرا تجعله ... مر القطا صب عليه أجده
وهو رخي البال سام دهله ... قدامها ميلاً لمن يمتله
تطيره الحن وحيناً ترجله ... تسبح أخراه ويطفو أوله
ترى الغلام ساجياً ما تركله ... تعطيه ما شاء وليس يسأله
كأنه من زبد تسربله ... في كرسف النداف لولا بلله
تخال مسكاً عله معلله ... ثم تناولنا الكلام نشرله
عن مقرع الكتفين حلو عطله ... منتفخ الجوف عريض كلكله
فوافت الخيل ونحن فشكله ... والجن عكاف به تقبله

ومما أدرك عليه قوله: "تسبح أخراه ويطفو أوله" مع أنه كان وصافاً للخيل، لأن اضطراب مؤخره قبيح. قال الأصمعي: إذا كان الفرس كذلك، فحمار الكساح أسرع منه، وإنما الوجه فيه ما قيل في وصف فرس أبي الأعور السلمي:

مر كلمع البرق سام ناظره ... يسبح أولاه ويطفو آخره
فما يمس الأرض منه حافره

وقال المسعودي: إن هشاماً كان يستجيد الخيل وأقام الحلبة مرة، فاجتمع فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس، ولم يسمع بمثل ذلك جاهلية ولا إسلاماً. ونقل الأصمعي: أن الرشيد ركب في سنة خمس وثمانين ومئة إلى الميدان لشهود الحلبة، فدخلت فيمن شهدها من خواص أمير المؤمنين والحلبة يومئذ أفراس الرشيد ولولديه الأمين والمأمون وسليمان بن أبي جعفر المنصور، وعيسى بن جعفر، فجاء الأدهم فرس الرشيد سابقاً. فظهرت علامة السرور بوجهه، وقال عليٌّ بالأصمعي. فأقبلت سريعاً حتى مثلت بين يديه فقال: خذ بناصية هذا الريد، ثم صفه من قونسه إلى سنبكه، فإنه يقال أن في الخيل عشرين اسماً من أسماء الطير، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، وأنشدك شعراً جامعاً من قول أبي حرزة قال: فأنشد لله أبوك، فأنشدته:

وأقب كالسرحان تم له ... ما بين هامته إلى النسر

رحبت نعامته ووقر فرخه ... وتمكن الصردان في النحر
وأناف في العصفور في سعف ... هام أشم موثق الجندر
وازدان بالديكين صلصله ... ونبت دجاجته عن الصلر
والناهضان أمر حلزهما ... فكأثما عثما على كسر
مسحفر الجنين ملتئم ... ما بين شيمته إلى الغر
وصفت سماناه وحافره ... وأديمه ومنابت الشعر
وسما الغراب لموقعيه معاً ... فأين بينهما على قدر
وتقدمت عنه القطة له ... فنأت بموقعها عن الحسر
واكتن دون قبيحه خطافه ... ونأت ثمامته عن الصقر
وسما على نقويه دون حدائه ... خربان بينهما مدى الشبر
يدع الرزيم إذا جرى قلقاً ... بقوائم كمواسم سمر
ركبن في محض الشوى سبط ... كفت الوقوب مشدد الأسر

الأقب: الضامر، والسرحان: الذئب، والهامة: أعلى الرأس، والنسر: لحمة في باطن الحافر، وهما اسم طائرين،
والنعامة: جلدة الرأس، والفرخ: مقدم الدماغ، والصدردان: عرقان ملتفان في باطن اللسان، وبياض يكون في الظهر
من أثر الدبر، وهما من أسماء الطير، والعصفور: أصل منبت الناصية، وعظم ناتئ في الجبين، والغرة إذا سالت ورقت
ولم تتجاوز العينين، وهو اسم طائر، والسعف: سيلان الناصية، وهام: انتشر، والأشم: المرتفع، والموتق: الحديد
القوي، والجندر: الأصل من كل شيء، والديكان: عظمان ناتئان خلف الأذنين، والصلصل: بياض في طرف
الناصية، والدجاجة: لحمة زوره، والناهض: لحم العضد من أعلاه، واسم لفرخ الطائر الذي وفر جناحه. وقوله (أمر
حلزهما): أي أحكم فتلهما، وعثما: أي جرى، والمسحفر: المنتفخ، والمثلثم: المعتدل، والشيممة: المنخر، والفر:
عضلة الساق، وهي اسم الرحمة والسماي: الدائرة التي في صفحة العنق، وهو اسم طائر يشبه الخطاف، والغراب:
رأس الورك، ويقال للصليلان: غرابان، وهما مكتنفا عجب الذنب، والقطة: مقعد الردف، وهي من أسماء الطير،
والحر: سواد في ظاهر الأذنين، وهو اسم ذكر الحمام، والخطاف: ما أدرك عقب الفارس إذا حرك رجله، ويقال له:
المركن، وهو اسم طائر، والصقر: دائرة خلف موضع لبد الدابة، وهو اسم طير، والنقم: عظم الورك، واسم ذكر
الحبارى، والحدأة: سالفة القرس، وهي اسم طائر، والرقيم: الحجارة، والتوائم: الحوافر، والموسم: موسم الحديد
شبهها به في الشدة، والشوى: القوائم.

ونظمها جلال الدين السيوطي فزادت على الثلاثين بقوله:

الفرخ والناهض والنعامة ... والصقر واليعسوب والحمامه
والنسر والعصفور ثم الهامة ... والديك والكرسوع والسماه
والصر والفراش والغراب ... والخراب والفرقة والذباب
والزرق والصلصل والسحاة ... والساق والخطاف والقطة
والحر والأسقع والسعدانه ... والجراد والعقاب والسماه
كذلك ثم حدأة وورشان ... ومثله رحمة إنسان
هذا تمام نظمي المهذب ... والحمد لله بنيل المطلب

وقال أبو سراج الضبي إن صرد بن شداد البربوعي عم مالك بن نورة سابق أبا سراج على فرس له تسمى بدوة،
وفرس صرد تسمى: القطيب فسبق أبو سراج وقال:
ألم تر أن بدوة إن جرينا ... وجد الجدو منا والقطيبا
كأن قطيبهم يتلو عقاباً ... على الصلعاء رازنة طلوبا
ثم سرى الشر بينهما إلى أن احتال أبو سراج على صرد وسقاه منيَّ عبدٍ له في عس حلب عليه فشربه، فانفخ
فمات.

قال الأخطل فيهم:

يعب الخمر وهي شراب كسرى ... ويشرب قومك العجب العجيبا
ميَّ العبد عبد أبي سراج ... أحق من المدامة أن تعيبا
وقال العلامة أبو عبد الله محمد بن يوسف النخعي كاتب سلطان تلمسان من أعمال الجزائر، أبي هو موسى بن
يوسف الزياتي يصف حلبة جياده:

قم مبصراً زمن الربيع المقبل ... تر ما يسر الجنني واجتلي
وانشق نسيم الروض مطولاً وما ... أهداك من عرف وعرف فاقبل
وانظر إلى زهر الرياض كأنه ... در على لبات ربات الحلبي
في دولة فاضت يداها بالندی ... وقضت بكل منى لكل مؤمل
بسطت بأرجاء البسيطة عدنها ... وسطت بكل معاند لم يعدل
سلطانها المولى أبو هو الرضا ... ذو المنصب السامي الرفيع المعتلي
تاهت تلمسان بلولته على ... كل البلاد بحسن منظرها الحلبي
راقت محاسنها ورق نسيمها ... فحلا بها شعري وطاب تغزلي
عرج بمنعرجات باب جيادها ... وافتح بها باب الرجاء المقل
ولتغدو للعباد منها غدوة ... تضحي هموم النفس عنك بمعزل
وضريح تاج العارفين شعبيها ... زره هناك فحبذا ذاك الولي
فمزاره للدين والدنيا معاً ... تمحي ذنوبك أو كربوك تنجلي
وبكهنفها الضحاك قف متنزهاً ... تسرح نفوسك في الجمال الأجل
وتمش في جناحها ورياضها ... واجنح إلى ذاك الجناح المنخصل
يسليك في دوحاتها وتلاعها ... نغم البلايل واطراط الجلول
وبروية العشاق سلوة عاشق ... فتننت وألحاظ الغزال الأكحل
بنواسم وبواسم من زهرها ... تهديك أنفاساً كعرق المندل

فلو امرؤ القيس ابن حجر زارها ... قدماً تسلي عن معاهد ماسل
لو حام حول فنائها وظيفاتها ... ما كان محتفلاً بجومة حومل
فاذكر لها كلفي بسقط لوائها ... فهو اي عنها الدهر ليس بمنسل
كم جاد فيها الزمان بمطلب ... جادته أخلاق الغمام المسبل
واعمد إلى الصفصيف يوماً ثانياً ... وبه تسل وعنه دوماً فاسأل

وإذا تراه من الأزاهر خالياً ... أحسن بعه عطلاً وغير معطل
ينساب كالإثم انسياً دائماً ... أو كالحسام جلاه كف الصيقل
فزلاله في كل قلت قد حلا ... وجماله في كل عين قد حلي
واقصد بيوم ثالث فوارة ... وبعذب منهلهها المبارك فأنهل
تجري على در لجيناً سائلاً ... أحلى وأعذب من رحيق سلسل
وأشرف على الشرف الذي يزاها ... لتري تلمسان العلية من عل
تاج عليه من الخاسن بهجة ... أحسن بتاج بالبهاء مكلل
وإذا علشية شمسها مالت فمل ... نحو المصلى ميلة المتمهل
وبلعب الخيل القسيح مجاله ... أجل النواظر في العناق الجفل
فلحلبة الأشراف كل عشية ... لعب بذلك الملعب المتسهل
فترى انجلي والمصلي خلفه ... وكلاهما في جريه لا يأتي
هذا يكر وذا يفر فيثني ... عطفاً على الثاني عنان الأول
من كل طرف كل طرف يستبي ... قيد النواظر قنتة المتأمل
ورد كأن أديمه شفق الدجى ... أو أشهب كشهاب رجم مرسل
أو أحمر قاني الأديم كعسجد ... أو أشقر يزهو بعرف أشعل
أو من كميت لا نظير لحسنه ... سام معم في السوابق محول
أو أدهم كالليل إلا غرة ... كالصبح بورك من أغر محجل
جمع الخاسن في بديع شباته ... مهما ترق العين فيه تسفل
عقبان خيل فوقها فرسانها ... كالأسد تنقض انقضاض الأجدل
فرسان عبد الواد آساد الوغى ... حامو الذمار أولو الفخار الأطول
فإذا دنت شمس الأصيل لغربها ... فألى تلمسان الأصيلة فادخل
من باب ملعبها لباب حديدها ... متزهاً في كل ناد أحفل
وتأن من بعد الدخول هنيهة ... واعدل إلى قصر الإمام الأعدل
فهو المؤمل والديار كناية ... والسر في السكان لا في المنزل
وقال الوزير أبو عبد الله بن زمرك الكاتب في وصف جياد السلطان الغني بالله:
لك الجياد إذا تجري سوابقها ... فللرياح جياد ما تجاربيها
إذا انبرت يوم سبق في أعنتها ... ترى البروق طلاحاً لا تباربيها
من أشهب قد بدا صباحاً تراع له ... شهب السماء فإن الصبح يفخبيها
إلا التي في لجام منه قيدها ... فإنه سامها عزاً وتوئبيها
أو أشقر مرعب شقر البروق وقد ... أبقى لها شففاً في الجوتنيها
أو أحمر حمرة في الحرب متقد ... يعلو لها شرر من بأس مذكيها
لون العقيق وقد سال العقيق دماً ... يعطفه من كماء كاد يدميها
أو أدهم ملء صدر الليل تنعله ... أهلة فوق وجه الأرض يبيديها

إن حارت الشهب ليلاً في مقلده ... فصيح غرته بالنور يهديها
أو أصفر بالعشيات ارتدى مرحاً ... وعرفه بتمادي الليل يبيها
مؤه بنضار تاه من عجب ... فليس يدعم تنويهاً ولا تيهها
وقال ابن الأحرر من قصيدة بمدح بها السلطان الغني بالله ويذكر جياد خيله:
والعاديات إذا تلت فرسانها ... آي القتال صفوفها تترتل
لله خيلك إنما لسوابح ... بحر القتام وموجه متهيل
من كل برق بالثريا ملجم ... بالبدر يسرج والأهله يعل
أوفى بهادٍ كالظلم وخلفه ... كفل كما لاح الكثيب الأهيل
هن البوارق غير أن جيادها ... عن سيق خيلك يا مؤبد تنكل
غداة غدت من أبلق ومجزع ... وورد ويحموم وأصدى وأشقرا
ومن أدرع قد قنع الليل حالكاً ... على أنه قد سربل الصبح مسفرا
وأشعل وردي وأصفر مذهب ... وأدهم وضاح وأشهب أقمرا
وذي كمتة قد نازع الخمر لوها ... فما تدعيه الخمر إلا تنمرا
محجلة غراً وزهراً نواصعاً ... كأن قباطياً عليها منسرا
وأدهماً إذا استقبلن كأنما ... عللن إلى الأرساغ مسكاً وعنبرا

يقر بعيني ما أرى من صفاتها ... ولا عجب أن يعجب العين ما ترى
أرى صوراً يستعد النفس مثلها ... إذا وجدته أو رأته مصورا
أفكه منه الطرف في كل شاهد ... لأن دليل الله في كل ما ترى
وقال البحري يصف حلبة المتوكل على الله العباسي:
يا حسن مبدى الخيل في بكورها ... تلوح كالألجم في ديجورها
كأنما أبدع في تشهيرها ... وصور الحسن على تصويرها
تحمل غرباناً على ظهورها ... في السرقة المنقوش من حريرها
إن حاذروا النبوة من نفورها ... أهلوا بأيديهم إلى نخورها
كأنها والحبل في صدورها ... أجادل ينهض في سيورها
مرت تباري الريح في مرورها ... والشمس قد غابت ضياء نورها
والرهج الواسع من تلويرها ... حتى إذا أصغت إلى مديرها
وانقلبت تمبط في حلورها ... تصوب الطير إلى وكورها
في حلبة تضحك عن بدورها ... صار الرجال شرفاً لسورها
أعطي فضل السبق من جمهورها ... من فضل الأمة في أمورها
المطلب الخامس في أسماء خيل النبي صلى الله عليه وسلم والمشهور من خيل العرب

اعلم أن العرب لختيهم بالخيال واعتنائهم بها، يضعون لها أسماء كما يضعونها لأولادهم، وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم أسماء لبعض خيله فمنها: السكب، روى ابن سعد عن الواقدي عن أبي خيثمة عن أبيه قال: "أول فرس ملكه النبي صلى الله عليه وسلم فرس ابتاعه في المدينة من رجل من بني فزارة بعشرة أواق وكان اسمه عند الأعرابي

الضرس، فسماه صلى الله عليه وسلم السكب، فكان أول ما غزا عليه".
قال ابن حبيب البغدادي: كان كميئاً أغر محجلاً مطلق اليمين: وعن عطاء بن دبنار عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال: "كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس أدهم يسمى السكب".
وقال أبو منصور الثعالبي: إذا كان الفرس خفيف الجري سريعه فهو فيض وسكب، أي: يشبه فيض الماء وانسكابه.
ومنها: المرواح، ذكر ابن سعد في وفادات العرب عن أسامة بن زيد قال: "قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
خمسة عشر رجلاً من الرهاويين - وهم حي من مذحج - وأهدوا إليه هدايا منها فرس يقال له المرواح، فأمر به
فشور بين يديه"، والمرواح - بكسر الميم -، مشتق من الريح، ويمسى بذلك لسرعته في الجري، وقوله: (فشور)
أي: عرض، والمشور: المكان الذي يعرض فيه اللواب.
ومنها: المرتجز ابن الملاعة.

روى ابن سعد عن الواقدي قال: سألت محمداً بن أبي خيثمة عن المرتجز، فقال: هو الفرس الذي اشتراه النبي صلى
الله عليه وسلم من الأعرابي الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت وكان الأعرابي من بني مرة. قال الزهري: أخبرنا
عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه "أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرساً من أعرابي، فأشبعه النبي صلى
الله عليه وسلم لتقصيه عن فرسه، فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون
الأعرابي فيساومون الفرس، لا يشعرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابي في السوم
على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي صلى الله عليه وسلم، فنأدى الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن
كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه، وإلا بعته، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أليس قد ابتعته منك؟ قال: لا،
فطفق الناس يلوذون بالنبي صلى الله عليه وسلم والأعرابي، وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد
أني بايعتك. فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقاً، حتى جاء
خزيمة فاستمع لمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم ومراجعة الأعرابي فطفق يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بايعتك،
فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال: بم تشهد؟ فقال: بتصديقك
يا رسول الله. فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين" وفي رواية: "أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لخزيمة: لم تشهد ولم تكن معنا. قال: يا رسول الله إن نصلقك بخر السماء أفلا نصلقك بما تقول". وقيل:
"اشتراه من الحارث بن ظالم"؛ قال ابن الأثير: وكان أبيض، وإنما سمي المرتجز لحسن صهيله، مأخوذ من الرجز،
ضرب من الشعر، قال ابن قتيبة: وفي رواية: اسمه الطرف - بكسر الطاء - أي الكريم من الخيل، وقيل: اسمه
النجيب. ومنها: البحر، قال ابن بنين: "اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم من ثَجْر قدموا من اليمن فسابق عليه
مرات". وقال ابن الأثير: "كان كميئاً". وفي رواية: "أدهم". ومنها: سبحة، قال ابن بنين: "وهي فرس شقراء ابتاعها
صلى الله عليه وسلم من أعرابي من جهينة بعشر من الإبل وسابق عليها ومد الجعل بيده الشريفة". ومنها: ذو
اللمة، ذكره ابن حبيب في خيله صلى الله عليه وسلم. ومنها: ذو العقال - بضم العين وتشديد القاف وتخفيف -
والعقال: الضلع الذي يلي قوائم الدابة. ومنها: اللحيف، ففي البخاري عن ساعدة الساعدي عن أبيه عن جده
قال: "كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حائطنا فرس، يقال له اللحيف" - بالحاء المهملة -، فعيل بمعنى
فاعل؛ لأنه كان يلحف الأرض بذنيه، لطوله، وقيل: بضم اللام وفتح الحاء مصغر، وقيل: بالنون بدل اللام -.
ومنها: لزاز = بلام مكسورة وزاين - أي: لا يسابقه فرس إلا لاصقه ولاززه لسرعته. ومنها: الضرب. واحد
الضراب، وهي الرابية الصغيرة، سمي بذلك لقوته وصلابة حوافره. قال ابن سعد: "كان مع النبي صلى الله عليه

وسلم في غزوة المريسيع فرسان: لزاز والضرب".

وروي عن الواقدي عن أبي عباس بن سهل عن أبيه عن جده قال: "كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندي ثلاثة أفراس: لزاز والضرب واللحيف، فأما لزاز فأهداه له المقوقس عظيم القبط، وأما اللحيف فأهداه له ربيعة بن البراء فأثابه عليه قلائص من نعم بني كلاب، وأما الضرب فأهداه له فروة بن عمر الجذامي". ومنها: الورد، قال ابن سعد: "أهدى تميم الداري إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرساً يسمى الورد فأطاه لعمر رضي الله عنه". وحكى ابن بنين عن ابن خالويه قال: "كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الخيل سبحة واللحيف ولزاز والضرب والسكب وذو اللمة والسرحان والمرجل والأدهم والمرجز، - وذكر أيضاً - وملاوح والورد واليعسوب واليعسوب". وقال الحافظ الدمياطي وجماعة أن خيل النبي صلى الله عليه وسلم المتفق عليها سبعة والباقي مختلف فيها. ومن الخيل التي اشتهر اسمها: الحرون فرس مسلم بن عمرو الباهلي، وإنما سمي بذلك؛ لأنه كان يسبق الخيل ثم يحرن إلى أن تلحقه، فإذا لحقته سبقها، ثم يحرن وهكذا كان دأبه وفيه يقول:

إذا ما قريش خلا ملكها ... فإن الخلافة في باهله

لرب الحرون أبي صالح ... وما تلك بالنسبة العادله

ثم اشتراه مسلم من أعراي بألف دينار فسبق عليه عشرين سنة وإليه تنسب الخيل الحرونية. ومن نسله: الغطيفي، فرس لبني غطيف قبيلة بالشام، وإليه تنسب الخيل الغطيفيات، ومنها: هراوة العزاب، وفرس الريان بن حوص العبدي وكان اسمها: سهوة، وإنما لقبته بهراوة العزاب؛ لأنه تصدق بها على عزاب قومه، فكان الأعزب منهم يغزو عليها، فإذا استفاد مالاً وأهلاً دفعها إلى غيره، وهكذا كانوا يتداولونها بينهم. قال عمرو المخاري بن عبد القيس:

سقى جدت الريان كل عشية ... من المزن دكان العشي دلوح

أقام لفرسان العشيرة سهوة ... لهم منكح من حربها وصبوح
فيا من رأى مثل الهراوة منكحاً ... إذن بل أعطاف الجياد جروح
وذي إبل لولا الهراوة لم يثب ... له المال ما انشق الصباح يلوح
قال لييد:

لا تسقني بيديك إن لم التمس ... نعم الضجوع بغارة أسراب

تهدى أوائلهن كل طمرة ... جرداء مثل هراوة العزاب

ومنها: ذو العقال، فرس سوط بن جابر اليربوعي، وأبوه (داحس) فرس قيس بن زهير العيسي. ومنها: الأعوج، فرس هلال بن عامر بن صعصعة، وسمي بذلك لأنه ركب صغيراً أعوجت قوائمه، وإليه تنسب الخيل الأعوجية، قال بشر بن أبي حازم:

وبكل أجرد سابع ذي ميعة ... متماحل في آل أعوج ينتمي

وقال طفيل بن عوف:

بنات الوجيه والعزاب ولاحق ... وأعوج تنمي نسبه المنتسب

وقال الأديب إبراهيم الساحلي:

ركبوا إلى الهيجاء كل طمرة ... من نسل أعوج أو بنات الأبحر

من كل منحسوب الشوى عبل التوى ... عاري النواهق مستدير الحجر

ألوي بقادمتي جناحي أفنح ... ولوى بسالفتي غزال أغفر

وإذا زحفنا أشوسياً مبصراً ... ظل الفوارس في الظلام المعكر
من أهر كالورد أو من أصفر ... كالتبر أو من أشهب كالعبر
وبكل صهوة أجرد متقضب ... إلا إذا ضحك السنان السمهوري
وقال ابن خفاجة:

وقد جال دمع القطر في مقلة الدجى ... ولفت نواصي الخيل نكباء زرع
له من صدور الأعوجية والقنا ... شفيح إلى نيل الأمان مشفع
وظفره في ملتقى الخيل ساعد ... ألف وقلب بين جنبه أصمع
وأبيض يتلو سورة الفتح ينتضى ... ويستقبل الفرق الكريم فيركع
ومبخر ضخم الحرارة أوحد ... يطير به تحت العجاجة أربع
وحصداء تروي بالسنان حصينة ... ووجه وقاح بالحديد مقنع
وقال ابن خلوفا الأندلسي:

وأشهب يعوباً وطمراً مضماً ... طموحاً مروعاً أعوجياً مطهما
جرى هازياً بالبرق والريح مسرعاً ... فدارك ما عن نيل أدناه أحجما
تضمخ بالكافور والمسك وارتدى ... وداء ظلام بالصباح تسهما
أشم لجين المتن أعين ساجحاً ... أقب غليظ الساق أجرد صلدا
قصير المطا والرسغ أتلع صافناً ... طويل الشوى والذيل أعظم شيطما
تحيل سرحاناً وسابير كوكباً ... ولا حظ يعفوراً ولاعب أرقما
فأسرج لما أن توقب جارحاً ... والجلم لما أن تتاب ضيغما
فلم أر بدرأ مسرجاً ذا محاسن ... سواه وبرقاً بالثريا ملجما
وأروق ضخم الكف أعوج باذلاً ... بترك رحيب الباع أفود أيهما
ذلولاً لئوباً شدقمياً مكلثماً ... أموتاً صموتاً أرجلياً حنثما
إذا خب عاينت الحرون وداحساً ... وإن سار أنسك الجديل وشدقما
فريت به فود القلاة ولم أزل ... أروح وأغدو طائراً ومحوما

وقد تقدم الكلام على الأعوج الأكبر والأصغر، وزاد الراكب والحنفا والغبرا والعسجدي (في آهر الفصل الثاني من الباب الخامس) ومنها: أطلال، فرس بكير بن شداد بن يعمر الشداخي، كانت تحته يوم القادسية، وقد أحجم الناس عن عبور نهرها، فصاح بها بني أطلال فوثبته، وكان عرض النهر ثلاثين ذراعاً. ومثل هذا قد وقع مع سيدي الوالد قدس سره، فإني سمعت منه أنه ركب يوم (أرهيو) من أيامه مع دولة فرنسا فرسه الكميت اسماً ولوناً، وقد ألجأ الأمر إلى وثوب نهره وكان عرضه ثلاثين ذراعاً فشدد على الفرس فوثبه من الجانب إلى الجانب.

تنمة في ذكر ما وقع فيها من الفكاهات والمنادمة

قال أبو عبيدة: كان لعجل بن نجيم فرس جواد فقبيل له: إن لكل جواد اسماً فما اسم فرسك؟ فقال: لم أسمه بعد، فقبيل له: سمه. ففقاً إحدى عينيه وقال: سميته الأعور فقبيل فيه: رمثني بنو عجل بداء أبيهم ... وهل أحد في الناس أحق من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده ... فصارت به الأمثال تضرب بالجهل
عار عينه: أي فقأها.

وحكى أبو الفرج الأصبهاني أن النصيب الشاعر كان هجاءً فأهدى الربيع بن عبد الله الحارثي فرساً فقبله ثم ندم
خوفاً من المكافأة، فجعل يعيبه ويذكر بطأه وعجزه، فبلغ ذلك النصيب فقال:

اعبت جوادنا ورغبت عنه ... وما فيه لعمرك من معاب
وما بجوادنا عجز ولكن ... أظنك قد عجزت عن الثواب
فأجابه الربيع بقوله:

رويدك لا تكن عاجلاً إلينا ... أتاك بما يسوؤك من ثواب
وجدت جوادكم قدماً بطيئاً ... فما لكم لدينا من ثواب
فلما كان بعد أيام، رأى النصيب الفرس تحت الربيع فقال:

أجدت مشهراً في كل أرض ... فعجل يا ربيع مشهرات
يمانية تخيرها يماني ... منمنمة البيوت مقطعات
وجارية أضلت والديها ... مولدة وبيضاً وافيات
فعجلها وأنفذها إلينا ... ودعنا من بنيات الثرات
فأجابه الربيع بقوله:

بعثت بمقرّف حطم إلينا ... بطيء الحضر ثم تقول هات
فقال النصيب:

في سبيل الله أودى فرسي ... ثم عللت بأبيات هرج
كنت أرجو من ربيع فرجاً ... فإذا ما عنده لي من فرج
فأمر له بألف درهم. وحكى أنه مات لأبي الحسين الجزار حمار فكتب له بعض أصحابه:

مات حمار الأديب قلت لهم ... مضى وقد فات فيه ما فاتا
من مات في عزه استراح ومن ... خلف مثل الأديب ما ماتا
فأجابه بقوله:

وكم جهول رأني ... أمشي لأطلب رزقا
فقال لي صرت تمشي ... و كنت ماشي ملقى
فقلت مات حماري ... تعيش أنت وتبقى

وسأل بعض الأدباء من أمير جملاً، فأرسل إليه جملاً ضعيفاً هزياً، فكتب الأديب إليه: حضر الجمل فرأيت متقادماً
الميلاد. كأنه من نتاج قوم عاد. قد أفنته الدهور. وتعاقبته العصور. فظننته أحد الزوجين اللذين جعلهما الله تعالى
لنوح في سفينته. وحفظ بهما جنس الجمال لذريته. ناحلاً ضيلاً. بالياً هزياً. يعجب العاقل من طول الحياة به.
وتأتي الحركة فيه. لأنه عظم مجلد. وصوف ملبد. لو ألقى إلى السبع لأباه. أو طرح إلى الذئب لعافه وقلاه. قد طال
لكلاء فقده. وبعد بالمرعى عهده. لم ير العلف إلا نائماً. ولا يعرف الشعور إلا حالماً. وقد خيرتني بين أن أقيه فيكون
فيه غنى الدهر. أو أذبحه فيكون فيه خصب الرحل. فملت إلى استبقائه لما تعلم من محبتي للتوفير. ورغبتني في التشمير.
وجمعي للولد. وإدخاري للغد. فلم أجد فيه مدقعاً لغناه. ولا مستمتعاً لبقاه. لأنه ليس بأثني فيحمل. ولا فتي

فينسل. ولا صحيح فيرعى. ولا سليم فيبقى. فملت إلى الثاني من رأيك. وعملت على الآخر من قوليك. فقلت أذبحه فيكون وظيفة للعبال. وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال. فأنشدني وقد أضرمت النار. وحددت الشغار وتشمر الجزار:

أعيذها نظرات منك صادقة... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقال: فما الفائدة في ذبحي ولم يبق في الأنفس خافت. ومقلة إنسانها باهت. لست بذني لحم فأصلح للأكل. لأن الدهر قد أكل لحمي. ولا جلدي يصلح للدباغ لأن الأيام مزقت أدمي. ولا صوف يصلح للغزل لأن الحوادث قد جزت وبري. فإن أردتني للوقود فكف بعن أبقى من ناري. ولن تهي حرارة جهري بريح فتاري، فوجدته صادقاً في مقالته. ناصحاً في مشورته. ولم أدر من أي أمر به أعجب. أمن مماطلته الدهر بالبقا. أم من صبره على الضر والبلا. أم قدرتك عليه مع إعواز مثله. أم تأهلك الصديق به مع خساسة قدره. فما هو إلا كقائم من القبور. أو ناشر عند نفع الصور:

ما إن درى ذاك الذميم وقد شكى... من نيل ممدوح ورمح جواد

هل يشتكي وجعاً به في سره... بالسين أم في صرة بالصاد

وروي أن ملكاً قال لصاحب خيله: قدم لي الفرس الأبيض، فقال له وزيره: أيها الملك، لا تقل الفرس الأبيض، فإنه عيب يخل بهيبة الملك، ولكن قل الفرس الأشهب، فلما حضر الطعام قال لصاحب السماط: قدم الصحن الأشهب، فقال له الوزير: قل ما شئت فما لي حيلة في تقويم لسانك. وحكي أن الاسكندر استعرض جنده فقدم إليه رجل على فرس أعرج، فأمر بإسقاطه فضك الرجل، فاستعظم ضحكك في ذلك المقام، فقال له: ما أضحكك وقد أسقطتك، قال: أعجب منك تحتك آلة الهرب وتحتي آلة الثبات ثم تسقطني، فأعجب بقوله وأثابه. وعرض عمرو بن الليث عسكره فمر به رجل على فرس أعرج فقال: لعن الله هؤلاء يأخذون المال ويسمنون به أكفال نسائهم فقال له: أيها الأمير لو نظرت إلى كفل امرأتي لرأيت أنه أهزل من كفل دابتي فضحك وأمر له بجال، وقال: خذه وسمن به كفل امرأتك ودابتك.

وحكي أن المتوكل على الله سقط عن فرسه فقال أبو الإصبع عبد العزيز البطلبيوسي:

لا عتب للطرف إن ذلت قوائمه... ولا يدسه من عائب دنس

حملت جوداً وبأساً فوقه ونهى... وكيف يحمل هذا كله الفرس

وركب ذو الرياستين متصبداً في يوم غيم، نضح رذاذه وجه الثرى، فسقط به فرسه، فشمت به أحد أعدائه، فقال في الحال:

إني سقطت ولا جبن ولا خور... وليس يدفع ما قد شاء القدر

لا يشمتن حسودي إن سقطت فقد... يكيو الجواد وينبو الصارم الذكر

وقال أبو حامد الحسين بن شعيب حين كبا به فرسه فحصل في أسر العدو:

وكنت أعد طرقي للرزايا... يخلصني إذا جعلت تحوم

فأصبح للعدى عوناً لأني... أطلت أعنانه فأنا الظلوم

وكم دامت مسراقي عليه... وهل شيء على الدنيا يدوم

وزلت بغلة الأتابك صاحب الموصل تحته، فسقط فقال أبو السعادات المبارك:

إن زلت البغلة من تحته ... فإن في زلتها عذار

حملها من علمه شاهقاً ... ومن ندى راحته بحرا

وكتب الشيخ زين الدين الوهراني للأمير عز الدين موسك كتاباً على لسان بغلته يقول فيه: المملوكة ريحانة بغله الوهراني تقبل الأرض بين يدي المولى عز الدين ظهير أمين المؤمنين نجاه الله من حر السعير، وعطر ذكره قوافل العير، ورزقه من القرط والتبن والشعير، ما وسق مئة ألف بعير، واستجاب فيه أدعية الجم الغفير، من الخيل والبغال والحمير، وتنهى ما تقاسيه مواصلة الصيام وسوء القيام، والتعب بالليل والدواب نيام، وقد أشرفت المملوكة على التلف وصاحبها لا يحتمل الكلف، ولا يوقن بالخلف، ولا يقول بالعلف، لأنه في بيته مثل المسك والعبير، والطريف الكبير، أقل من الأمانة في الأقباط، ومن العقل في رأس قاضي سباط، فشعيره أبعد من الشعري العيور، لا وصول إليه ولا عبور، وقرطه أعز من قرط مارية، لا تخرجه صدقة ولا هبة ولا عارية، والتبن أحب إليه من الابن، والجلبان عنده أعز نم دهن البان، والقصيم أعز من الدر النظيم، والفصة أجمل من سنابك القضة، وأما الفول فمن دونه ألف باب مقبول، وما يهون عليه أن يعلف الدواب، إلا بعيوب الآداب وفقه اللباب والسؤال والجواب، وما عند الله من الثواب، ومعلوم يا سيدي أن البهائم لا توصف بالحلوم، ولا تعيش بسماع العلوم، ولا تطرب بشعر أبي تمام، ولا تعرف الحارث بن همام، ولا سيما البغال، تشتغل في جميع الأشغال، سلة من القصيل، أحب إليها من كتاب البيان والتحصيل، وفقة من الدريس، أحب إليها من فقه محمد بن إدريس، لو أكل البغل كتاب المقامات مات، ولو لم يجد إلا كتاب الرضاع ضاع، ولو قيل له أنت هالك، إن لم تأكل موطأ مالك، ما قبل ذلك، وكذلك الجمل، لا يتغذى بشرح أبيات الجمل، وحزمة من الكلا، أحب إليه من شعر أبي العلاء. وليس عنده بطيب، شعر أبي الطيب، وأما الخيل فلا تطرب إلا لسماع الكيل. ولو أكلت كتاب الذيل. ماتت بالنهار قبل الليل، والويل لها ثم الويل، ولا تسغني الأكاديش عن أكل الحشيش، بما في الحماسة من شعر أبي الجريش، وإذا أطعمت الحمار شعر ابن عمار حل به الدمار، وأصبح منفوخاً كالطبل على باب الإصطبل، وبعد هذا كله فقد راح صاحبها إلى العلاف، وعرض عليه مسائل الخلاف، وطلب من تبته خمس قفاف، فقام إليه بالخلاف، فخاطبه بالتعير، وفسر عليه آية البعير، وطلب منه وية شعير، فحمل على عياله ألف بعير، وأكثر له من الشخير والنخير، فانصرف الشيخ مكسور القلب، مغتاضاً من السلب، وهو أنحس من ابن بنت الكلب، فالتفت إلى للسكينة، وقد سلبه الله ثوب السكينة، وقال لها: إن شئت أن تكدي فكدي، لا ذقت شعيراً ما دمت عندي، فبقيت المملوكة حائرة، لا قائمة ولا سائرة، فقال لها العلاف لا تجرعي من خباله، ولا تلتفتي إلى أسباله. ولا تنظري إلى نفقته، ولا يكون عندك أحسن من عنقفته، هذا الأمير عز الدين سيف المجاهدين أندى يداً من الغمام، وأبهى من البدر ليلة التمام، يرثي للمحروب ويفرج عن المكروب، ولا يرد قاتلاً، ولا يخيب سائلاً، فلما سمعت المملوكة هذا الكلام، جذبت الزمام، ورفست الغلام، وقطعت الحزام، وفتحت اللجام، حتى طرحت خدها على الأقدام، ورأيك أعلى، والسلام.

وكان لأبي دلالة بغلة جامعة لعيوب الدواب كلها، وكانت أشوه الدواب خلقاً في منظر العين وأسوأها خلقاً في مخبرها، وكان إذا ركبها تبعه الصبيان يتضحكون به، وكان يقصد ركوبها في موكب الخلفاء والكبراء ليضحكهم بشماسها، ونظم فيها قوله:

أبعد الخيل أركبها كراماً ... وبعد القره من خضر البغال

رزقت بغيلة فيها وكال ... وليته لم يكن غير الوكال

رأيت عيوبها كثرت وليست ... وإن كثرت ثم من المقال

ليحصي منطقي وكلام غيري ... عشير خصالها شر الخصال
فأهون عيبها أي إذا ما ... نزلت وقلت أمشي لا تبالي
تقوم فما تبت هناك شبراً ... وترمحي وتأخذ في قتالي
وإني إن ركبت أذيت نفسي ... بضرب باليمين وبالشمال
وبالرجلين أركبها جميعاً ... فيالك في الشقاء وفي الكلال
أتاني خائب يستام مني ... عريق في الحسارة والضلال
وقال تبيعها؟ قلت ارتبطها ... بحكمك إن بيعي غير غال
فأقبل ضاحكاً نحوي سروراً ... وقال أراك سهلاً ذا جمال
هلم إلي يخلو بي خداعاً ... وما يدري الشقي لمن يخالي

فقلت بأربعين فقال أحسن ... إلي فإن مثلك ذو سجال
فأترك خمسة منها لعلمي ... بما فيه بصير من الخيال
فلما ابتاعها مني وبت ... له في البيع غير المستعال
أخذت بثوبه أبرأت مما ... أعد عليه من سوء الخلال
برأت إليك من مشتي يديها ... ومن جردت ومن بلل الخالي
ومن فتق بها في البطن ضخم ... ومن عقاها ومن انفتالي
ومن قطع اللسان ومن بياض ... بعينيها ومن قرض الحبال
وأفطى من فريخ الذر مشياً ... بها عرن وداء في سلال
وتكسر سرجها أبداً شماساً ... وتقمص للأكاف على اغتيال
ويدبر ظهرها من مس كف ... وتهرم في الجعام وفي الجلال
تظل لركبة منها وقيداً ... يخاف عليك من روم الطحال
ومشغار تقدم كل سرج ... تصير دفتيه على القذال
وتخفى لو تسير على الحشايا ... ولو تمشي على دمى الرمال
وترمخ أربعين إذا وقفنا ... على أهل المجالس للسؤال
فتقطع منطقي وتحول بيني ... وبين حديثهم فيما توالي
وتذعر للدجاجة إذ تراها ... وتنفر للصفير وللخيال
فأما الاعتلاف فأدن منها ... من الأتبان أمثال الجبال
وأما القت فات بألف وقر ... كأعظم حمل أحمال الجمال
فلست بعالف منه ثلاثاً ... وعندك منه عود للخلال
وإن عطشت فأوردها دجياً ... إذا أوردت أو نهرى بلال
فذاك لريها سقيت حميماً ... وإن مد الفرات فللنهال
وكانت قارحاً أيام كسرى ... وتذكر تبعاً عند الفصال
وقد دبرت ونعمان صبي ... وقبل فصاله تلك الليالي
وتذكر إذ نشأ بهرام جور ... وعامله على خرج الجوالي

وقد مرت بقرن بعد قرن ... وآخر عهدها لهلاك مالي

فأبدلني بما يارب طرفاً ... يزين جمال مركبها جمالي

ثم إنه أنشدها للمهدي، فقال له: قد أقلت من بلاءٍ عظيم، فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهراً أتوقع صاحبها أن يردها علي، فقال المهدي لصاحب دوابه: خيره بين مركبين في الإصطبل، فقال إن كان الاختيار إلي فقد وقعت في شر من البغلة، ولكن مره يختار لي ففعل.

واشترى رجل دابة من دمية فوجد بها عيوباً كثيرة، فحضر إلى القاضي يشتكي حاله، وما أصابه من الغم وناله، فقال له القاضي: ما قصتك وشكواك، وما الذي من الهم والغم دهاك، فقال أيها القاضي، إني بحكمك راض، اشتريت من هذا الدميري دابة اشترط لي فيها الصحة والسلامة، فوجدت بها عيوباً أعقبني ندامة، وقد سألت ردها فأبى، وقال عند رؤيته إياي لا أهلاً بك ولا مرحباً، فقال القاضي: أين ما بها من العيوب، فقال له: كلها عيوب وذنوب، وهي أنحس مركوب، وأخس مصحوب، إن ركبتها رفصت، وإن نخستها شمصت، وإن همزتها قمصت، وإن لكزتها رقصت، وإن سقتها رقدت، وإن نزلت عنها شردت، تقطع في يديها، وتصك في رجليها، كردة جردة، قصيرة الذنب، محمولة العصب، مقطوعة العقب، حدباء جرباء، كباء لا تقوم حتى تحمل على الخشب، ولا تنام حتى تكبل بالسلب، إن قربت من الجرار كسرتها، وإن دنت من الصغار رفصتهم عفشة نكشة تكشر عن أسنانها، وتقرض في عنانها، وتمشي في سنة أقل من يوم، فالويل لراكبها إن وثب عليه القوم، إن قلت لها حاحا قالت آزاز، وإن قلت لها ترتر قال من حولها زرز، إن رمت تقديمها تأخرت، وإن لكزتها سخرت ونخرت، من استصبر بما خذلته ومن ساقها رمته فقتلته، وتما أحوالها أنها تبول وترش صاحبها ببولها، ومتى حملتها فلا تنهض، وتقرض في حبلها، وتحفل من ظلها، ولا تعرف منزل أهلها، كرامة هجامة، نوامة كأنها هامة، وهي في الدواب مشؤومة، حرونة ملعونة مجنونة، تغلع الوند وتقرض الجسد، وتفتت الكبد، ولا تركز إلى أحد، تشمر وتغدر، وتعثر، واقفة الصدر، محمولة الظهر، بداءة الأذنين، عمشاءة العينين طويلة الإصبعين، قصيرة الرجلين، ضيقة الأنفاس، مقلعة الأضراس، صغيرة الرأس، كثيرة النعاس، مشيها قليل، وجشمها نحيل، وراكبها عليل، وهو بين الأجزاء ذليل، تحفل من الهواء وتعثر بالنوى، وتحيل بشعره (أي يعتريها الجنون بأدنى سبب) وتتكل بعوره، لهاقة شهاقة، غير مطراقة، لا تقفر معدية، ولا تشرب إلا في قصدية وبها وجع الكبد والرئة، لا تبول إلا في الطريق، وتحشر صاحبها في كل ضيق، وتهموس عليه في المكان المضيق، وتنقطع به في الطريق عن الصديق، وتعص ركة الرفيق، وهي عديمة التوفيق على التحقيق، فإن ردها فأكرم جانبه، وإن لم يردها فانتف شاربه، وأصقع غاربه، وأفك مضاربه ولا تحوجني أن أضرابه والسلام.

واشترى رجل برزونا، وقال لبائعه: سألتك بالله هل فيه عيب، فقال له: لا إلا أن يكون فيه قليل مشش كأنه بطيخة، وقليل جرد كأنه فتاية، وقليل وبر كأنه سفرجلة، فقال له المشتري: جئنا نشترى منك برزونا أو بستانا. وبات صفي الدين الحلبي في منزل رجل يسمى عيسى فلم يقره ولم يطعم فرسه، فلما أصبح خرج من عنده وهو يقول:

رأى فرسي إسطل عيسى فقال لي: ... قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل

به لم أذق طعم الشعر كأنني ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تقعقع من برد الشتاء أضالعي ... لما نسجتها من جنوب وشمال

إذا سمع السواس صوت تمحممي ... يقولون لا تملك أسي وتجمل

أعول في وقت العليق عليهم ... وهل عند رسم دارس من معول
وقال أيضاً في ذم فرس له:
ولي فرس ليست شكوراً وإنما ... بما تضرب الأمثال في العض والرفس
إذا جفلت بي في ضياع دوارس ... فليس لها قبض سوى في جوى فرس
تعربد في وقت الصباح من الضيا ... وتجفل في الآصال من شفق الشمس
فيا ليتها عند العليق جفوله ... كما هي منكاد من الجر والحس
فلو شربت بالغلس من كف حاتم ... لأصبح ندماناً على تلف الغلس
ولو برزت في جحف تحت عتتر ... لجندل وانفلت حيوس بني عيس
وكان ل محمد بن عبد الملك برزونا أشيهب لم ير مثله، فسعى به محمد بن خالد إلى المعتصم، ووصفه له فبعث المعتصم
إليه وأخذه منه، فقال:

كيف العزاء وقد مضى لسبيله ... عنا فودعنا الأحم الأشهـب
دب الوشاة فأبعدوك وربما ... بعد الفنا وهو الأحب الأقرب
لله يوم نأيت عنا ظاعناً ... وسلبت قربك أي علق أسلب
نفس مفرقة أقام فريقها ... ومضى لطيته فريق يجب
فالآن إذ كملت أذانك كلها ... ودعا العيون إليك لون معجب
واختير من سر الحدائد خيرها ... لك خالصاً ومن الحلبي الأغرب

وغدوت طنان اللجام كأنما ... في كل عضو منك صنح يضرب
وكان سرجك إذا علاك غمامة ... وكأنما تحت الغمامة كوكب
ورأى علي بك الصديق جلاله ... وغدا العدو وصدوره يتلهب
أنساك لا زالت إذا منيته ... نفسي ولا زالت يميني تنكب
أضمرت منك اليأس حين رأيتني ... وقوى حبابي من قواك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة ... لله ما فعل الأحم الأشهـب
وقال موسى بن هارون الهاشمي حدثني أبي قال: كنت واقفاً بين يدي المعتصم، وهو جالس والخيل تعرض عليه، وهو
يشرب وبين يديه علوية ومخارق يغنيان، فعرض عليه فرس كميت أحمر ما رأيت مثله قط، فتغامز علوية ومخارق
وغناه علوية:

وإذا ما شربوا وأنشلوا ... وهبوا كل جواد وطمر
فتغافل عنه وغناه مخارق:

يهب البيض كالظباء وجرداً ... تحت أجالها وعيس الركاب
فضحك ثم قال اسكتا يا ابني الزائنين، فليس يملكه والله أحد منكما، ولما دار الدور غنى علوية:

وإذا ما شربوها وانتشوا ... وهبوا كل بغال وجر

فضحك، وقال أما هذا فنعم وأمر لأحدهما ببغل وللآخر بحمار.

وحكي أن رجلاً كان له فرس يسمى: (الأبليق) وكان يجريه فرداً ليس معه غيره، وكل ما مر به طائر أجهه معه،
فأعجبه ما رأى من سرعة جريه، فنادي قومه وقال: إني أردت أن أراهن على فرسي هذا فأبكم يرسل معه فرسه،

فقبل له إن الحلبة غداً فقال إني لا أرسله إلا في خطر . فراهنوه على ذلك . فلما كان الغد أرسله فسبق، فقال لكل مجرى نجلاء سابق.

وقال أبو عبيدة: أجريت الخيل للرهان فسبق منها فرس، فجعل رجل من الحاضرين يكر ويثب من الفرح، فقيل له: أكان القرس لك قال: لا، ولكن اللجام لي.

وحكى الأسعد القرقرى من أهل هجر كان يضحك النعمان، وكان اليعموم فرس النعمان يردي من ركبه، فقال النعمان لسعد اركبه واطلب عليه الوحش، فامتتع سعد، فألزمه النعمان على ذلك، فلما ركبه نظر إلى بعض ولده وقال بأبي وجوه اليتامى، فضحك النعمان وأعفاه، فقال سعد:

نحن بفرس الوادي أعلمنا ... منا مجري الجياد في السلف

يا لهف أمي فكيف أطعته ... متمسكاً واليدان في العرف

وقال محمد أبو شبيب غلام النظام دخلت إلى دار الأمير بالبصرة، وأرسلت فرسي فأخذه صبي ليلعب عليه، فقلت له دعه، فقال: إني أحفظه لك، فقلت له: إني لا أريد حفظه: فقال: إذن يضيع، قلت لا بأبي بضياعه، فقال: إن كنت لا تبالي بضياعه فهبه لي، فانقطعت من كلامه. وقيل لسيدنا علي كرم الله وجهه وهو على بغلة في بعض حرابه: لو اتخذت الخيل يا أمير المؤمنين. فقال: لا أفر ممن كر ولا أكر على من فر، فالبغلة تكفيني. ورفى سليك بن سلعة فرسه النحام وكان عزيزاً عليه بقوله:

كأن قوائم النحام لما ... تحمل صحبتي أصلاً محار

على قرماء عالية شواه ... كأن بياض غرته ضمار

وحكى المسعودي: أن أبا العباس المكي قال: كنت أنادم محمد بن طاهر بالري ليلة فقال: كأني أشتهي الطعام فما أكل؟ قلت: صدر دراج أو قطعة من جدي باردة. قال: يا غلام هات رغيفاً وخلاً وملحاً فأكل من ذلك، فلما كان في الليلة الثانية، قال: يا أبا العباس كأني جائع فقلت: ما أكلت البارحة قال: إنك لا تعرف فرق ما بين الكلامين قلت: البارحة: كأني أشتهي الطعام والليللة كأني جائع وبينهما فرق، فدعا بالطعام، ثم قال: صف لي الطعام والشراب والسماع والطيب والنساء والخيل، قلت: أيكون ذلك نثراً أم نظماً، قال: نثراً. قلت: أطيب الطعام ما لقي الجرع بطعم وافق شهوة. قال: فما أطيب الشراب؟ قلت: كاس مدام تبرد بها غليلك وتعاطي بها خليلك، قال: فأي السماع أفضل؟ قلت: أوتار أربعة وجارية متربعة، غنائها معجب وصوتها مطرب، قال: فأي الطيب أطيب؟ قلت: ريح حبيب تحبه وقرب ولد تربه، قال: فأي النساء أشهى؟ قلت من تخرج من عندها كارهاً وترجع إليه والهأ. قال: فما صفة العتيق من الخيل؟ قلت: الأشدق الذي إذا طلب سيق، وإذا طُلب لحق، قال: أحسنت. يا بشير أعطه مئة دينار، قلت وأين يقع مني مئتا دينار، قال: أوقد زدت نفسك مئة دينار؟ يا غلام أعطه كما ذكرنا والمئة الأخرى لحسن ظنه بنا. فانصرفت بمئتي دينار. وقال البها زهير يصف فرسه بالهزال:

أياديك لا يفل يوماً حسامها ... بجود إذا ضن الغمام غمامها

وكم أوتر التخفيف عنكم فلم أجد ... سواك لأيام قليل كرامها

ولي فرس أنت العليم بحالها ... وبالرغم مني ربطها ومقامها

ولم يبق منها الجهد إلا بقية ... فيغدو عليها أو يروح حمامها

شكنتي بين الناس وهي بهيمة ... ولكن لها حال فصيح كلامها

إذا خرجت تحت الظلام فما ترى ... من الضعف إلا أن يصك لجامها

وليس تراها العين إلا عباءة ... يشد عليها سرجها ولجامها
لها تربة في كل يوم على الطوى ... ولو تركتها صح منها صيامها
وعهدي بما تبكي على التبن وحده ... فكيف على فقد الشعر مقامها
وشكى بعض أهل الأدب زمانه بقوله:

ولي فرس من نل أعوج سابق ... ولكن على فقد الشعر يحمم
وأقسم ما قصرت فيما يزيدني ... علواً ولكن عند من أقدم
وجاء غلام شرف الدين الخلاوي وأخبره بأن فرسه قد تشبك بالحر فقال:

جاء غلامي وشكا ... أمر كمي وبكى
وقال برذونك لا ... نشك قد تشبكا
قد سقته اليوم فما ... مشى ولا تحركا
فقلت من غيظ له ... مجاوباً لما حكي
ابن الخلاوي أنا ... فلا تكن معلقا
لو أنه مسير ... لما غدا مشبكا
وقال لسان الدين ابن الخطيب:

قال جوادي عندما ... همزن همزاً أعجزه
إلى متى همزني ... ويل لكل همزه
وقال ابن نباته يرثي فرسه:

لهفي على فرسي الذي ... أضحى قريح المقلتين
يكبو وأملك رقه ... فمعتري في الحالين

وأهدى ثقيل إلى بعض الظرفاء جملاً، ثم نزل عليه حتى أبرمه فقال فيه:

يا مبرماً أهدى جمل ... خذ وانصرف ألفي جمل
قال وما أوقارها ... قلت زبيب وعسل
قال ومن يقودها ... قلت له ألقا رجل
قال ومن يسوقها ... قلت له ألقا بطل
قال وما لباسهم ... قلت حلي وحلل
قال وما سلاحهم ... قلت سيوف وأسل
قال عبيد لي إذن ... قلت: نعم ثم خول
قال بهذا فاكتبوا ... إذن عليكم لي سجل
قلت له الفتي سجل ... فاضمن لنا أن ترتحل
قال ترى أضجرتكم؟ ... قلت أجل ثم أجل
قال وقد أبرمتكم؟ ... قلت له الأمر جليل
قال وقد أثقلنكم؟ ... قلت له فوق الثقل
قال إني راحل ... قلت العجل ثم العجل

يا كوكب الشؤم ومن ... أربي على نحس زحل

يا جبلاً من جبل ... في جبل فوق جبل

وحمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا الغياء على فرس، زعم أنه غير فاره، فكتب إليه: أعلم الوزير أعزه الله أن أبا علي محمد أراد أن يبرني فعقني، وأن يركبني فأرجلني أمر لي بفرس تقف للنبرة، وتعثر بالبعرة، كالتضيب اليابس عجباً، وكالعاشق الجهور زلفاً، وقد ذكرت الرواة عذرة العذري والمجنون العامري، مساعد أعلاه لأسفله، حياق مقرون بسعاه فلو أمسك لترجيت، ولو أفرد لتعزيت، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور والمجلس المشهور، كأنه خطيب مرشد، أو شاعر منشد، تضحك من فعله النسوان، وتتناغى من أجله الصبيان، فمن صائح يصيح داوه بالطباشير، ومن قائل يقول نوله الشعير، قد حفظ الأشعار وروى الأخبار ولحق العلماء في الأمصار، فلو أعين بنطق لروى بحق وصدق، عن جابر الجعفي وعامر الشعبي، وإنما أتيت من كاتبه الأعور الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر، وإن اختار لغيره أحب وأندر، فإن رأى الوزير أن يدلني به ويريجني منه بمركوب يضحكني كما أضحك مني، يحو بحسنه وفراسته، ما سطره العيب بقبحه ودمايته، ولست أذكر أمر سرجه ولجامه، فإن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه أو ينقص ما يمضيه فوجه عبيد الله إليه برزواً من برازينه بسرجه ولجامه. ثم اجتمع مع محمد بن عبيد الله عند أبيه، فقال عبيد الله: شكوت دابة محمد وقد أخبرني الآن أنه يشتريه منك بمئة دينار وما هذا ثمنه، لا يشتكي، فقال: أعز الله الوزير لو لم أكذب مستزيداً لم أنصرف مستفيداً، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين. فضحك عبيد الله وقال: حجتك الداخضة بملاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة.

وحكي أن المتوكل على الله قال لأبي العنيس الشاعر: أخبرني عن حمارك، وما كان من شعره في الرؤيا التي رأيتها قال: نعم يا أمير المؤمنين! كان أعقل من القضاة، ولو لم تكن له جريمة ولا زلة، فاعتل على غفلة، فمات فرأيته فيما يرى النائم، فقلت يا حماري ويلك ما لك مت؟ ألم أبرد لك الماء؟ وأتقي لك الشعير؟ وأحسن إليك جهدي؟ فلم مت غفلة؟ وما خبرك؟ قال: إنك ركبتني يوم كذا وكذا ووقفت على فلان الصيدلاني تكلمه فرأيت أتاناً عند بابه فعشقتها فمت. فقلت له: هل قلت فيها شهراً؟ قال: نعم وأنشدني:

سيدي خذ لي أماناً ... من أمان الأصهباني

هام قلبي بأتانٍ ... عند باب الصيدلاني

تيمتني يوم رحنا ... بثناياها الحسان

وبغج ودلال ... سل جسمي وبراني

ولها خد أسيل ... مثل خد الشنفراني

فيها مت ولو عش ... ت إذن طال هواني

فقلت له يا حماري وما الشنفراني؟ قال هو شيء يتحدث به الحمير، فإذا لقيت حمراً فاسأله عنه. فطرب المتوكل وأمر المغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار وزاد في جائزتي. قيل للفضل الرقاشي: إنك لتؤثر الحمير على سائر الدواب. قال: لأنهما أرفق وأرقق. قيل: ولم ذلك؟ قال: لا يستدل بالمكان على طول الزمان، ثم هي: أقل داء، وأيسر دواء، وأخفص مهوى، وأسلم صريعاً، وأقل جماحاً وأشهر فارهاً، وأقل تطيراً، يزهي راكمه وقد تواضع بركوبه، ويعد مقتصداً وقد أسرف في ثمنه.

وحكي أن رجلاً كان له فرس يسمى: (الأبيلق) وكان يجريه فرداً ليس معه غيره، وكل ما مر به طائر أجراه معه،

فأعجبه ما رأى من سرعتة، فنادي قومه وقال: إني أردت أن أراهن على فرسي هذا، فأيكم يرسل معه، فقييل له إن الحلبة غداً. فقال: إني لا أرسله إلا في خطر. فراهته على ذلك. فلما كان الغد أرسله فسبق، فقال لكل مجرى نجلاء سابق.

وهنا وقف بنا جواد القلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف رسل الأمم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين وقد وقع الفراغ من كتابته في اليوم الحادي عشر من شوال سنة ألف وثلاث مئة وثلاث وعشرين من هجرة من له كمال الفخر والشرف.